

الشيعة

النشأة السياسية والعقيدة الدينية

صلاح أبو السعود

دبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية
ماجستير في القانون - جامعة عين شمس

الطبعة الثانية مزودة ومنتقحة

الناشر

مكتبة النافذة

الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية

تأليف: صلاح أبو السعود

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٠٤

الطبعة الثانية: سبتمبر ٢٠٠٤

رقم إيداع: ٣٠٧٠ / ٢٠٠٤



ولا يجوز إقتباس أو تقليل أو إعادة طبع أى جزء من هذا الكتاب أو تخزينه.
فى نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأى طريقة دون إذن خطى مسبق من الناشر

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسؤول: سعيد عثمان



الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى - الثالثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين الذى علمنا ما لم نكن به عالمين ، والصلوة والسلام على سيد
المسلين ، المرسل رحمة للعالمين ..

أما بعد

كم يسعدنى أن ألتقي بالقراء الأعزاء الذين أولونى ثقتهم وأقبلوا على قراءة هذا الكتاب حتى نفدت الطبعة الأولى منه فى شهور قليلة ، ونظرا لهذا الإقبال كان اقتراح الناشر بإصدار الطبعة الثانية ، وكم كان صعب على أن تصدر هذه الطبعة خالية من آية إضافة جديدة ، فقدر الله أن يكون هناك تزامن بين صدور هذه الطبعة ، وبين انتهاءى من إعداد موسوعة إسلامية شاملة لعظم الفرق والمذاهب الإسلامية القديمة والمعاصرة ، وكان ضمن هذه الفرق . بالطبع . فرق إخواننا الشيعة ، فأثرت أن أضيف فى هذه الطبعة الجزء الخاص بفرق الشيعة كما كتبته فى الموسوعة ، حتى يتعرف القارئ أكثر على تاريخ الشيعة .

وأود أن أشير إلى ملحوظة غاية فى الأهمية ، حتى لا يختلط الأمر على القارئ العزيز الذى لم تتح له الظروف الاطلاع على فكر إخواننا من أهل الشيعة ، فمعظم الفرق التى أضافتها فى هذا الكتاب هى فرق بائدة ، وتنبه على القارئ العزيز ، عدم الخلط بين هذه الفرق البائدة . والغالبية . وبين جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا فى الوقت الراهن ، وهم الشيعة الزيدية والاثنا عشرية ، حيث إن الاعتدال سماتهم الأساسية ، على أنه توجد بعض الفرق الغالية تعيش بيننا الآن ، كالدروز ، وبعض الإسماعيلية ، والعلويين ، إلا أنها لا تمثل . كما ذكرت . جمهور الشيعة من الزيدية والاثنا عشرية ، الذين لهم عقيدة واضحة نشروها على الملأ ، ويعلم بها الجميع .

ملحوظة أخرى أود أن أشير إليها ، وهى أننى قد عرضت ضمن فرق الشيعة لفرقى القاديانية والأحمدية ، مع أنى لا أعتبرهما من الشيعة ، وسبب عرضهما بين فرق الشيعة هو أن بعض الكتاب يعتبرون الفرقتين من فرق الشيعة ، وقد علقنا على هذا فى موضعه .

وملحوظة ثالثة ، وهى أنى قد ذكرت فى القسم الخاص بفرق الشيعة ، الشيعة الائنة عشرية ، وكان ذلك باختصار ، ثم تحدثت عن بعض عقائدها بشيء من التوسيع فى القسم الأخير من الكتاب ، على اعتبار أن الائنة عشرية هم الممثلون لجمهور الشيعة .
وملحوظة رابعة وأخيرة ، فقد تعرضت بين الفرق لجماعة (التقريب) ، وهى جماعة ضمت صفووة علماء أهل السنة وإخواننا الشيعة ، وعملت على التقرير بينهما ، وأظن أن هذه الجماعة قد نجحت إلى حد بعيد فى أداء الرسالة التى اجتمعت من أجلها ، وأكبر دليل على ذلك النجاح يتمثل فى الفتوى التى أصدرها الشيخ محمود شلبيت بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية ، وقد ذكرت نص الفتوى فى موضعه .
وأسأل الله تعالى أن يجعل فيما أضفناه الفائدة .

صلاح أبو السعود

القاهرة

٢١ جماد آخر ١٤٢٥ هـ

٧ أغسطس ٢٠٠٤

مُقَدِّمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على نبيه محمد ﷺ وعلى آل بيته الأبرار والصديقين والتابعين بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد،

ففي هذا الكتاب نلقى الضوء على الشيعة كحزب سياسي معارض هدفه الأساسي حصر الخلافة في ذرية علي بن أبي طالب عليهما السلام في فترة لا تعرف النظم الانتخابية ولا الديمقراطية ولا تعطى أي مساحة للرأي الآخر، فكانت وسيلة هذا الحزب القيام بالانقلابات العسكرية مما اضطر الحزب الحاكم - المتمثل في بنى أمية - إلى وضع هذا الحزب ضمن التنظيمات المحظورة، المحظور التعامل معها، ومن ثم يجب ملاحقةه والقضاء على رؤوسه كلما بزغ نجمه.

كان مجرد رفض لعن علي عليهما السلام من فوق منابر بنى أمية سبباً كافياً لوضع الرافض في القائمة السوداء، فعمد الحزب الشيعي إلى التنظيمات السرية، وعندما يشعر بتنظيم الصدوق يثبت ليستولى على السلطة، إلا أن سوء التنفيذ وتقاعس معظم أعضاء التنظيم عن المشاركة في ساعة الصفر كان السبب الرئيسي وراء فشل انقلابات الشيعة حتى قتل الحسين، ومعه عدد كبير من أهل بيته فيضاف هدف جديد في برنامج الحزب هو الطلب بدم آل البيت، وتدور المعارك الطاحنة، ويتولى زعامة الحزب بعض الطامعين في السلطة والزعامة لأنفسهم لا لآل البيت، وتدور الأحداث حتى يأتي زيد بن علي بن الحسين الذي يلقى نفس النهاية التي لقيها جده الحسين ليكرر التاريخ نفسه وتعود الكرة من جديد.

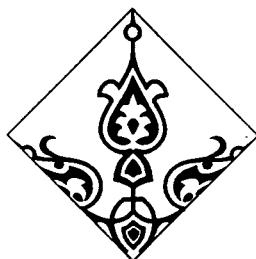
وبعد فهذا الكتاب ليس بحثاً تاريخياً ولا عقائدياً ولكن قراءة وتحليل لتاريخ الشيعة السياسي وكان جل اعتمادنا في هذا الكتاب على تاريخ الأمم والملوك للطبرى، فعرضنا أدق الروايات التي تتفق مع العقل والمنطق، ولم ننشأ أن نلجم إلى اختزال النص التاريخي ولا عرضه بصورة كاملة، فاتبعنا سبيلاً وسطاً، لأن اختزال النص التاريخي بالكامل سيجعل القارئ بعيداً عن المشاركة والتفاعل مع الأحداث، وعرض النص بالكامل قد يعرض القارئ للملل. وكذلك قد تتبعنا نشأة الشيعة منذ وفاة الرسول ﷺ وحتى وفاة زيد بن علي بن الحسين.

ونسأل الله أن يجعل في كتابنا هذا فائدة وأن يهدينا وإياكم إلى سواء السبيل.

صلاح أبو السعود

القاهرة نوفمبر ٢٠٠٣

رمضان ١٤٢٤ هـ



الْفَضْلُ لِأَوْلَى

الْبَدَايَة

وفاة الرسول ﷺ واستخلاف أبي بكر

وفاة الرسول ﷺ واستخلاف أبي بكر

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاجأة هزت الجميع ففريق ينكر وآخر يصدق، عمر بن الخطاب يقول: مات رسول الله ﷺ لا يموت حتى يقتل المنافقين ويغزيمهم، ويصعد أبو بكر المنبر ويقول: (إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإن إلهكم قد مات، وإذا كان إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت، ثم تلا **﴿وَمَا مَحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الْرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنَّقَبَتْ مِنْ عَلَيْهِ أَعْقَبِكُمْ﴾**^(١) فاستيقن المؤمنون بممات محمد ﷺ). ^(٢)

على بن أبي طالب ومعه جماعة من آل بيت رسول الله ﷺ شغلهم الشاغل القيام على جهاز رسول الله ﷺ، والكل متغير هل تجهيزه صلى الله عليه وسلم يتم كما اعتاد المسلمون أم له طريقة خاصة، وفي النهاية يلهمهم الله عز وجل أن يغسلوه ﷺ، وعليه ثيابه.

في نفس التوقيت يسرع الأنصار ليعقدوا اجتماعاً حضرته الهيئة العليا بمقر برمان الأنصار (سقيفة بنى ساعدة) ليختاروا الرئيس الذي سيتولى أمر أمة الإسلام بعد وفاة نبيها وقادتها محمد ﷺ، فقد رأى الأنصار - وبحق - خطورة أن تبقى الدولة الناشئة - ولو ساعات - بلا رئيس ينظم شئونها ويقوم على أمورها؛ فالأعداء تحيط بها من كل جانب في انتظار غفوة أو فتنة تترنح لها الدولة الوليدة

١- سورة آل عمران - آية ١٤٤

٢- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء للإمام الحافظ أبي حاتم بن حيان - تحقيق سعد كريم النقلي - دار ابن خلدون ص ٢٢١

فینقضوا عليها في مهدها فتفدو أثراً بعد عين.
كان من الطبيعي أن يختار الأنصار أحد رجالهم ليئن أمر المسلمين، وهنا تبدو ظلال العصبية الجاهلية بوضوح لا يدخله أي شك. وقع الاختيار على سعد بن عبادة، وكان يرى - ومعه قومه - أنهم الأحق بهذا الأمر من المهاجرين، فيطلق لسانه ليوضح لماذا الأنصار أولى بهذا الأمر فيقول: (.. يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين، فضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب. إن محمدأ عليه السلام لبيث بضع عشر سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد، والأوثان فما آمن به من قومه إلا رجال قليل وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله عليه السلام، ولا أن يعززوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عموا به حتى إذا أرادتكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، وخصصكم بالنعمة فرزقكم الله الإيمان به وبرسله، والمنع له، وألصحواه والاعتزاز له، ولدينه والجهاد لأعدائه. فكنتم أشد الناس على عدوه منكم، وأنقله على عدو من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطي البعير المقادمة صاغراً داخراً حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس).^(١)

على الجانب الآخر مازال على ومن معه مشغولين بجهاز رسول الله عليه السلام وقد انضم إليهم أبو بكر الصديق. خبر الاجتماع يصل إلى عمر بن الخطاب، وبتلقائيه يذهب عمر إلى منزل الرسول عليه السلام، يعلم عمر أن جميع من بالدار شغلهم الشاغل هو تجهيز الرسول عليه السلام، ولكن الأمر جد خطير وعمر يدرك بفطنته أن الأمر إذا لم يحسم الآن وبطريقة صحيحة ستكون الفتنة ومن بعدها الضياع، ويعلم عمر تمام العلم أنه لا يستطيع أن يواجه الموقف بمفرده فلابد معه من شخص قوي يسانده، وهذا الشخص الذي يبحث عنه عمر موجود بمنزل الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه غير محدد بالذات.

يصل عمر على اعتاب منزل الرسول عليه السلام، ومن يستعين؟، وبالداخل أبو بكر الصديق، وعلى كرم الله وجهه، يستطيع عمر أن يستعين بكليهما، لكنه متيقن أنه لن يشغل علياً

١ - تاريخ الأمم والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى - مراجعة وتقديم نواف الجراح - دار صادر بيروت الطبعة الأولى
٢٠٠٢ - ج ٢ - ص ٥١٤

أى شاغل عن جهاز الرسول ﷺ مهما كانت أهميته. يستقر رأى عمر على أبي بكر، فيرسل إليه عمر أن يخرج فيخبره أبو بكر أنه مشغول، فيرسل إليه مرة أخرى أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج إليه، وأخبره عمر بالأمر وأعلمه أن أحسنهم مقالة (بالسقيفة) من يقول: منا أمير ومن قريش أمير. يرى أبو بكر أن عمر على حق فكريش لن تقبل أن يكون الأمر في يد الأنصار وإذا لم يحسم الأمر سريعاً قبل أن ينتشر الخبر سيحدث ما لا يحمد عقباه، فيمضي مسرعاً مع عمر نحو السقيفة ويلقيان بالطريق عبيدة بن الجراح فيذهب ثلاثة إلى السقيفة ويلحقون بالأنصار وما زالوا مجتمعين، يبدأ أبو بكر بالكلام ويدرك فضل المهاجرين فيقول: (إنه قد عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قوم الرسول ﷺ بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم، وتكتسبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف زاد عليهم، فلم يستوحشو لقلة عددهم وشنف الناس لهم، وإجماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في الأرض وأمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده - يقصد بالإماراة - ولا يناظرهم ذلك إلا ظالم).^(١)

وبعد ذلك يذكر أبو بكر فضل الأنصار ودورهم في تكوين دولة الإسلام وتدعمها وإن كان أبو بكر يرى أن دور الأنصار أقل من دور المهاجرين درجة فينتهي من هذه المقدمة إلى هذه النتيجة: (فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم فتحن الأمراء، وأنتم الوزراء لا تفتتون بمشورة، ولا نقضى دونكم الأمور).^(٢)

ولكن يبدو أن كلام أبي بكر لم يكن مصدر إعجاب من الجميع لذا يقوم أحد الأنصار ليقول: منا أمير ومنهم أمير.

لا يرضى عمر بهذه المقوله، فكيف يتولى الأمر اثنان، يقول عمر: (هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمرورهم منهم، ولنا بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين، من ذا ينazuهم سلطان محمد ﷺ)،

وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم ومتورط في هلكه).^(١) إذن فعمر يطلب الإمارة لقريش بسبب سياسي بحت، فهم الأقرب إلى الرسول، والرسول كان هو القائد وصاحب الأمر، ومن يخلفه يجب أن يكون من عشيرته والا لن تقبله العرب، فالعصبية القبلية كانت تلعب - لازالت - دورها الحيوى في اختيار الحاكم، وتظل هي المحكمة دائمًا في كفة الميزان.

يكاد القتال أن ينشب في السقيفة، ويقوم بشير بن سعد - وهو من الأوس - بهدئ الموقف ويأتي في جانب قريش، فيطلب أبو بكر البيعة لعمر أو أبو عبيدة فيرفضان ويبايعان أبي بكر ويسقطهما إليه البشير بن سعد، فينتقده الحباب بن المنذر وهو الذي كان يقول منا أمير ومن قريش أمير، وتلعب العصبية دورها مرة أخرى ولكنها هنا تؤكد البيعة لأبي بكر فقد جاء في تاريخ الطبرى (ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعوه إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فباعوا أبي بكر فقاموا إليه فباعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم).^(٢)

فتلك اللحظة التي نهضت فيها العصبية من سباتها العميق أدت إلى انقسام الأنصار من جديد إلى أوس وخزرج، ورأت الأوس أنه لا يجب أن يكون للخزرج عليهم أى فضل فسارعوا إلى بيعة أبي بكر، فلم تكن بيعتهم عن افتئان بأن أبي بكر أولى بالإمارة بقدر افتئانهم أن الإمارة لا يجب أن تكون في الخزرج، فهي في قريش أفضل فعلى الأقل في ظل هذا الوضع سيضمن الأوس أن يكونوا على قدم المساواة مع الخزرج.

وعلى هذا وحتى هذه اللحظة نجد أن اختيار الأنصار - وبالخصوص الخزرج - لسعد ابن عبادة كان سياسياً، وطلب المهاجرين الأمر لهم كان سياسياً، وبيعة الأوس لأبي بكر كانت بيعة سياسية، فلم يغيروا اهتماماً لكونه الصديق، أو ثانى اثنين في الغار أو أنه كان إمامهم في الصلاة، ولكن الأهم أن تزول الإمارة من وجه الخزرج، وقد تم لهم ما أرادوا.

١ - المصدر السابق من

٢ - المصدر السابق من ٥١٦

ولكن نود أن نشير إلى أن اختيار الحاكم في الإسلام - بالصورة السابقة - وإن كان الباعث عليه باعثاً سياسياً بحتاً، فإننا لا ننكر بهذا أن الإسلام دين وسياسة، فلا ينبغي لنا أن ننسى أن أهم واجبات الحاكم في دولة الإسلام إقامة شعائر الإسلام والدفاع عن دولة الإسلام وأن تكون علاقته بالرعاية داخل الحدود التي رسمها لنا الرسول ﷺ.

وعلى هذا لا نستطيع أن نقول إن من شروط الخليفة في دولة الإسلام أن يكون من قريش، فاختياره من قريش كان بسبب العصبية، وأن العرب لن تقبل أن يكون الأمير عليها خارج نطاق عشيرة رسول الله ﷺ، إذ لو كان هذا الشرط من الشروط التي قال بها الإسلام لما أسرع الأنصار لاختيار الأمير منهم وهم نواة دولة الإسلام وقدمو للدولة الناشئة الكثير والكثير في سبيل نهضتها وتقديمها.

تمت البيعة إذن لأبي بكر، فيظهر على مسرح الأحداث، فيروى لنا الطبرى أن الأنصار - أو بعض الأنصار - قالت: (لا نبايع إلا علياً، والزبير يشهر سيفه ويقول لا أغمهه حتى يبايع على) ^(١)

وببدو أن الزبير - ومن معه من المهاجرين - توصل إلى أن علياً أولى بالخلافة بنفس المنطق الذى توصل به عمر بن الخطاب أن قريشاً هم الأولى بهذه الخلافة، فقد ذكرنا أن عمر قال في السقيفة (.. من ذا ينزا عننا سلطان محمد ﷺ.. ونحن أولياؤه وعشيرته..) فما بالنا وعلى أقرب لمحمد ﷺ من أبي بكر وله سبق لا ينكر في الإسلام، فالنتيجة المنطقية إذن أن علياً أولى بالخلافة، والزبير لم يشهر سيفه إلا لاعتقاده أنه على حق فيما يدعوه لعلى فالعصبية مازالت مسيطرة على الجميع.

إذن فبعض الأنصار وبعض المهاجرين والزبير، كل هؤلاء كانوا يريدون البيعة لعلى بن أبي طالب، وكان على يعلم أن الجميع يريدونه لأنهم يرون أنه هو الأحق، فهم لا يبغون تحقيق أي مصالح شخصية، لذا لم نجد أن علياً قد نهر أحداً منهم أو أغاظ عليه القول عندما كان يطلب منه البيعة، إلا أبو سفيان، فيذكر الطبرى أنه: (ما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان، وهو يقول: والله إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيما أبو بكر من أموركم أين المستضعفان؟! أين الأذلان على والعباس؟!

وقال: أبا الحسن ابسط يدك حتى أباعيك، فأبى على عليه فجعل يتمثل بشعر المتمس:

إلا الأذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته
وذا يشبع فلا يبكي له أحد

فزجره على وقال: والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شرًا لا حاجة لنا في نصيحتك) ^(١)

صدام آخر يقع بين أبي بكر وآل البيت، فقاطمة والعباس يتوجهان إلى أبي بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ، فقال لهما أبو بكر: (أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركناه فهو صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال، وإن الله لا أدع أمري رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته، فهجرته فاطمة حتى مات) ^(٢)

وعلى طوال حياة فاطمة لم يصالح أبا بكر. يقول ابن حبان في أخبار الخلفاء: (وكان على جهة من الناس حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن على، فلما رأى انصراف الناس ضرع على إلى مصالحة أبي بكر) ^(٣)

ولكننا لا نعتقد أن علىًّا صالح أبي بكر لأن شعبيته بدأت في الأفول بعد وفاة بنت الرسول ﷺ، فعلت كان أكبر من هذا، ولكن لو أردنا تحليل موقف على في مصالحته لأبي بكر بعد وفاة السيدة فاطمة لكان الأقرب إلى الواقع أن علىًّا كان يحافظ على شعور زوجته بنت رسول الله ﷺ ولم يرد أن يخدش شعورها بأن يصالح أبا بكر الذي منع عنها ميراثها من أبيها، والذي كانت تظن أنه من حقها، فلما ماتت لم يجد على بد من مصالحة أبي بكر حتى لا يكون منشقًا عن الجماعة.

يرسل على إلى أبي بكر حتى يأتيه، وهنا نجد صورة لن نجدها في عصرنا، فأخذ الرعية يرسل لرئيس الدولة حتى يعطيه صوته، ولكن العجب يزول لأن الرعية هنا على وبنو هاشم والرئيس هو أول الخلفاء الراشدين، الصديق. (فانطلق أبو بكر حتى دخل على على وقد جمع بنى هاشم عنده، فقام على وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال: أما بعد، لم يمنعنا أن نباعيك إنكاراً لفضيلتك ولا نفاسة بخير ساقه الله إليك

١ - الطبرى - ج ٢ من ٥١١

٢ - الطبرى - ج ٢ من ٥١١

٣ - ابن حبان - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء - ص ٢٤٨، والطبرى ج ٢ من ٥١١

ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا حقا فاستبدلت به علينا ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحدهم ولم يزل على يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر..) ^(١)

وقد يظن القارئ لكلمات على أن علياً كان يؤنب أباً بكر لأنَّه سلبَ الخليفة وقد كانت من حقه لأنَّه الأقرب إلى الرسول ﷺ لكن في الحقيقة نجد أنَّ علياً لم يقصد أبداً هذا المعنى، ويتبين لنا ذلك عندما نجد أباً بكر يقول رداً على كلام علي: (والله لقراة رسول الله ﷺ أحب إلى من أصل قرابتي، وإنَّ والله ما أعلم في هذه الأمور التي كانت بيني وبين علي إلا الخير ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال قرناً) وإنَّ والله لا أدع أمراً صنع فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته إن شاء الله) ^(٢)

ومن هذا يظهر لنا أنَّ علياً كان يقصد ميراث فاطمة الَّذِي منعه عنها أبو بكر الصديق، ولما كرر أبو بكر عليه حديث رسول الله ﷺ وعلى يعلم أنه الصديق ولن يفترى على الله ورسوله الكذب فلم يرد جواباً وبایع أباً بكر الصديق.

وقد يكون غضب على مقاطعته لأبي بكر وتأخيره لبيعته - علامة على السبب السابق - أنهما أى أبو بكر وعمر لم ينتظرا علياً وباقى بن هاشم لحين الانتهاء من جهاز رسول الله ﷺ ليشتراكوا معهم في اختيار خليفة رسول الله ﷺ، فقد ظن على ومعه بنو هاشم أنَّ أباً بكر وعمر بهذه الفعلة قد سلبوهم حقهم ولم يعيروا لهم أى اهتمام بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولكن وكما أوضحتنا فإنَّ الأمر كان في غاية الاستعجال ولا يتحمل البقاء لأيام أو لساعات بلا إبرام (فقد شدت العرب إما عامة، وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم التفاق واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم، وقتلهم وكثرة عدوهم..) ^(٣)

وقد يقول قائل إنَّ الرسول ﷺ قد استخلف علياً، ولكن علياً لم يشاً أن يطلب الأمر لنفسه ليقى المسلمين شر الفتنة. على نفسه ينكر هذا الأمر، فقد سُئل على ما قدم البصرة إبان خلافته (أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك؟ فحدثنا فأنت المؤتوق

١ - ابن حبان - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء - ص ٢٤٨، والطبرى ج ٢ ص ٥١١

٢ - ابن حبان - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء - ص ٢٤٨

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ٢١٧

المأمون على ما سمعت، فقال: أما أن يكون عندي عهد من النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك فلا، والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي عليه الصلاة والسلام عهد في ذلك - أى الإمارة - ما تركت أخا بني تميم بن مرة - يعني أبي بكر - وعمر بن الخطاب يقمان على منبره، ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردى هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً، ولم يتم فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي، يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاوة، فيأمر أبو بكر فيصل إلى الناس، وهو يرى مكانى، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر، فأبى وغضب، وقال: أنت صواحب يوسف، مروا أبو بكر يصل إلى الناس، فلما قبض الله نبيه ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا لدينا من رضيه نبي الله ﷺ لدينا، وكانت الصلاة أصل الإسلام.. فبایعنا أبو بكر، وكان لذلك أهلاً، لم يختلف عليه منا اثنان) ^(١)

إذن - وعلى لسان علي - لم يكن هناك عهد من رسول الله ﷺ لعلي، ولو كان الأمر كذلك ما تنازل علي عن حقه ليس حباً في الإمارة، ولكن لأن العهد في رسول الله ﷺ سيكون عهداً من السماء لأنه ﴿نَّا مَلِكُ الْمُلْكَ وَمَا يَطِيقُونَ﴾ ^(٢) وسيكون لهذا العهد بعداً دينياً لن يتراجع عنه علي حتى يتم له.

ورواية أخرى تظهر لنا مدى صفاء العلاقة بين علي وأبى بكر (فقد جاء الحسن بن علي إلى أبى بكر وهو على منبر النبي ﷺ فقال: انزل عن مجلس أبى، فقال: صدقت إنه مجلس أبىك، وأجلسه في حجره، وبكى، فقال علي: والله ما هذا عن أمرى فقال: صدقت، والله ما أنتهكم) ^(٣)

يشعر أبو بكر بقرب المنية فيخشى على المسلمين أن يتعرضوا ل الفتنة لا يقدرون على احتيازها، فما حدث في السقيفة كان فلتة لا يضمن أبو بكر تكرارها (فدعنا نفرأ من المهاجرين والأنصار ليستشيرهم في عمر.. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أبا محمد أخبرنى عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلطة، فقال عبد الرحمن بن عوف: ذلك لأنه رأىلينا فاشتد) ^(٤)

١ - السبوطي - تاريخ الخلفاء دار الجيل - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م من ٢٠٩ - ٢١٠

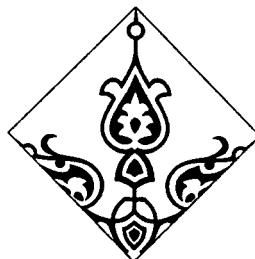
٢ - سورة النجم الآيات ٤، ٣

٣ - السبوطي - ص ٩٤

٤ - ابن حبان - ص ٢٦٠

(وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال: لما نقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة، فقال: أيها الناس، إنى قد عهدت عهداً، أفترضون به؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله، فقام على، فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر، قال: فإنه عمر) ^(١) جاءت إذن بيعة عمر هادئة بفضل حكمة أبي بكر، ولم تلحظ في مدة خلافة عمر أى ظهور لشيعة علي بن أبي طالب على عكس ما حدث بعد وفاة رسول الله ﷺ من ظهور بعض الأنصار لعلي.





الْفَضْلُ الْثَّانِي

خلافة عثمان

خلافة عثمان

عمر بن الخطاب ينظم صفوف المسلمين ويسيوها لصلاة الصبح. يكبر عمر ويتسلى من بين الصفوف أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصراً، ويطعن عمر في مقتل. يتيقن عمر أنه الموت ويعتار عمر كيف ينظم أمر دولة الإسلام حتى تسلم الراية إلى غيره في سلام فأى سبيل يتبع فتجده يقول: إن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبو بكر - وإن ترك فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله ﷺ. فيختار عمر بن الخطاب ستة والجميع مبشرون بالجنة ليطمئن أنه أحسن الاختيار لأمة الإسلام، وحتى يلقى ربه وهو عنده راض، هؤلاء الستة هم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله. فالجميع يصلح للخلافة لكن لن يختار منهم إلا خليفة واحد. لا ينسى عمر أن يشرك الأنصار في الأمر، فيقول لأبي طلحة الأنصاري: (يا أبا طلحة، إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم فاختار خمسين رجلاً من الأنصار فاستحب هؤلاء الرهط - أى الستة - حتى يختاروا رجلاً منهم) ويقول للمقداد بن الأسود: (إذا وضعتموني في حضرتى فاجمع هؤلاء الرهط في بيته حتى يختاروا رجلاً منهم) وبالفعل جمع المقدار أهل الشورى وهم خمسة لغياب طلحة بن عبد الله، ولكن كان يبدو من البداية أن المنافسة بين علي وعثمان شديدة وكلاهما يطلب الأمر لنفسه، فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلى عليه، فقال عبد الرحمن: كلا كما يحب الإمرة لستما من هذا في شيء هذا صهيوب استخلفه عمر يصلى بالناس

ثلاثة أيام حتى يجتمع الناس على إمام.

يعرض عبد الرحمن بن عوف على الأربعة الباقيين عرضاً كان من الصعب أن يقبله أيهم، فيقول: (أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد، فقال أنا أنخلع منها) فيوافق الجميع ويشرط على بن أبي طالب على عبد الرحمن لا يتبع هوى في نفسه.

وبهذا الاقتراح العقلاني من عبد الرحمن حدد لهم كيفية اختيار الخليفة الثالث، فعلى الجميع أن يبايع من سببوا له عبد الرحمن وأخذ مواثيقهم على هذا.

وبكل حكمة يخرج عبد الرحمن كل من الزبير وسعد من الأمر، فخرجا على أن يجعلان نصيبهما لعل، وفي رواية أخرى لعثمان وفي رواية ثالثة أن الزبير اختار علياً أو عثمان، المهم أن الأمر كان يتراجع بين علي وعثمان.

عبد الرحمن يقف فوق المنبر، الكل ينتظر لحظة إعلان الخليفة الجديد للMuslimين، يعلم الجميع أن الخليفة إما علي، وإما عثمان. عبد الرحمن هو المتحكم الآن، فلن يستطيع أحد أن يتراجع عن اختياره - خاصة بعدأخذ مواثيقهم - وإن استحدث الفتنة. تكلم عبد الرحمن من فوق المنبر (أيها الناس أنى قد سألتكم سراً وجهاً عن إمامكم فلم أجدهم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما على، وإما عثمان، فقم إلى يا على، فقام إليه على، فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده، فقال: هل أنت مبایعی على كتاب الله وسنة نبیه ﷺ، وفعل أبی بکر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتی، قال: فأرسل يدہ، ثم نادی: قم إلى يا عثمان، فأخذ بيده وهو في موقف على الذي كان فيه، فقال: هل أنت مبایعی على كتاب الله، وسنة نبیه ﷺ، وفعل أبی بکر وعمر؟ قال: اللهم نعم، فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويدہ في يد عثمان، ثم قال: اللهم اسمع واسهد، اللهم إنی قد جعلت ما في رقبتی من ذاك في رقبة عثمان، فازدحم الناس ببايعون عثمان حتى غشوہ، فجعل الناس ببايعونه، وتلکأ على، فقال عبد الرحمن: **(فَمَنْ تَكَّفَ فَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْقَدَ مَاعَهُ دَعَيْهُ اللَّهُ فَسَبُّهُ بِمَا أَجْرَأَ عَظِيمًا)**^(۱) فرجع على يشق الناس حتى بايع

وهو يقول: خدعة، وأيما خدعة!) (١)

لماذا رأى على أن بيعة عثمان وتخطيطه تعتبر خدعة؟ هنا يظهر داهية العرب عمرو ابن العاص، (فقد لقى علياً في ليالي الشورى) فقال (إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وأنه متى أعطيته العزيمة كان أزهد فيك، ولكن الجهد والطاقة فإنه أرحب له فيك، ثم لقى عثمان فقال: إن عبد الرحمن رجل مجتهد، وليس والله يباعيك إلا بالعزيمة، فاقبل) (٢)

والرواية السابقة محل شك، فعلت لو كان على قدرة أن يأخذ بالعزيمة ما كان ليمنعه المكيدة التي رسمها له عمرو بن العاص حتى يضيع منه الأمر، فعلت كان لا يريد أن يأخذ على نفسه عهداً قد لا يستطيع أن يوفيه في كل أموره فكان رده على عبد الرحمن ابن عوف أكثر واقعية من رد عثمان فقد قال: (على جهدي من ذلك وطاقتى) فإن وفق في كل أمره كان خيراً، وإن أخفق في البعض فلا يكون قد تحلل من عهده. ولكن جميع الروايات تفيد أن علياً ومعه آل بيته رسول الله ﷺ - كان يريد الأمر له، فقد كان يرى أنه الأحق بهذا الأمر من عثمان وغيره، لعل قول على إنها خدعة لأنه رأى أن عبد الرحمن بن عوف قد استغل رد على بأن أعطى البيعة لعثمان، ففي إحدى الروايات أن علياً قال لعبد الرحمن - على إثر بيعته لعثمان - (حبوه حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليكم والله كل يوم هو في شأن، فقال عبد الرحمن: يا على، لا تجعل على نفسك سبيلاً، فإني قد نظرت وشاورت الناس، فإذا هم لا يعدلون بعثمان.. ويقول على: إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول إن ولی عليكم بنوهاش لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها) (٣)

فعثمان إذن في رأى على ليس أهلاً لهذه الخلافة، ويشعر على أنها أخذت منه عنوة وأذاع سريرته على الملا، وحلل الموقف تحليلاً سياسياً، فمن ناحية لم تكن رغبة على في الخلافة لعقيدة دينية أى لعهد من رسول الله، ولكن علياً يرى أنه الأسبق في الإسلام

٢١ - الطبرى - ج ٢ ص ٧٥٤

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ٧٥٢

والأفضل، ومن ناحية أخرى فقد رأى أن رفض عبد الرحمن - ومن اختار عثمان - لبيعته ومباييشه عثمان إنما كانت لمحاباة عثمان ولأن الناس تظن أن الخلافة لو دخلت بيت بنى هاشم ما خرجت منها. ويتذكر على هذه البيعة بعد أن بايعه الناس بعد وفاة عثمان فيقول: (فلما قبض - أى عمر بن الخطاب - تذكرة في نفسي قرابتى وسابقتنى وسائلقنى وفضلى، وأنا أظن أن لا يعدل بي.. فلما اجتمع الرهط ظننت أن لا يعدلوا بي، فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع من ولاه الله أمرنا، ثم أخذ بيده عثمان، وضرب بيده على يده فنظرت في أمري، فإذا طاعتى قد سبقت بيتعى، وإذا مياثاقى قد أخذ لغيرى...) ^(١)

كان على يرى دائمًا أنه الأسبق وأنه الأعلم من عثمان في شتى فروع الدين، لهذا كان هو الأولى بالخلافة، فيروى أن عثمان اعتمر في رجب وخرج معه عبد الله بن جعفر والحسين بن علي فمرض الحسين بالطريق وبقي معه عبد الله بن جعفر وبعث إلى علي يخبره بذلك، فخرج على في نفر من بنى هاشم وأقام على الحسين يمرسه، يؤدى عثمان العمرة ويمر بعلي بن أبي طالب في منصرفة وهو يمرض الحسين، فقال عثمان: (قد أردت المقام عليه حتى تقدم، ولكن الحسين عزم على وجعل يقول: امض لرهطك، فقال على: ما كان ذلك بشيء يفوتك - أى كان يجب عليك المقام - هل كانت إلا عمرة! إنما يخاف الإنسان فوت الحج، أما العمرة فلا، فقال عثمان: إنني أحببت أن أدرك عمرة في رجب، فقال على: ما رأيت رسول الله ﷺ اعتمد في رجب فقط، وما اعتمر عمراته الثلاث إلا في ذى القعدة...) ^(٢) وواقعة أخرى يذكرها الواقدي فيقول: (إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه صلى الله عليه وسلم اعتمد في ولايته ركتعين حتى إذا كانت السنة السادسة (في ولايته) أتمها (أى جعلها أربعين) فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي ﷺ .. حتى جاء على فيمن جاءه فقال: (والله ما حدث أمر ولا قدم عهد ولقد عهدت نبيك ﷺ يصلى ركتعين، ثم أبا بكر، ثم عمر وأنت صدرأً من ولايتك فما أدرى ما ترجع إليه فقال: رأى رأيته) ^(٣)

١ - السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٢١٠

٢ - ابن حبان - ص ٢٩٢، ٢٩١

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ٧٦٢

واقعة ثلاثة تدل على مدى التفاوت في العلم بين عثمان وعلى بن أبي طالب، (فقد رجم عثمان امرأة من جهينة أدخلت على زوجها فولدت في ستة أشهر من يوم أدخلت عليه فأمر بها عثمان فرجمت، فدخل على عثمان فقال له: إن الله يقول: ﴿فَحَلَهُ وَفَصَنَّلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١)) يعني على أن مدة الفصال عامان أربعة وعشرين شهراً فيتبقى ستة أشهر هي أقل مدة للحمل، فأرسل عثمان في طلب المرأة فوجدوها قد رجمت فاعترف الرجل بالغلام، وكان أشبه الناس به)^(٢)

القرارات والأحكام الدينية الخاطئة التي صدرت عن عثمان كانت تقوى الشعور لدى على ومريديه بأنه - أى عثمان - لم يكن هو الأولى بهذه الخلافة من على، فال الخليفة - وقد كانت له صلاحيات قضائية - يجب أن يكون على قدر كبير من العلم بأوامر الدين ونواهيه، ويكون لديه القدرة على استنباط الأحكام، وخطأ عثمان قد أدى إلى الذهاب بحياة امرأة بريئة.

وإذا ذهبنا إلى ميدان السياسة نجد أن عثمان قد اتخذ عدة قرارات كانت سبب النكمة عليه فعثمان قد بدأ يستعين بأقاربه، ويوليهم الإمارات. فبدأ بعزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة، وولى الوليد بن عقبة وهو صاحب أخو عثمان لأمه وذلك أول ما نقم عليه لأنه آثر أقاربه بالولايات، وكان ذلك سنة خمس أو ست وعشرين من الهجرة.^(٣) وفي سنة تسع وعشرين يعزل أبا موسى الأشعري عن البصرة ويوليها عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خال عثمان.^(٤)

وفي سنة ثلاثين يشن أبوذر الغفارى حرباً شعواء على أغنياء الشام وجعل يقول: (يا عشر الأغنياء، واسوا الفقراء، بشر الذين يكتنون الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله بمكافأ من نار تكون بها جباههم وجنوبيهم وظهورهم، فمازال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الأغنياء وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس) فيكتب معاوية إلى عثمان بذلك ويأمر عثمان بإرسال أبي ذر إلى المدينة ومعه دليل،

١ - سورة الأحقاف - آية ١٥

٢ - ابن حبان - ص ٢٩٤

٣ - السيوطي - ص ١٨٢، ١٨٣ . والطبرى ج ٢ - ص ٧٥٩

٤ - الطبرى - ج ٢ ص ٧٦٢

ويخبره أنه يأخذ من الأغنياء ما على الرعية وأنه لا يستطيع أن يجبرهم على الزهد، ويرفض أبوذر البقاء بالمدينة فنزل الريذة وظل بها حتى مات، فيعتبر الصحابة أن هذا يعد نفياً وإبعاداً لأبي ذر الغفارى أول اشتراكي في الإسلام.

الفتنة وقتل عثمان:

عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن الإسكندرية ومصر، وولاهما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فحزن عمرو لذلك وكان بدء الشر بينه وبين عثمان^(١) لم يستسلم عمرو بن العاص لهذا القرار وهو داهية العرب، (فكان يأتي عليه مرة فيؤله على عثمان، ويأتي الزبير مرة فيؤله على عثمان وكذلك فعل مع طلحة، ويعترض الحاجاج يخبرهم بما فعل عثمان، ويقول (إني كنت لأحرض عليه، إني لأحرض عليه الراوى في غنمه في رأس الجبل..))^(٢)

والمصريون كانوا يكرهون عبد الله بن أبي سرح ويطلبون عزله. ويزداد عدد الكارهين لخلافة عثمان بل ويصل الأمر إلى حد التطاول عليه (فقد مر عثمان بجبلة بن عمرو الساعدي وهو جالس في قومه، وفي يد جبلة بن عمرو جامعة فلما مر عثمان سلم فرد القوم، فقال جبلة، لم تردون السلام على رجل فعل كذا وكذا ثم أقبل عثمان، فقال: والله لأطرح هذه الجامعة في عنقك أو لتركن بطنتك هذه، فقال عثمان: أى بطانة فوالله إنى لأتخير الناس: فقال: مروان تخيرته ومعاوية تخيرته وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح تخيرته منهم من نزل القرآن بدمه، وأباح رسول الله عليه السلام دمه)^(٣)

تنبع الهوة بين الخليفة عثمان بن عفان وبين الرعية، فيجد أعداء الإسلام في هذا ضالتهم، فيبدأون التحرك على الفور، وهنا يظهر عبد الله بن سبا وهو يهودي من أهل صنعاء أسلم زمان عثمان - أو لنقل تظاهر بالإسلام (وكان ينتقل في بلاد الإسلام ليضلهم، فيبدأ بالحجاج ثم البصرة ثم الكوفة، ثم الشام فلم يقدر على

١ - ابن حبان - ص ٢٩٠

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٧٨

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ٨٠١

ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر) ^(١)

ويظهر أنه قد وجد في مصر ما يبحث عنه، فهم لا يرضون عن واليهم، ويطلبون عزله، وناقمون على عثمان، وقلوبهم تميل نحو على بن أبي طالب رضي الله عنه، فكانت التربة محمدة لزرع بذور الفتنة، فأظهر التشيع على بن أبي طالب، وسميت أتباعه بالسبئية، ولكن لم يكن تشيعه على عن إيمان بأن علياً الأصلح وأنه الأولى بالخلافة من عثمان، ولكن كان كل ما يسعى إليه هو إثارة الفتنة لتمزيق دولة الإسلام، وبعد كتاب الشيعة القدامي فرقة السبئية من الفرق التي غالبت في القول بالتشيع فوصلت إلى حد التطرف ^(٢) ولهذا لا نستطيع القول بأن أصل التشيع نبع من اليهودية، لأن التشيع على ~~طريقه~~ كان موجوداً - كما أسلفنا - قبل اجتماع السقيفة، وظهر بصورة أكبر بعد وفاة عمر بن الخطاب ~~طريقه~~، فتشيع عبد الله بن سبا - كان إذن وسيلة - غايتها تمزيق دولة الإسلام.

(أتى عبد الله بن سبا مصر وكان يقول: (العجب من يزعم أن عيسى يرجع ويكتب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ لِرَادِكُمْ إِلَى مَعَارِفِهِ﴾) ^(٣) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي وكان على وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم من لم يجز وصي رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحرقوه وابدووا بالطعن على أمرائهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر...) ^(٤)

مؤامرة اليهود إذن - في شخص عبد الله بن سبا - كانت تسير في اتجاهين متوازيين أولهما اتجاه العقيدة، فقد أذاعوا القول برجعة محمد ﷺ وأنه أوصى لعلى، وثانيهما

١ - الطبرى - ج ٢ من ٧٩١

٢ - انظر كتاب فرق الشيعة للنويجى والتىمى تحقيق د. عبد المنعم الحفنى ص ٢٢

٣ - سورة القصص - آية ٨٥

٤ - الطبرى - ج ٢ من ٧٩١

الاتجاه السياسي، فعلت أولى من عثمان - بل وكان أولى من أبي بكر وعمر - وقد اغتصبت منه الخلافة عنوة. ولما كان اليهود على يقين أن الإسلام دين وسياسة، وأنهما لا ينفصلان فكان لا مفر من السير في الاتجاهين معاً؛ لأن الاقتصار على اتجاه واحد لن يولد الفرقة والانقسام بالقدر الكافي، وللأسف تحقق لهم ما سعوا إليه وحددوا ثماره وما زالوا يحصدونها حتى الآن.

لعب بنو أمية الدور الأكبر في هذه الفتنة، وقد رأينا ما فعله عمرو بن العاص من أعمال التحرير على عثمان، وهنا يظهر مروان بن الحكم يطلب من عثمان الخروج إلى الناس المجتمعين بالباب فيرفض عثمان الخروج استحياء منه ويطلب من مروان الخروج إليهم بدلاً منه، فيخرج مروان ويكملهم - مع علمه أن الأمر قد بلغ ذروته وأن الجميع عليه وشك الانفجار - بأغلظ الكلام فتجده يقول: (ما شأنكم قد اجتمعتم لأنكم قد جئتم لنهب، شاهت الوجوه كل إنسان أخذ بأذن صاحبه ألا من أريد جئت تريدون أن تزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عننا أما والله لئن رُمْتُمُونا ليمرن عليكم مما أمر لا يسركم ولا تحمدون غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإنما والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا) ^(١)

كأن بنى أمية قد وضعوا المخطط لتكون الخلافة والأمر لهم بعد عثمان، بل إنهم يعتقدون أن هذا الأمر أصبح لهم بالفعل، وفهمرون يقول: (.. تريدون أن تزعوا ملكنا..) ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا وكيف لا؟ فقد استأثروا بالولايات في عهد عثمان ومعاوية معه جند الشام، فالسلطة والقوة معهم ولن يستطيع أحد أن ينزع الأمر منهم.

يعلم على ~~تعجبه~~ بما قاله مروان فيذهب إلى عثمان معتاباً .. والله ما مروان بذى رأى في دينه ولا نفسه وائم الله إنى لأزاه سيورنك، ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبك أذهب شرفك وغلبت على أمرك) ^(٢)

أرسل عثمان كتاباً إلى ابن أبي سرح وهدده فيه، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل تهديد عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان متظلماً وقتل رجلاً من المتظلمة، فخرج من

أهل مصر سبعمائة رجل حتى قدموا المدينة وشكوا لأصحاب رسول الله ﷺ . ودخل على بن أبي طالب على عثمان فقال: (سألوك رجلاً مكان رجل وقد ادعوا قبله دما، فاعزله واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه) ^(١)

وأشار الناس على عثمان بأن يولى على المصريين محمد بن أبي بكر، فخرج ابن أبي بكر معهم ومعه العهد من عثمان، وفي الطريق يلقون غلاماً يعرفون عنه أنه أرسل إلى ابن أبي سرح ومعه كتاب، وفكوا الكتاب فإذا فيه: (إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابه، وقر على عملك، واحبس من يجيء إلى بتظلم منك حتى يأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله) ^(٢)

أنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال: (هذا مفتعل، قالوا: الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك قال: أجل، ولكنه خرج بغير إذني، قالوا: فالجمل جملك قال: أجل ولكنه أخذ بغير علمي قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبت بطانتك لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته) ^(٣)

المهم في الأمر أن الكتاب قد كتب بخط مروان بن الحكم، فكيف يعزل أحد أمراء بنى أمية والأمر أمرهم.

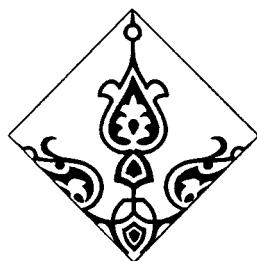
فشا الخبر في المسلمين بأمر الكتاب وحوسر عثمان وضيق عليه المصريون والبصريون وأهل الكوفة بكل حيلة ولم يدعوه يخرج ولا يدخل إليه أحد. تصور بعض القوم الحائط حتى دخلوا على عثمان في داره وقتله أحدهم وكان قتله سنة ٣٥ من الهجرة.



١ - ابن حبان - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء - ص ٢٩٧

٢ - ابن حبان - ص ٢٩٨

٣ - تاريخ الطبرى - ج ٢ ص ٨٠٥



الْفَضْلُ الْثَالِثُ

خلافة على بن أبي طالب

خلافة على بن أبي طالب

يقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه أصبح المسلمين في مأزق حقيقي، فالوضع هذه المرة مختلف تمام الاختلاف، فإن كان عمر قد قتل أيضاً فإن قتله لم يكن لأحد المسلمين دخل فيه فلم يمالي أحد المسلمين على قتله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أبو بكر الصديق قد أخذ العهد لعمر بن الخطاب، وعمر جعلها شورى واختار ستة نفر يكون منهم الخليفة، أما عثمان فلم يأخذ عهداً ولم يختر، والوضع غاية في الخطورة فقد انقسم المسلمين - على إثر قتل عثمان - إلى فريقين كبيرين، فريق يرى أن عثمان قُتل ظالماً، وفريق يرى أنه قتل مظلوماً، فكانت فتنة كبرى تفوق فتنة الردة، فمن ذا الذي يستطيع أن يقود زمام أمّة الإسلام ويظهر تربتها من بذور الفتنة التي زرعت بها (.. فيأتي المصريون علياً فيختبئون منهم ويلوذ بحيطان المدينة فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه فأرسلوا إليه رسلاً فباعدهم وتبرأ من مقالتهم ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم...) ^(١)

لم يكن اختيار أي من الثلاثة ياجماع جميع المسلمين، فكل قومية كانت تختار من يميل إليها قلبها، فالمصريون يميلون إلى علي، والكوفيون يميلون إلى الزبير، والبصريون إلى طلحة، ولو رضى أحدهم وبایع - في هذه اللحظة - لعظمت الفتنة ولحدث التناحر. ولما طال الأمر والمسلمين بلا خليفة (أتنى الناس علياً يهرعون إليه. كلهم يقولون: أمير

المؤمنين على، حتى دخلوا عليه داره وقالوا: نباعيك، فإنه لابد من أمير وأنت أحق، فقال على، ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليه يطلبون البيعة وهو يأتى عليهم، فجاء الأشتر بن الحارث النخعى إلى علىٰ عليه ف قال له: ما يمنعك أن تجيب هؤلاء إلى البيعة؟ ف قال لا أقبل إلا عن ملأ وشورى..)^(١)

وكان علىٰ محقاً في رفضه، فعلىٰ بعقله وفطنته يدرك عواقب قتل عثمان وأن الأمر لا ينتهي بمجرد اختيار خليفة جديد للمسلمين، فكان يقول: (دعوني والتمسوا غيري فإنما مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، فقالوا: ننشدك الله! ألا ترى ما ترى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله! ف قال: قد أجبتكم لما أرى واعلموا إن أجبتكم ركبتم ما أعلم وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا إني أسمعكم وأطوعكم ملن وليتموه أمركم))^(٢)

حضر علىٰ المسجد حتى تكون البيعة على الملا والأعلم بها الجميع، طلحة والزبير كارهان لهذه البيعة. ذهب الأشتر فجاء بطلاحة فقال له: (دعنى أنظر ما يصنع الناس فلم يدعه وجاء به يتله تلاً عنيفاً وصعد المنبر فبأي، وجاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى باي))^(٣) تمت البيعة لعلى بن أبي طالب عليه ولكن أبداً لم يستقم له الأمر، فطلحة والزبير وعائشة من جهة، ومعاوية ومعه أهل الشام من جهة أخرى يريدون التأثير من قتلة عثمان، فالبعض يرى أن علىٰ عليه ألب الناس على قتل عثمان، والبعض الآخر يرى أن علىٰ وإن لم يؤلب الناس فإنه على الأقل قعد عن نصرته، فكل فريق اتخاذ له ذريعة لخلع علىٰ والقضاء على السبيئة باعتبارهم قتلة عثمان، وشيعة علىٰ موقفون أنه على الحق وأن الآخرين على الباطل، وهناك من كان يبحث عن صالحه في كل هذا فيرى أي الفريقين سيكون له النصر حتى يكون اختياره صحيحاً، فها هو المغيرة بن شعبة يتحسس سير الأمور حتى يعلم أين موقعه، فيدخل على علىٰ ويقول: (يا أمير المؤمنين إني أرى من الناس بعض التثاقل فيك، فأرأى أن تأتي بجمل ظهر فتركبه

١ - ابن حبان - ص ٣٠٣

٢ - الطبرى - ج ٢ - ص ٨٢٩، ٨٢٨

٣ - الطبرى - ج ٢ - ص ٨٢٩، ٨٢٨

وترکض فی الأرض هارباً من الناس، فإنهم إذا رأوا ذلك منك ابتعوا جمالاً أظہر من جمالك وخیولاً، ثم رکضوا فی أثرك حتى يدركوك حينما كنت ویقلدوك هذا الأمر علی اجتماع منهم شئت أم أبيت، فإن لم تفعل هذا فأقر معاویة علی الشام كله واكتب إلیه كتاباً بذلك تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه وأعلمك أنك ستكون له خيراً من عمر وعثمان، واردد عمرو بن العاص علی مصر، واذکر فی كتابك شرفه وقدمه، فإنه رجل عن البلاد والناس، ثم تبعث بعاملين وتقرهما عندك، فإن أبيت فاخذ من هذه البلاد فإنها ليست ببلاد كراع وسلاخ فقال علی: أما ما ذكرت من فرارى من الناس فكيف أفر منهم وقد بايعوني، وأما أمر معاویة وعمرو بن العاص فلا يسألني الله عن إقرارهما ساعة فی سلطانی **فَوَمَا كُنْتُ مُتَحِّذِّلَّ مُغْرِبِيَّنَ عَصِيدَهُ**^(١) وأما خروجي من هذه البلاد إلى غيرها فإبني ناظر فی ذلك ^(٢)

يتأند المغيرة - وهو أحد دهاء العرب - أن الأمور لن تستقيم لعلی، فيعود له فی اليوم التالی وهو عازم على الخروج إلى الشام واللحاق بمعاویة وعمرو بن العاص، حيث ذهب عمرو ليساند معاویة، فيغير المغيرة نصحه ويقول لعلی: (يا أمیر المؤمنین أشرت عليك بالأمس فی رأيي بمعاویة وعمرو، إن الرأی أن تعالجهم بالنزع وستعين بهن تشق به) ^(٣)

كان علی مثالیاً فی تفكیره وكان يربط السياسة بالأخلاق، وكان يطلب - هو ومن شایعه - الآخرة ويزهد فی الدنيا، فهو على يقین أن رأی المغيرة الأول هو الصواب ولكنه خشی سؤال الله عز وجل، أما معاویة ومن شایعه فقد طلبوا الدنيا وتركوا الآخرة وهم معترفون بذلك، فها هو عمرو بن العاص يدعو ولديه محمداً وعبد الله ليأخذ رأيهما مع من يكون، مع علی أم مع عثمان، فقال: (قد بلغكم من قتل عثمان رضی الله عنه وبيعة الناس لعلی وما يرصد معاویة من مخالفة علی فما تريان؟) فقال عبد الله بن عمرو: توفی النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو عنك راض، وتوفی أبو بکر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو عنك راض، وتوفی

١ - سورة الكھف - آیة ٥١

٢ - ابن حبان - ص ٢٠٦، ٢٠٥ والطبری - ج ٢ ص ٨٢٩

٣ - ابن حبان - ص ٢٠٦، ٢٠٥ والطبری - ج ٢ ص ٨٢٩

عمر رضي الله عنه وهو عنك راض أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام فتباعه، وقال محمد بن عمرو: أنت ناب من أنىاب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر، فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بالذى هو خير لآخرتى وأسلم فى دينى وأما أنت يا محمد، فأمرتى بالذى أنبه لى فى دينى وشر لى فى آخرتى. ثم خرج عمرو بن العاص ومعه ابناءه إلى الشام لمساندة معاوية^(١)

موقعة الجمل:

طلحة والزبير وعائشة على اعتقاد أن السبئية وكل من شابع علياً - بل وعلى نفسه - مشترك في قتل عثمان، يترك عبد الله بن عامر بن كريز البصرة ويلحق بطلحة والزبير بالمدينة فقال له: (لا مرحباً بك ولا أهلاً تركت العراق والأموال، وأنيت المدينة خوفاً من على، ووليتها غيرك، واتخذت الليل جملأ، فهلا أقمت حتى يكون لك بالعراق فئة، قال ابن عامر: فأما إذا قلتـا هذا فلكلـا مائة ألف سيف وما أردـا من مال)^(٢) ويلتقي على بطلحة والزبير قبل موقعة الجمل محاولاً الإصلاح فيسألـهما (هل من حدث أحلـ لكـا دمى؟) فقال طلحة: ألبـ الناس على عثمان رضـ الله عنهـ، قال علىـ: يا طلحة تطلبـ بدمـ عثمان رضي الله عنه فلعنـ الله قـتـلة عـثمانـ. يا زـبـيرـ، أـتـذكرـ يومـ مرـرتـ معـ رسولـ الله صلـ الله عـلـيـهـ وـسـلـيـلـهـ فـبـنـي غـنمـ فـنـظـرـ إـلـى فـضـحـكـ وـضـحـكـتـ إـلـيـهـ فـقـلـتـ: لاـ يـدـعـ اـبـنـ أـبـي طـالـبـ زـهـوـهـ، فـقـالـ لـكـ رسولـ الله صلـ الله عـلـيـهـ وـسـلـيـلـهـ (صـهـ إـنـهـ لـيـسـ بـهـ زـهـوـ وـلـتـقـاتـلـهـ وـأـنـتـ لـهـ ظـالـمـ) فـقـالـ الزـبـيرـ: اللـهـمـ نـعـمـ وـلـوـ ذـكـرـتـ مـا سـرـتـ مـسـيـرـ هـذـا وـالـلـهـ لـاـ أـفـاتـلـكـ أـبـداـ^(٣)

يذهبـ الزـبـيرـ إـلـى عـائـشـةـ وـيـخـبـرـهـ أـنـهـ لـنـ يـحـارـبـ عـلـيـاـ، فـيـقـولـ لـهـ اـبـنـ عـبدـ اللهـ: (جـمـعـتـ بـيـنـ هـذـيـنـ الـفـارـيـنـ حـتـىـ إـذـا حـدـدـ بـعـضـهـمـ لـبـعـضـ أـرـدـتـ أـنـ تـرـكـهـمـ وـتـذـهـبـ، كـفـرـ عـنـ يـمـينـكـ وـقـاتـلـهـ، فـدـعـاـ بـغـلامـ لـهـ، يـقـالـ لـهـ مـكـحـولـ، فـأـعـتـقـهـ فـقـالـ عـبدـ الرـحـمـنـ بـنـ سـلـيـمانـ

التيـمىـ:

١ - الطبرى - جـ ٢ - من ٨٧٧، ٨٧٨

٢ - ابن حبان - من ٢٠٨

أعجب من مكرر الإيمان
لأم أركاليوم أخا إخوان
بالعتق في معصية الرحمن^(١)

في حين يعتقد على أن الزبير قد خرج من هذا الأمر نجد أن الزبير قد تحايل كى يتخل من اليمين التي أعطاها لعلى، كان على يعتقد أن الإيمان مازال بالنفوس على قوته لم يتزعزع، يعتقد أن الجميع مثله لا يعملون إلا للأخرة، وكان حتى آخر لحظة يأمل فى الصلح وكان ينادى (لا تقتل مدبراً، ولا تذرف على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن) ^(٢)

وثمة رواية أخرى تثبت أن علياً لم يكن ليرغب فى القتال حتى أن أحد شيعته تردد - وإن لم يطل تردد - هل هو على حق أم على باطل؟ مع من يحارب ضد من؟ (فقد قتل ابن جرموز الزبير ثم أتى علياً يخبره فقال على: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قاتل ابن صفية - أى الزبير - فى النار) فقال ابن جرموز: إن قاتلنا معكم فتحن فى النار وإن قاتلناكم فتحن فى النار ثم بعج بطنه بسيفه فقتل نفسه) ^(٣)

يكتب النصر لعلى وشيعته ويبعث على بعائشة مع نساء من أهل العراق إلى المدينة ويقيم بالبصرة خمسة عشر يوماً ثم يخرج إلى الكوفة، وولى على البصرة عبد الله بن عباس.

المواجهة بين على عليه السلام وبين معاوية :

كان الستار الذى يسترب به معاوية بن أبي سفيان فى مناهضة على بن أبي طالب عليه السلام هو المطالبة بدم عثمان عليه السلام، أما الهدف الحقيقى لمعاوية - ولكل بنى أمية - إلا يخرج الأمر من أيديهم، لأنهم كانوا يشعرون - حتى قبل قتل عثمان - أن هذا الأمر لن يخرج منهم ويجب إلا يخرج منهم، فقد رأينا كيف أن مروان خطب فى الناس قائلاً (.. جئتم تريدون أن تترزوا ملوكنا من أيدينا ..)

ومنذ البداية وقبل قتل عثمان اتهم بنو أمية على بن أبي طالب أنه هو المحرك الأول

١ - الطبرى - ج ٢ - ص ٨٥٥

٢ - ابن حبان من ٣١٣، ٣١٤

٣ - ابن حبان من ٣١٣، ٣١٤

لهذه الأحداث - نظراً للدور الذي لعبه السبئية - لأن علياً كان هو المنافس الأول لعثمان قبل أن يستتب له الأمر والأمر سيئول إليه حتماً بعد موت عثمان إلا إذا أعادت بنو أمية ترتيب أوراقها حتى يظل الأمر فيهم، وقد جاء في تاريخ الطبرى أن الناس رموا عثمان بالحصباء حتى غشى عليه (ودخل على بن أبي طالب على عثمان وهو مغشى عليه وبنو أمية حوله فقال: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد، فقالوا: يا على، أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين، أما والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا فقام على مغضباً) ^(١)

فبنى أمية تحدثوا هنا بصيغة الجمع (... وأهلكتنا ...) فكان لديهم شعور أن الدولة دولتهم.

والحقيقة نجد أن بنى أمية - وخاصة معاوية - لم يكن حرصهم على عثمان قدر حرصهم على السلطة خشية أن تزول، فبقاء عثمان - وهو رأس الدولة الإسلامية - يعني استمرار السلطة وتدالوها في بنى أمية، فالحرص على السلطة إذن هو الأساس، ويعزز هذه الوجهة من النظر ما رواه الطبرى أن (عثمان لما رأى ما قد نزل به، وما قد انبعث عليه الناس كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إلى من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول، فلما جاء معاوية الكتاب تربص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم ...) ^(٢)

فالحرص على حياة عثمان إذن لم يكن حباً في عثمان والا ما تقاعس معاوية وما تخاذل عن نصرته ولكن الحرص على إرضاء الصحابة - وهو ما له بعد سياسي - كان هو الأهم حتى يجد معاوية له أنصاراً وحتى لا تدور عليه الدوائر.

وكان مخطط معاوية ومعه بنو أمية مفضوحاً للجميع، فقد كتب إلى قيس بن سعد عامل على بن أبي طالب على مصر (من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد ... تب

١ - الطبرى - ج ٢ من ٨٨٠، ٨٧٠

٢ - الطبرى - ج ٢ من ٨٠٢

إلى الله عز وجل يا قيس بن سعد فإنك كنت في المجلبين على عثمان بن عفان ... فأما صاحبك - يقصد علياً - فإننا استيقنا أنه الذي أغري به الناس وحملهم على قتله حتى قتلواه، وأنه لم يسلم من دمه ... فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا على أمرنا ولنك سلطان العراقيين إذا ظهرت ما بقيت ولن أحبب من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لى سلطان، وسلني غير هذا ما تحب فإنك لا تسألني شيئاً إلا أöttته ..)^(١)

ويرسل على إلى معاوية عدة رسل يدعونه إلى الطاعة والجماعة فيرفض معاوية أي صلح، فيحدثه أحدهم - وهو شبيث بن ربيع التميمي ويفضح مخططه للاستيلاء على الخلافة، وقال يا معاوية: (إنه والله لا يخفى علينا ما تفزو وما تطلب إنك لم تجد شيئاً تستغى به على الناس وتستميل به أهواهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك (قتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك السفهاء، وقد علمنا أن قد أبطأتم عنه بالنصر وأحببتم له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ..) ^(٢) وقد ذكرنا أن عثمان رضي الله عنه استنجد بمعاوية إلا أن الأخير قد تقاعس عن نصرته. فمعاوية إذن كان يستميل إليه الخاصة وذوى الذكر بعرض السلطان والأموال، أما العامة فكان يستميلهم بذكره قتل عثمان، وكيف قُتل مظلوماً حتى أنه كان يرتدى القميص الذى قُتل عثمان فيه وهو مخضب بدمه، وكان يعلقه أحياناً على المنبر ويعلق فى أردائه أصابع نائلة ليثير حفيظة أهل الشام و يؤلهم على على. فشيوعة معاوية إذن إما قوم أرادوا الدنيا وسلطانها، وإما أناس مخدوعون يصدقون كل ما يروى لهم، فدهاء معاوية وعمرو بن العاص وصل لأبعد الحدود.

وعلى الجانب الآخر نجد شيعة على بن أبي طالب رضي الله عنه على اقتناع تام أن إمامهم هو الأحق بالأمر وأن الحق معه، وكانوا يقاتلون معه لا طلباً لسلطان ولكن رغبة في الآخرة.

دارت رحى الحرب في صفين بين شيعة على رضي الله عنه وشيعة معاوية، واستمر القتال شهر

١ - الطبرى - ج ٢ ص ٨٧٤

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ٨٨٣

ذى الحجة كله من سنة ٣٦ من الهجرة، وعقدوا هدنة خلال شهر محرم سنة ٣٧ واستأنف بعدها القتال.

اشتد أمر أهل العراق والنصر يقترب منهم. يلحظ عمرو بن العاص بوادر الهزيمة فيعلم أن القوة لن تجدى مع رجال يحاربون لا رغبة لهم فى دنيا ولا سلطان، فقال لعاوية: (هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فرقة؟) قال: نعم، قال: نرفع المصاحف، ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبي بعضهم أن يقبلها، وجدت فيهم من يقول: بل ينبغي أن نقبل فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بل نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل، أو إلى حين) (١)

على رجل حرب وسياسة من الطراز الأول وموافقه مع عمر وعثمان لا تنسى، فها هو عمر بن الخطاب يقول: (أعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن). ينادي على فى قوله: (عباد الله امضوا على حكمكم وصدقكم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال ويحكم أنهم ما رفعوها (يعنى قبل هذه اللحظة)، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة..) (٢)

كان عمرو صائباً عندما نصب هذه المكيدة، فشيوعة على مازالوا على إيمانهم الأول ولم تعبث الدنيا بهدا الإيمان فرسخ بالقلب رسوخ الجبال، فرفع المصاحف إذا سيمس هذه القلوب التي يتقطر منها الإيمان كالندى وبالخصوص وأن شيعة على تضم القراء لكتاب الله، الحافظون له، فقد نسخ فى قلوبهم قبل أن ينسخ فى المصاحف، نسخ قولًا وفعلًا، فمالت قلوبهم إلى حكم الله والتقووا عن حكم الخليفة، فقالوا لعلى: (ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فتأبى أن نقبله؛ فقال لهم: فإنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم، ونسوا عهده، ونبذوا كتابه، فقال له. مسعر بن فدك التميمي، وزيد بن حصين الطائى، يا على أجب إلى كتاب الله عز وجل إذا دعيت إليه، والا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا

بابن عفان، علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك.
قال: فاحفظوا عنى نهبي إياكم واحفظوا مقالتكم لي أما أنا فإن طباعوني تقاتلوا، وإن
عصونى فاصنعوا ما بدا لكم..) ^(١)

خضع على لحكم الخوارج أو المحكمة وأجبوه أن يرسل إلى إبراهيم بن الأشتر النخعي
بوقف القتال بعدما قارب النصر فيتسر الأشتر على النصر الذي ذهب سدى ويحدث
الخوارج بأشد لهجة (خدعتم والله فانخدعتم، ودعتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا
 أصحاب الجباء السود (من كثرة السجود) كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا وشوقاً
إلى لقاء الله عز وجل فلا أرى قراركم إلا إلى الدنيا من الموت... وما أنتم برائين بعدها
عزآ أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون، فسبوه فسبهم فضرروا وجه دابته بسياطهم،
وأقبل بضرب بسوطه وجوه دوابهم وصاحت بهم على فكفوا) ^(٢)

اتفق الفريقان على أن يبعث كل منهما حكماً، وما يتفق عليه الحكمان على الفريقين
أن يتبعوه. اختار فريق معاوية عمرو بن العاص لقدرته على إدارة مثل هذه الأزمات
ولدهائه، فكانوا يعرفون ما يريدون ويعملون بجد للوصول إلى هدفهم، أما فريق على
فقد وقع في الخلاف الثانية، فالأشعث ومن معه والذين صاروا خوارج بعد ذلك لم
يرضوا إلا بأبي موسى الأشعري، وكان على يقول لهم (قد عصيتموني في أول الأمر فلا
تعصوني الآن، إنني لا أرى أن أولى أبا موسى، فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي
ومسعود بن فدك: لا نرضى إلا به، فإن ما كان يحدّرنا منه وقعنا فيه، قال على: فإنه
ليس لي بثقة، فقد فارقني وخذل الناس عنى ثم هرب مني حتى آمنت به بعد أشهر ولكن
هذا ابن عباس نوليه ذلك. قالوا: ما نبالى أنت كنت أم ابن عباس لا نريد إلا رجلاً
هو منك ومن معاوية سواء ليس إلى واحد منكم بأدنى منه إلى الآخر. فقال على: فإني
أجعل الأشتر، فقال الأشعث وهل سعر الأرض إلا الإشتر..) ^(٣)

معاوية وأهل الشام يتفقون، وعلى وأهل العراق يختلفون، اختار معاوية - ومعه أهل
الشام المطيعون له - الرجل الذي سيحقق هدفه والذي يمثل الد Razan الأيمن له، أما شيعة

١ - الطبرى - ج - ٢ من ٨٩٩

٢ - الطبرى - ج - ٣ من ٩٠٠

٣ - الطبرى - ج - ٣ من ٩٠٠

على - حيث إن انفصال الخوارج لم يتم بعد - فقد اختاروا رجلاً كان يناديه على، فكان معاوية وأهل الشام يسيرون بخطى ثابتة تجاه الخلافة، في حين أن علياً وشيعته يسيرون بسبب الاتجاه الخاطئ.

اجتمع المحكمين سنة ٣٧ من الهجرة، وفي رواية الواقدي أن الاجتماع كان في شعبان سنة ٢٨، وبعث معاوية أربعينات رجل مع عمرو بن العاص، وبعث على أربعينات رجل مع أبي موسى الأشعري على رأسهم شريح بن هانئ الحارثي وعبد الله بن عباس، وكان اجتماعهم بدومة الجندي، وثمة رواية في تاريخ الطبرى توضح لنا مدى نضج أهل الشام سياسياً - في هذه الفترة - وتواضع الفكر السياسي لدى شيعة على بل وتدل على تزعزع الثقة بينهم وبين إمامهم (فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدرى أحد بما جاء به، ولا بما رجع ولا يسأله أهل الشام عن شيء، وإذا جاء رسول على جاءوا إلى ابن عباس فسألوه: ما كتب به إليك أمير المؤمنين؟ فإن كتم الرسالة ظنوا به الظنون، فقالوا ما تراه كتب إلا بكذا وكذا، فقال ابن عباس: أما تعلقون؟ أما ترون رسول معاوية يعني لا يعلم بما جاء به، ويرجع لا يعلم ما رجع به ولا يسمع لهم صياغ، ولا لفظ وأنتم عندى كل يوم تظنون الظنون) ^(١)

التقى عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري، وكان عمرو يقدم أبو موسى في الكلام، فكان يقول له إنك صاحب رسول الله وأنت أسن مني فتكلم ثم أتكلم بعدك، فخلع أبو موسى على ولم يرض بمعاوية أو ابن عمرو بدلاً من على إنما كان يريد عبد الله بن عمر، فأقره عمرو على أن يكون الأمر شورى، فخرجا إلى الناس فجعل عمرو أبو موسى هو البادئ بالكلام فخلع على ومعاوية فقال عمرو: (إن هذا قد قال ما سمعت وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه) (يريد على) كما خلعته وأثبت صاحبى معاوية فإنه ولى عثمان بن عفان والطالب دمه وأحق الناس بمقامه فقال أبو موسى: ما لك لا وفقك الله غدرت وفجرت) ^(٢)

وفي ظل هذه الأحداث الجسيمة - وقبيل التحكيم - يأتي على رجال من الخوارج هما

١ - الطبرى - ج ٢ من ٦٠٩

٢ - الطبرى - ج ٣ من ٩٠٧

زرعة بن البرج وحرقوص بن زهير السعدي فدخلوا عليه، فقالا له: (لا حكم إلا لله، فقال على: لا حكم إلا لله! فقال له حرقوص: تب عن خطئك، وارجع عن قضيتك - أى ارجع عن التحكيم - واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى ننقى ربنا. فقال لهم على: قد أردتكم على ذلك فعصيتكم و قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطيتنا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدَ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)). فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن نتوب منه. فقال على: ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأى وضعف من الفعل وقد تقدمت إليكم فيما كان منه. فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا على لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتكم..)

على بن أبي طالب رض مازال يربط بين السياسة والأخلاق، فبالرغم أنه كان يعلم - ومنذ البداية - أن فكرة التحكيم مكيدة، ولكنه كان قد عاهد على الأخذ بها بعد أن دفعه الخوارج إلى قبولها، وهم الآن يدعونه إلى التخلص من عهده ومحاربة معاوية، ولكنه ليس على الذي يغضب الله في سبيل تحقيق نصر سياسي، مما كان سبباً في اعتزال الخوارج له وإثارة الفتنة بين صفوف شيعته، فلما رأت شيعة على اعتزال الخوارج جددوا معه العهد (نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت).

غضب الخوارج لهذه البيعة الثانية من شيعة على، ففي رأيهم أن أهل الشام وقد بايعوا معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وشيعة على قد بايعوه على أنهم أولياء من والى وأعداء من عادى، فالفرقين - في نظر الخوارج - فرسى رهان في سباق إلى الكفر، ويرد زياد بن النضر على الخوارج. (والله ما بسط على يده فباعناه فقط إلا على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ). ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ومن خالقه ضال مضل)^(٢)

بيعة الشيعة الثانية كانت بيعة سياسية خالصة، فعلى هو الخليفة لأنه هو الأولى بالخلافة وليس معاوية وتاريخ على يشهد له بذلك، فشيعته يطمئنونه أننا لسنا كهؤلاء

١ - سورة النحل - آية ٩١

٢ - الطبرى - ج ٣ ص ٩٠٨

٣ - الطبرى - ج ٣ ص ٩٥٠

الخوارج ولكننا سنظل معك لنهاية الطريق ووليك ولينا وعدوك عدونا حتى تجتث جذور الفتنة وستقيم لك الأمور.

يعلم على بما حدث في التحكيم، وكيف غدر عمرو بن العاص بأبي موسى الأشعري. كان على يعلم من البداية أن هدف معاوية وعمرو كان مجرد تأخير المراجعة لإعادة تنظيم جند الشام، فلا يجد على بدأ - بعد كل ما حدث - إلا أن يستنفر جميع شيعته لغزو الشام حتى يقضى على الفتنة قضاء جذرياً، ويحاول أن يبعد من خرج عليه إلى حظيرة الشيعة مرة أخرى فيكتب كتاباً إلى الخوارج بالنهرowan (بسم الله الرحمن الرحيم). من عبد الله أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد، فإن هذين الرجلين (أبا موسى وعمرأ) اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله واتبعوا أهواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة، ولم ينفذَا للقرآن حكماً فبرئ الله ورسوله منها ومؤمنون فإذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا فإننا سائرُون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه. والسلام) ^(١)

فعلَ - هذه المرة - هو الذي يبدأ بتجديد العهد مع الخوارج حتى تعود له كامل قوته العسكرية والمعنوية قبل أن يواجه جنود الشام المنظمين المترابطين، ولكن يأتي الرد مخيّباً لآمال على، فقد كتبوا إليه: (أما بعد، فإنك لم تغضب لربك إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبية نظرنا فيما بيننا وبينك، وإن قد نابذناك على سواء فلما قرأ كتابهم آيس منهم فرأى أن يدعهم ويمضي الناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فينا جزهم) ^(٢)

تأهب على لقتال معاوية وأهل الشام، وكان على رأس جيش قوامه ثمانية وستين ألفاً وما تائى رجل، خمسة وستين ألفاً من أهل الكوفة، وثلاثة آلاف ومائتاً رجل من أهل البصرة، وبلغ على أن شيعته يودون لو بدأ على بقتل الخوارج حتى إذا فرغ منهم قاتل أهل الشام، فخطب على في الناس: (أما بعد فإنه قد بلغنى قولكم لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين (معاوية ورفاقه)، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم فدعوا ذكرهم وسيروا

إلى قوم يقاتلونكم فيما يكونوا جبارين ملوكاً ويتخذونا عباد الله خولاً^(١) بعد هذه الخطبة يسمع على من رؤساء القوم وكبارائهم تجديد الولاء (فقام إليه صيفي بن فسيل الشيباني فقال: يا أمير المؤمنين نحن حزبك وأنصارك.. فسر بنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا فإنك إن شاء الله لن تؤتي من قلة عدد ولا ضعف نية أتباع.

وقام إليه محرز بن شهاب من بنى سعد، فقال: يا أمير المؤمنين، شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع على نصرتك والجهاد في جهاد عدوك، فأبشر بالنصر وسر بنا إلى أي الفريقين أحبيت فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب ونخاف في خذلانك والتخلّف عنك شدة الوبال)^(٢)

العزيمة التي تطل من كلام شيعة على والجيش الكبير الذي يسير به كافيان - منطقياً - لتحقيق النصر للمرة الثانية على معاوية، ولكن يحدث ما يغير اتجاه سير جيش على، فقد توجه لمحاربة الخوارج - رغمما عنه - لفسادهم في الأرض، وذلك بعد قتلهم عبد الله بن خباب صاحب رسول الله لأنهم رأوا أنه على خلاف سياسى معهم، فهو يثنى على أبن بكر وعمر، وعلى عثمان في بداية خلافته و نهايتها، ويثنى على على قبل وبعد التحكيم، فقطعوا رأسه، وبقوا بطن زوجته، بالرغم أن أحد الخوارج قبيل قتل ابن خباب أكل تمرة وقفت من نخلة فأنبه صاحبه لأنه لم يدفع ثمنها فلفظها من فمه، وقتل أحدهم خنزيراً، فقيل له هذا فساد في الأرض فدفع ثمنه للذى يملكه، فيقول ابن خباب إن كنتم فعلتم هذا فأنا مسلم ولم أحدث في الإسلام حدثاً، فلم يقبلوا منه كلاماً وقتلوه. وصل الخلاف إذن بين على والخوارج إلى أنهم سيقتلون كل من يخالفهم في وجهة نظرهم السياسية، لدرجة أنهم يكفرون، فوجد على أنه يجب أن يضع لهم حدأً قبل المسير إلى الشام خشية على الأموال والعيال، فلاقاهم على وكسر شوكتهم يوم النهروان.

كان المفروض أن يتوجه على إلى الشام عقب انتهاءه من أمر الخوارج، ولكن شيعة على يحتاجون بقلة السلاح والمؤمن، وأن عليهم أن يرجعوا إلى بلادهم ليتزودوا، ولما رأى على

أنهم قد تمادوا في تناقلهم خطب فهيم (.. أما بعد، فإن لي عليكم حقاً وإن لكم على حقاً فأما حكمكم على فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فنيئكم عليكم، وتعليمكم فيما لا تجهلوا وتأديبكم كى تعلموا، وأما حقى عليكم فاللوفاء بالبيعة والنصح لى في الغيب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين أمركم ..)^(١) ولكن لم يلب أحد نداء على.

يبدأ معاوية بسط نفوذه على مراكز القوى في الدولة الإسلامية فيبدأ بمصر، ويفتحها ويقتل محمد بن أبي بكر - عامل على، فتدبر الرسل إلى على تستنجد به ليواجه جيوش معاوية (فقام على في الناس ثم قال: .. أما بعد، .. إخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وولى من عادى الله فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والرکون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حكم هذا فإنهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو.. إن مصر أعظم من الشام أكثر خيراً وخير أهلاً فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم وكبت لعدوكم. اخرجوا إلى الجرعة - بين الحيرة والكوفة - فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله.. فلما كان من الغد خرج يمشي فنزلها بكرة فأقام حتى انتصف النهار.. فلم يواقه منهم رجل واحد فرجع..)^(٢)

شيعة معاوية في ترابط تام وتقدم مستمر، وشيعة على يتراجعون ويخذلونه وكأن الأمر لا يعنيهم. ويتولى زحف معاوية على البلاد ويحصل على البيعة في كل بلد يدخلها، ولا يجد معاوية في كل هذا أى مقاومة تذكر، وكأن جنود على قد استسلموا للأمر الواقع وسلموا أن معاوية لن يغلب فتخاذلوا عن على عسكرياً، فيصف لهم على تقاعسهم وأن أفعالهم ليست هي أفعال من يجاهد في سبيل إعلاء كلمة الحق فيقول: (شاهد الوجوه! إن قلت نعم قلت: لا، وإن قلت: لا، قلت: نعم، إن استنفرتكم في الحر قلت: الحر شديد فإذا جاء الشتاء نفرنا، وإذا جاء الشتاء واستنفرتكم قلت: البرد شديد وإذا كان الصيف نفرنا، إن عدوكم يجد من العناء ما تجدون، ولكن لا رأى من لا يطاع،

١ - الطبرى - ج ٢ ص ٩١٥

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٢١

وددت لو أن لى بجماعتكم ألف فارس) ^(١)

وفى سنة ٤٠ من الهجرة يغزو معاوية اليمن ويجد على فى شيعته نفس التثاقل عن نصرة إخوانهم، فخطبهم وقال: (لقد خفت أن يظهر مولى القوم عليكم، وما يظهرون عليكم بأن يكونوا بالحق أولى منكم، ولكن بصلحهم فى بلادهم وفسادكم فى بلادكم، واجتمعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حكمكم، وأدائهم الأمانة وخيانتكم، والله لو استعملت فلانا لخان وغدر، ولو بعثه معاوية لم يخنه ولا غدره، اللهم! قد مللتهم ومملونى، وسئمتهم وسمونى، وكرهتهم وكرهونى، فأرجو منكم وأرحمهم منى وأبدلنى بمن هو خير لى منهم وأبدلهم بمن هو شر لهم عنى) ^(٢)

كلمات بدعة لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه وكأنه يصف لنا واقعنا الإسلامي الهزيل وتفوق الغرب علينا لاجتماعهم وتفرقنا، لصلاحهم وفسادنا رغم أننا على حق وهم على الباطل، تجرى بين على ومعاوية المهادنة على أن يكون لعلى العراق، ولعاوية الشام حقناً لدماء المسلمين.

مقتل على بن أبي طالب:

كان اغتيال على بن أبي طالب على يد أحد رجال الخوارج لأسباب سياسية محضة، فهو أولاً لم يرجع عن قرار التحكيم، وطبقه إلى النهاية رغم اعتراض الخوارج عليه، وهو ثانياً قتل منهم خلقاً كثيراً يوم النهرowan فكان لابد من الثأر لهؤلاء الذين يعتقدون أنهم كانوا على الحق وغيرهم على الباطل.

ولم يخطط الخوارج لقتل على وحده، لأن الاكتفاء بقتله لن يغير حال المسلمين، فرأى الخوارج أنه من الواجب عليهم أن يقتلوا أئمة الضلال، على بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، واجتمع ثلاثة نفر من الخوارج لوضع الخطة وتحديد ساعة الصفر (فقال ابن ملجم المرادي: أنا أكفيكم على بن أبي طالب، وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص) ^(٣)

١- ابن حبان - ص ٢٢٢

٢- ابن حبان - ص ٢٢٤

٣- الطبرى - ج ٢ ص ٩١٦

وحددوا ساعة الصفر ١٧ رمضان سنة ٤٠ من الهجرة، فأخذوا سيفهم فسموها، وأقبل كل رجل منهم إلى البلد الذي فيه صاحبه الذي يبغى قتله.

فينجح ابن ملجم في قتل على ويقتل به، ويفشل البرك بن عبد الله وعمرو بن بكر في قتل معاوية وعمرو ويقتلان. ولم يختر على أحداً ليقوم بالأمر من بعده، (فقد دخل جندي بن عبد الله على على فسألها: يا أمير المؤمنين إذا فقدناك - ولا نفقدك - فنبایع الحسن؟ فقال: ما أمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر) ^(١)

وقد اختلف المؤرخون في المكان الذي دفن به على بن أبي طالب، فالبعض يقول إنه دفن بالعراق، والبعض الآخر يقول إنه نقل إلى المدينة، وجاء في تاريخ السيوطي أنه (ما قتل على بن أبي طالب - رضي الله عنه - حملوه ليدفنه مع النبي عليه الصلاة والسلام، فبينما هم في مسيرهم ليلاً إذ ند الجمل الذي هو عليه، فلم يدرك أين ذهب، ولم يقدر عليه، فلذلك يقول أهل العراق: هو في السحاب، ويقول البعض إن البعير وقع في بلاد طيء فأخذوه فدقنوه) ^(٢)

ويرثى أبو الأسود الدؤلي على بن أبي طالب ص ٣٦٩:

ألا تبكى أمير المؤمنينا
فلا قرئت عيون الحاسدينا
بخير الناس طرًا أجمعيننا؟
وذللها ومن ركب السفيننا
ومن قرأ المثانى والمبيينا
وحب رسول رب العالمينا
فإن بقية الخلفاء فينا

ألا يا عين وبحك أسعدينا
ألا أقل للخوارج حيث كانوا
أفي شهر الصيام فجعلتمونا؟
قتلتم خير من ركب المطايها
ومن لبس النعال ومن حذاها
وكل مناقب الخيرات فيه
فلا تشممت معاوية بن صخر

(ولما بلغ عبد الله بن سبأ وأصحابه وهو بالمدائن نهى على قال للذى نعاه: كذبت يا عدو الله. ولو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك،

١ - الطبرى - ج ٢ ص ٩١٧

٢ - تاريخ الخلفاء - ص ٢٠٩، ٢٠٨

٣ - انظر - السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٢١٩، ٢٢٠، والطبرى ج ٢ ص ٩٣٩

ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل. وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض، ثم مرض عبد الله بن سبأ وأصحابه من يومهم حتى أناخوا بباب على فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه، فقال لهم من حضر من أهله وأصحابه وولده. سبحان الله؛ أما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟ قالوا: إنا لنعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه، كما قادهم بحجه وببرهانه، وإنه ليسع النجوى وللمع في الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام) ^(١)

ونلحظ هنا أن على بن أبي طالب أضفى عليه حالة من القدسية - على يد السبيئة - لم تكن له أثناء حياته، وستظل هذه الظاهرة في الأزدياد حتى تشمل ذرية على رضى الله عنه.

بيعة الحسن بن علي :

لم يتوقع أهل العراق أن تكون نهاية على بن أبي طالب عليه السلام بهذه الصورة، فجأة وبدون أية مقدمات، وكان أكثر خوفهم أن تزول الخلافة عن دولتهم وتصير إلى بلاد الشام، فكان لابد من الحفاظ على هذه الميزة، فيجب أن تظل العراق هي معقل الخلافة وليس الشام، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان خليفة المسلمين غير معاوية، ولم يجد شيعة العراق من يصلح لتولي مهمة الخلافة بعد على إلا ابنه الحسن، فهو ليس مجرد ابن لعلى بن أبي طالب ولكنه ابن بنت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، علاوة على أن لا غبار عليه في دينه؛ وهو الوحيد الذي يستطيع أن يجمع الأنصار حوله للوقوف في وجه معاوية، فيتحقق لهم بذلك ثلاثة انتصارات سياسية، أولًا يتخلصون من حاكم ظالم وجائر لا يدرؤون ماذا سيفعل بهم لو آل إليه الأمر، خاصة بعدما حاربوه في صفين، وثانيةً اختيار خليفة عادل رحيم بهم ويعرف مدى حبهم لوالده والتتشيع له، وثالثًا وقد يكون هذا الأهم أن تظل العراق هي معقل الخلافة، وهي المسيطرة والمهيمنة على كل أمور المسلمين فتظل لها السيادة.. فبائع أهل العراق الحسن، وقيل إن أول من بايده قيس بن سعد قال له: (ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه، وقتال المحليين، فقال هل الحسن: على كتاب

١ - فرق الشيعة للنوبختي والتبيى - ص ٢٣

الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط فبایعه وسكت وبایعه الناس) ^(١)
يخرج الحسن إلى المدائن، ويتقدمه قيس بن سعد في اثنى عشر ألفاً، وأقبل معاوية
في أهل الشام، فينادي مناد في معسكر الحسن لا إن قيس بن سعد قد قتل، فتفرق
ال القوم، ونهبوا سرادق الحسن، حتى البساط الذي كان تحته نزعوه، بل وطعنوه، وفعل به
هذا أهل العراق، فيرى الحسن تفرق الناس عنه، وأنه قد يحدث معه ما قد حدث مع
أبيه من خذلانهم إياه وامتناعهم عن قتال معاوية فصالح معاوية بن أبي سفيان على
أن تكون له الخلافة من بعده، وأن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف، وعلى
الآلا يشتم على بن أبي طالب، فيتحقق قول رسول الله ﷺ في الحسن: (يصلح الله به
بين فئتين من المسلمين)، ويقول الحسن لأهل العراق: (إنه سخى بنفسه عنكم ثلاثة)
قتلكم أبي، وطعنكم إياتي، وانتهابكم متاعي) ^(٢) ثم انتقل الحسن والحسين رضي الله
عنهم إلى المدينة ومعهما عبد الله بن جعفر.

كان مع قيس بن سعد أربعون ألفاً كانوا قد عاهدوا على بن أبي طالب على الموت،
فتعاهدوا مع قيس بن سعد - بعد الصلح الذي تم بين معاوية والحسن - على قتال
معاوية حتى يأمنهم على أنفسهم وأموالهم، وما أصابوا في الفتنة، فيعطيه معاوية
ما طلب، فكان حريصاً على عدم مقاتلة قيس بن سعد أشد الحرث لدهائه، فيذكر
الطبرى أن (دهاء الناس حين ثارت الفتنة خمسة رهط معاوية بن أبي سفيان، وعمرو
بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل
الخزاعي، وكان قيس وابن بديل مع على، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة مع
معاوية) ^(٣)

توفي الحسن سنة تسع وأربعين من الهجرة بالمدينة مسموماً، سمته زوجته جعدة بنت
الأشعث بن قيس، دس إليها يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها، ففعلت، فلما مات

١ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٤٢

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٤٤

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٤٣

الحسن بعث إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إذا لم نرضك للحسن أفترضاك لأنفسنا!) (١)

وبموت الحسن اعتقد معاوية أن الأمر قد خلا لبني أمية وأن شيعة على لن يجدوا الرمز الذي يتلقون حوله، وبذلك لن ينافسون أحد الأمر، فهل كان توقع معاوية صحيحاً.





الفَصِيلُ الْأَنْجَعُ

الصدام بين شيعة على
والدولة الأموية

الصدام بين شيعة على والدولة الأموية

استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان، وبابيعه الجميع - حتى شيعة على، وإن كانوا بايعوا مكرهين بعد أن اشترطوا على معاوية الأمان، ويصدر معاوية قراره بتعيين المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة (معقل التشيع)، وقبل تعيين أى عامل لمعاوية كان لابد من توافر شروط أولها الولاء لمعاوية وبنى أمية والعداء لعلى عليه وشيعته، يوصى معاوية المغيرة (بشتئم على وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم وباطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدانة لهم والاستماع منهم) ^(١)

وشنتم على عليه والترحم على عثمان كان له بعد سياسي، فالسلطة الحاكمة لا ترضى بذكر على بأى خير، ومن سيتشيع لعلى وأله سيكون قد انضم إلى حزب غير شرعى غرضه القيام بانقلاب عسكري ضد معاوية أو بنى أمية، وهنا من حق السلطة أن تطبق قانونها العسكري. وإذا علم شيعة على هذا الأمر فلن يلجأوا إلى عمل التكتلات ضد دولة بنى أمية اتقاء لشرهم، فكان أكثر طبع الشيعة التكتم وعدم الوثوب فى وجه السلطة على عكس الخوارج الذين عکروا صفو بنى أمية على مر تاريخهم وأكثروا من الخروج عليهم.

ولكن ليس كل الشيعة على نمط واحد، فها هو حُجر بن عدى الكندي كان إذا سمع

المغيرة يمدح عثمان ويذم علياً يقول: (بل إياكم فذمهم الله ولعن، وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطردون أولى بالذم، وكان المغيرة يقول له: اتق السلطان، اتق غضبه وسلطوته فإن غضبة السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً، ثم يكف عنه ويصلح) ^(١)

وكان حُجر ذا مكانة مرموقة في قومه، وكان شديد النصرة لعلي بن أبي طالب وممن حضر معه صفين وغيرها من المواقع ضد الأمويين، فكان رجلاً لا يهاب السلطة، فهو على تمام اليقين أنهم على الباطل وأن علياً كان على الحق.

لم يزل المغيرة منفذأً لتعليمات القيادات العليا ومداوماً على ذم على كما كان يقول، (فقام حُجر بن عدى فنعر نعرة بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجها منه، وقال: إنك لا تدرى بمن تولع في هرمك. أيها الإنسان مرتنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنك قد حبستها علينا، وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين وتقريره في الجرمين، فقام معه أكثر من ثلثة الناس يقولون: صدق والله حجر وبر. مرتنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإننا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدي علينا شيئاً) ^(٢)

نزل المغيرة من على المنبر، ولم يتفوّه بكلمة، فدخل عليه قومه ولاموه لأن هذا يضعف من سلطانه ويؤدي إلى غضب معاوية، فكان لابد من اتخاذ إجراء، ولكن المغيرة لم يفعل وقال لهم: (إني قد قتلتة؛ فإنه سيأتي أمير بعدى فيحسبه مثل فيضع به شبيهاً بما ترونـه يصنع بيـ، فيأخذـه عندـ أولـ وهلةـ فيقتـلهـ شـرـ قـتـلـةـ، إنهـ قد اقتـرـبـ أـجـلـ وـضـعـفـ عـمـلـ، ولاـ أـحـبـ أـبـدـيـ أـهـلـ هـذـاـ الـمـصـ بـقـتـلـ خـيـارـهـمـ وـسـفـكـ دـمـائـهـمـ فـيـسـعـدـواـ بـذـلـكـ وـأـشـقـىـ، وـيـعـزـ فـيـ الدـنـيـاـ مـعـاوـيـةـ وـيـذـلـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ الـمـغـيـرـةـ، وـلـكـ قـاـبـلـ مـنـ مـحـسـنـهـمـ وـعـافـ عـنـ مـسـيـئـهـمـ وـحـامـدـ حـلـيمـهـمـ وـوـاعـظـ سـفـيـهـهـمـ حتـىـ يـفـرـقـ بـيـنـيـ وـبـيـنـهـمـ الـموتـ سـيـذـكـرـوـنـتـيـ لـوـ أـنـهـ جـرـبـواـ الـعـمـالـ بـعـدـ) ^(٣)

وهذه الواقعـةـ تـدلـ أـنـهـ حتـىـ هـذـهـ الـلحـظـةـ لمـ يـكـنـ هـنـاكـ ثـمـةـ بـعـدـ دـيـنـيـ سـوـاءـ مـنـ شـيـعـةـ عـلـىـ

١ - انظر الطبرى - ج ٢ - ص ٩٧٥

٢ - الطبرى - ج ٣ ص ٩٧٦، ص ٩٧٧

٣ - الطبرى - ج ٣ ص ٩٧٦، ص ٩٧٧

ومن شيعة معاوية بالأحرى فعندما شكا حجر، إنما شكا قلة الأموال والعطايا، فأين حقهم، وهل يعامل أهل الشام نفس المعاملة، فكل ما تقوم به السلطة يومياً هو ذم على ومدح عثمان، أما بعد.. لا شيء، فلا قائدة تعود عليهم، ولو كان على هو أميرهم لعدل ولكن الحال غير الحال.

وإذا تأملنا قول المغيرة (فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية ويذل المغيرة) فالغيرة على يقين أن معاوية ليس على حق لا في وصوله إلى السلطة، ولا في ذمه لعل، وإن كان المغيرة يفعل ذلك فللحفاظ على كرسي الولاية وليس عن افتئاع، إذ لو كان مقتضاً أن معاوية على حق لعاقب حُجراً على قوله، ولكنه إن فعل ذلك ومعاوية على باطل فسيناله عقاب شديد يوم القيمة، ومع شعوره بقرب الأجل، فقد اختار الآخرة - في آخر أيامه - وزهد الدنيا.

يتولى زياد بن أبي سفيان أمر الكوفة سنة 51 من الهجرة بعد موت المغيرة بن شعبة، فاجتمع له البصرة والكوفة، ويصعد زياد على المنبر، وبمدح عثمان ويلعن قتله، فجعل حجر نفس الذي فعله مع المغيرة. ورجع زياد إلى البصرة وولى على الكوفة عمرو بن الحريث، فحصل به أهل الكوفة بالحجارة وهو على المنبر، وقيل أن الذي حُصِبَ هو زياد ابن أبي سفيان.

يشتد غضب زياد على حجر فيرسل في طليبه حتى ينزل عليه عقابه، فلم يمتثل حجر لأمر الشرطة، فقد كان حوله أنصار كثيرون، فيخبر رئيس الشرطة - شداد بن الهيثم الهلالي - زياداً بالأمر، فيخطب زياد في أكابر أهل الكوفة: (يا أهل الكوفة أتشجون بي وتأسون بأخرى، أبدانكم معى وقلوبكم مع حُجر.. أنتم معى وإخوانكم وأبناءكم وعشائركم مع حُجر هذا والله من دحسكم وغضبكم! والله لتظهرن لى براءتكم أو لاتينكم بقوم - يقصد أهل الشام - أقيم بهم أودكم وصعركم، فينكر أشراف الكوفة التهمة، وكان هدف زياد أن ينفض الانصار الملتدون حول حجر، فيوضح لهم كيف يدرأون عن أنفسهم التهمة، يقول: فليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر فليدع كل رجل منكم أخيه وابنه وذاته وابنته، ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنه كل

من استطعتم أن تقيمه - ففعلوا ذلك فأقاموا جل من كان مع حجر بن عدي^(١) ولها رأى زياد أن أنصار حجر قد قلوا أمر شداد بن هيثم أن يحضر حجراً، وإذا رفض فعليه أن يستخدم القوة، وقد رفض حجر ومن معه الامتناع، فلما جاء شداد بن هيثم - رئيس الشركة - إلى القوة (فقال عمير بن يزيد الكندي - وهو أبو العمربطة وكان من بنى هند: إنه ليس معك رجل معه سيف غيري وما يغنى عنك، فقال له حجر: فما ترى؟

قال: قم من هذا المكان فالحق بأهلك يمنعك قومك) ^(٢)

يدافع أبو العمربطة عن حجر بسيفه حتى ينفع حجر في ركوب بغلته والوصول إلى قومه واجتمع إلى حجر عدد كثير من أصحابه وخرج قيس بن فهدان الكندي على حمار له يسير في مجالس كندة يقول:

وعن أخيكم ساعة فقاتلوا	يا قوم حجر دافعوا وصاولوا
أليس فيكم رامح ونابل	لا يلفيا منكم لحجر خاذل
وضارب بالسيف لا يزائل	وفارس مستائم ورجل

^(٢)

يعلن زياد حالة الطوارئ ويقوم بعمل تعبئة عامة لكل قوات الكوفة، فكان توزيع زياد للقوات في أول الأمر خطأ إذ أرسل مضر مع أهل اليمن إلى جبانة كندة ليأتوا بحجر، فأهل اليمن يميلون إلى التشيع مما قد يؤدي إلى وقوع الشغب بينهم، فيعيد التقسيم فيستبقى مضر معه ويرسل أهل اليمن فقط - وحجر منهم - لإلقاء القبض على أصحابهم، وذلك بأن تمضي مذحج وهمدان إلى جبانة كندة، أما باقي أهل اليمن وهم الأزد وبجبلة، وخثعم والأنصار، وخزاعة، وقضاءعة فنزلوا جبانة الصائدين ولم تخرج حضرموت مع أهل اليمن لكانهم من كندة، فكرهوا الخروج في طلب حجر.

ولكن أهل اليمن الذين تجمعوا في جبانة الصائدين يكرهون أن يأتوا ب أصحابهم، ويستقر رأيهم على أن يتقاусوا حتى يقوم شباب همدان ومذحج بمهمة القبض على حجر.

وبالفعل كان همدان ومذحج هم الأكثر إيجابية في تنفيذ أوامر زياد، ويعمل حجر بالأمر

فيقول لأصحابه: انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن قد اجتمع عليكم من قومكم وما أحب أن أعرضكم للهلاك، ولكنهم لم يلحقوا أن ينصرفوا، فقد أدركتهم أوائل خيل مذبح وهمدان فتقاتلوا وجرب بعضهم وأسر قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم، فأمّرهم حجر بوقف القتال، ثم أخذ طريقاً نحوبني حرب فسار حتى انتهى إلى دار رجل منهم يدعى سليم بن يزيد، ويصل القوم إلى دار سليم بن يزيد فيريد أن يخرج لهم بالسيف فيمنعه حجر خشية على بناته، ولكن سليم يرفض أن يخرج حجر من بيته أبداً، فيتسلل حجر من الدار حتى لا يؤذى الرجل وبناته، وكان معه فتية يتقصون له الطريق حتى وصل إلى النخع ثم أمرهم بالانصراف حتى لا يصيّبهم ضرر.

وفي النخع نزل دار عبد الله بن الحارث أخي الأشت، ولكنه يعلم أن الشرطة تسأل عنه، فخرج من عند عبد الله مستنكراً وركب معه عبد الله بن الحارث ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجد الأزدي في أزد فنزلها يوماً وليلة.

ولما تسلل اليأس إلى نفس زياد من الإمساك بحجر يأتى بمحمد بن الأشعث - رئيس كندة - ويقول له: (أَمَا وَاللَّهِ لَتَأْتِنِي بِحَجْرٍ، أَوْ لَا أَدْعُ لَكَ نَخْلَةً إِلَّا قَطَعْتُهَا، وَلَا دَاراً إِلَّا هَدَمْتُهَا). ثُمَّ لَا تَسْلِمْ مِنْ حَتَّى أَقْطَعْكَ إِرْبَأْ إِرْبَأْ^(١))

يبلغ حجر ما حدث مع ابن الأشعث، فيبعث غلامه إلى الأشعث ويعرض عليه أن يقوم بتسليم نفسه إلى زياد بشرط أن يأخذ له الأمان من زياد على أن يسلمه إلى معاوية ليرى فيه رأيه.

فخرج الأشعث مع جماعة إلى زياد فأعطى الأمان لحجر، ودخل حجر على زياد فقال زياد: (مرحباً بك أبا عبد الرحمن حرب في أيام الحرب وحرب، قال حجر: ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة، وإنى لعلى بيعتني، فقال: هيئات هيئات يا حجر، تشج بيد وتأنسو بأخرى، وتريد إذا مكننا الله منك أن نرضى كلام الله! قال: ألم تؤمنى حتى آتى معاوية فيرى في رأيه؟ قال: بلى قد فعلنا انطلقا به إلى السجن.. فحبس عشر ليال وزياد ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حجر)^(٢)

١ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٧٨

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٧٩

وبالفعل ألقى القبض على اثنى عشر رجلاً من أنصار حجر، وكان السؤال الوحيد الذي يلقى عليهم هو رأيهم في علّت بن أبي طالب عليه السلام فلم يتبرأ منه أحد فألقى الجميع في السجن. وكان على زياد - قبل أن يرسل الجميع إلى معاوية - أن يسطر صحيفة الاتهام التي ستتصاخبهم، ثم أنه دعا رءوس الأربعاء ليشهدوا على حجر، وكان رءوس الأربعاء يومئذ عمرو بن حرث على ربع أهل المدينة، وخلالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة ابن أبي موسى على مذبح وأسد، ولكن لم يكتف زياد بهؤلاء الشهود الأربعاء فأوصلهم إلى سبعين شاهد حتى يطمئن معاوية إلى ما ورد في الصحيفة وينزل أشد العقاب على حجر بن عدى ومن معه، حتى أن شريح بن الحارث القاضي وشريح بن هانئ الحارثي قد كتب اسمهم في الصحيفة وشهدوا على ما فيها دون علمهم!

وقد جاء الاتهام في الصحيفة كالتالي: (شهدوا أن حجر بن عدى جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل طالب ووتب بالنصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر غدر أبي تراب - يقصد على ابن أبي طالب عليه السلام - والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رءوس أصحابه، وعلى مثل رأيه) ^(١)

ودفعت الصحيفة إلى الشرطيين الموكلين بنقل المتهمين إلى الشام، وهما وائل بن حجر الحضرمي، وكثير بن شهاب الحارثي فأخرج القوم عشية ومعهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة، وبيعث شريح بن هانئ كتاباً إلى معاوية مع وائل بن حجر.

وصل المتهمون إلى الشام، وتسلم معاوية الكتب من كثير بن شهاب ووائل بن حجر، فقرأ كتاب زياد على أهل الشام وكان فيه: (.. أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فكاد له عدوه وكفاه مئونة من بغي عليه، إن طواغيت من هذه الترابية السبئية رأسهم حجر بن عدى خالفوا أمير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب فأظهرنا الله عليهم، وأمكننا منهم وقد دعوت خيار أهل مصر وأشرافهم وذوى السن والدين منهم فشدوا عليهم بما رأوا وعملوا، وقد بعثت بهم إلى أمير

١ - انظر الطبرى - ج ٢ ص ٩٨٢، ٩٨١

المؤمنين، وكتب شهادة صلحاء أهل مصر وخيارهم في أسفل كتابى هذا) ^(١)
ويقرأ معاوية كتاب شريح بن هانئ فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ أما بعد.
فقد بلغنى أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدى، وأن شهادتي على حجر
أنه من يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه. فقرأ كتابه على وائل بن
حجر وكثير، فقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم) ^(٢)

يتعدد معاوية في اتخاذ قرار بشأن حجر - خاصة بعد أن قرأ كتاب شريح بن هانئ -
فهل يغفو عنه، أم يقتله؟، فيبعث معاوية كتاباً إلى زياد يوضح له مدى اضطرابه في
الرأي، فيكتب له زياد: (أما بعد. فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه
فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم فإن
كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حمراً وأصحابه إلى) ^(٣)

كان رد زياد بن أبي سفيان حاسماً لمعاوية، فإذا كنت تريد الحفاظ على هذا البلد،
وان كنت تريد كرسى الخلافة ثابتاً لك ولزياد ابنك من بعده فعليك بقتل الرجل
ومن معه، وبالطبع فإن معاوية وحاشيته قد فصلوا الدين عن السياسة بأمرهم هم لا
بأمر الإسلام، فالإسلام دين وسياسة، وإذا كان الإسلام يحرم قتل هؤلاء الأبرياء، فإن
السياسة تأبى إلا قتلهم.

يرسل حجر إلى معاوية أنه ما زال على بيته هو ومن معه، وأنهم قد أخذوا بالظن وقد
شهد عليهم الأعداء، فكان رد معاوية: (زياد أصدق عندنا من حجر). كان رده قاطعاً
ومتضمناً لحكم الإعدام على حجر وأنصاره، فإذا لم يقتل هؤلاء سيتجاوز التشيع نطاق
القلوب ويطالب بالسلطة لآل على، ويكثر الأنصار وتزيد الفتنة فتضييع الخلافة من يزيد
- بعد موت معاوية - وقد تضييع من معاوية نفسه، فقتل هؤلاء كان أنساب وسيلة لردع
الشيعة - في نظر زياد ومعاوية - حتى لا تتكرر هذه المحاولة على نطاق أكبر فيما بعد،

١ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٨٢

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٨٢

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ٩٨٢

فللشيعة أن تميل قلوبهم إلى علىٰ وأله كما يشاءون، ولكن أن ينظروا إلى كرسى الحكم
وهذا كاف لإحلال دمائهم.

لآخر لحظة يعرض معاوية على حجر وأصحابه التبرؤ من علىٰ عليه السلام فإنهم لوفعوا
على الأقل سيقولون في نظر الشيعة وتنكسر شوكتهم، ولكنهم ظلوا على موقفهم،
فأمر بقبورهم فحضرت وأدنت أكفانهم، وقتلو واحد تلو الآخر، وجاء دور حجر بن
عدي (فقال لهم: دعوني أتوضاً، فقالوا له: توضأ، فلما أن توضأ، قال لهم: دعوني
أصل ركعتين فايمن الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين، قالوا: نتصل فصلٍ، ثم
انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولو لا أن تروا أن ما بي جزع من
الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم أنا نستعديك على أمتنا فإن أهل الكوفة
شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس
من المسلمين هلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبعثه كلامها، فمشي إليه الأعور
هـة بن فياض بالسيف فأرعدت خصائمه فقال: كلا زعمت أنك لا تجزع من الموت،
فاما أدعك فأبراً من صاحبك - يقصد علىٰ عليه السلام - فقال: ما لي لا أجزع وأنا أرى
قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإن والله إن جزعت من القتل ما يسطخ
الرب، فقتله). ^(١)

وصل عدد المقتولين إلى ستة فيعلن اثنان من أصحاب حجر أنهما يتبرآن من علىٰ،
وهما عبد الرحمن بن حسان العنزي، وكريم بن عفيف الخثعمي، أما الأخير فقد حبسه
معاوية شهراً ثم أفرج عنه على أن ينفي في الكوفة طالما كان معاوية حياً، وقيل إنه مات
قبل معاوية بشهر، أما العنزي، فقد أرسل معاوية إلى زياد أن يقتله شر قتلة، فدفنه
زياد حياً.

فجملة من قتل مع حجر، والعنزي الذي دفن حياً يكون عدد المقتولين ثمانية. وقد أصدر
معاوية قراراً بالغفو عن سبعة.

وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الانصارية، وكانت مت Shirley ترشى حمراً:

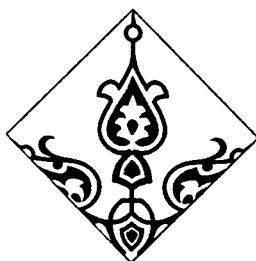
تبصر هل ترى حجراً يسير
ليقتله كما زعم الأمير
وشيحاً في دمشق له زئير
له من شر أمته وزير
ولم ينحر كما نحر البعير!
من الدنيا إلى هلك يصير^(١)

ترفع أيها القمر المنير
يسير إلى معاوية بن حرب
أخاف عليك ما أدرى عديا
يرى قتل الخيار عليه حقاً
ala ليت حجراً مات موتاً
فبان تهلك فكل نديم قوم

ويبدو أن معاوية قد ندم على قتل حجر، فيحكي أن السيدة عائشة رضي الله عنها لقيت معاوية فقالت له: يا معاوية: أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد. ولما حضرت معاوية الوفاة جعل يفرغ بالصوت، ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل.

وكان قتل حجر وأصحابه بداية لصدور أحكام الإعدام على كل من تسول له نفسه الخروج على سلطة بنى أمية حتى لورجع عن رأيه بعد ذلك، فقد أعلن حجر أنه على بيته معاوية، ولكنه قتل لأنه وإن لم يكن يمثل خطراً الآن فهو على الأقل خطير محتمل يجب الاحتياط له، حتى العنزي الذي تبرأ من على دفن حرياً، فقد رأت الدولة الأموية الناشئة بنظامها الملكي الجديد أنه يجب القضاء على كل فتنة مهما صارت حتى تستمر دولة بنى أمية ولتنتقل فيها السلطة من وريث إلى آخر دون أى عقبات.





الْفَصِيلُ الْخَامِسُ

ثورة الحسين

ثورة الحسين

مكاتبات الكوفة للحسين عليه :

مات معاوية بن أبي سفيان في رجب سنة ستين من الهجرة، وقد رسم معاوية خطة ناجحة لتوطيد دعائم النظام الملكي لصالح بنى أمية، والقضاء نهائياً على نظام الاختيار الحر للخليفة الذي لن يكون بأى حال في صالح بنى أمية. وفَرَّ معاوية جميع العناصر الالزامـة لإنجاح مخططـه؛ فـمعه السـلطة والـقـوـة المـتـمـثـلـة في جـيـوشـأـهـ الشـامـ، وـمعـهـ الأمـوالـ التـىـ يـشـتـرـىـ بـهـ النـفـوسـ، وـمـراـكـزـ الـقـوـىـ وـالـحـاشـيـةـ الـمـحـيـطـةـ بـهـ بـقـاؤـهـمـ، مـرـتـبـطـ بـاـنـتـقـالـ السـلـطـةـ إـلـىـ اـبـنـهـ يـزـيدـ وـالـسـيـخـسـرـونـ مـرـاـكـزـهـمـ، وـقـدـ يـخـسـرـونـ حـيـاتـهـمـ، وـبـهـذـاـ لـنـ يـسـتـطـيـعـواـ الـوـثـوبـ عـلـىـ يـزـيدـ لـاـنـتـزـاعـ السـلـطـةـ مـنـ يـدـهـ بـلـ سـيـعـمـلـونـ جـاهـدـيـنـ حـتـىـ تـنـتـقـلـ إـلـىـهـ السـلـطـةـ بـهـدـوـءـ، وـلـكـ هـنـاكـ مـنـ لـمـ يـبـاعـ لـيـزـيدـ بـنـ مـعـاوـيـةـ وـقـدـ يـكـونـ هـذـاـ سـبـبـاـ فـىـ عـرـقـلـةـ وـصـولـ السـلـطـةـ إـلـىـ يـزـيدـ بـلـ وـقـدـ يـؤـدـىـ إـلـىـ زـوـالـهـ عـنـهـ إـنـ لـمـ يـعـالـجـ الـأـمـرـ بـحـكـمـةـ، فـعـهـدـ مـعـاوـيـةـ عـهـدـاـ إـلـىـ اـبـنـهـ يـزـيدـ أـوـضـحـ لـهـ كـيـفـيـةـ مـعـالـجـةـ هـذـاـ الـأـمـرـ فـمـعـاوـيـةـ رـجـلـ سـيـاسـةـ مـحـنـكـ وـذـوـ خـبـرـةـ وـقـادـرـ عـلـىـ مـعـالـجـةـ هـذـاـ الـأـمـورـ أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـ، وـجـاءـ فـىـ الـعـهـدـ: (.. وـإـنـ لـاـ تـخـوـفـ أـنـ يـنـازـعـكـ هـذـاـ الـأـمـرـ الـذـىـ اـسـتـبـ لـكـ إـلـاـ أـرـبـعـةـ نـفـرـ مـنـ قـرـيـشـ الـحـسـيـنـ بـنـ عـلـىـ وـعـدـ اللهـ بـنـ عـمـرـ وـعـدـ اللهـ بـنـ الزـبـيرـ وـعـدـ الرـحـمـنـ بـنـ أـبـىـ بـكـرـ، فـأـمـاـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـمـرـ فـرـجـلـ قـدـ وـقـدـتـهـ الـعـبـادـةـ، وـإـذـاـ لـمـ يـقـ أـحـدـ غـيرـهـ بـاـيـعـكـ، وـأـمـاـ الـحـسـيـنـ بـنـ عـلـىـ فـإـنـ أـهـلـ الـعـرـاقـ لـنـ يـدـعـوهـ حـتـىـ يـخـرـجـوـهـ، فـإـنـ خـرـجـ عـلـيـكـ فـظـفـرـتـ بـهـ فـاصـفـحـ عـنـهـ، فـإـنـ لـهـ رـحـمـاـ مـاـسـةـ وـحـقـاـ عـظـيـماـ، وـأـمـاـ اـبـنـ أـبـىـ بـكـرـ فـرـجـلـ إـنـ رـأـىـ أـصـحـابـهـ

صنعوا شيئاً صنع مثلكم ليس له هم إلا في النساء، والله وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويرأوك مراوغة الثعلب فإذا أمكنه فرصة وثبت فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرتك عليه فقطعه إرباً إرباً).^(١)

تمت البيعة ليزيد بن معاوية ولم يكن له شاغل إلا هؤلاء النفر الذين رفضوا بيعته كولي للعهد، فكتب للوليد بن عتبة بن أبي سفيان أعامله على المدينة يخبره بوفاة معاوية، وكتب إليه في صحيفة لأنها أذن فأرة (أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذنا شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا)^(٢) يأتي الكتاب إلى الوليد فيختار ماذا يفعل وهو يكره استعمال القوة فيرسل إلى مروان بن الحكم يستشيره، فأشار عليه أن يجمع هؤلاء النفر فيدعوهم إلى البيعة، فإن بايعوا قبل منهم، وإن امتنعوا يضرب أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فيرسل الوليد إلى الحسين وابن الزبير في ساعة لم يكن يجلس إلى الناس فيها، فيظن الحسين وعبد الله بن الزبير - وكان ظنهما صحيحاً - أن معاوية قد مات وأن الوليد يريد أخذ البيعة منهما ليزيد بن معاوية، فذهب إليه الحسين وأخذ معه فتيانه وأصحابه - احتراماً لأنى غدر - وجعلهم على الباب وقال لهم: إن داخلي فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتجموا على بأجمعكم والا فلا تبرحوا حتى آخر.

يرفض الحسين أن تطلب منه البيعة سراً ويخبر الوليد أن عليه أن يدعوه مع الناس فيكون أمراً واحداً، فيقول له الوليد فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس. كان هذا يحدث ومروان جالس، فيغضب لأن الوليد لم يعمل بنصيحته، فيطلب من الوليد أن يحبس الحسين حتى يبايع أو يضرب عنقه (فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت، ثم خرج فمر بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله..)^(٣)

يوبخ مروان الوليد لأن الحسين أفلت منه وأنها كانت فرصة سانحة لن تتكرر ثانية، ولكن الوليد كان يعلم قدر الحسين جيداً فيقول لمروان: (وبخ غيرك يا مروان إنك

١ - الطبرى - ج ٣ من ١٠٠١

٢ - الطبرى - ج ٣ من ١٠٠٧

٣ - الطبرى - ج ٣ من ١٠٠٧

اخترت لى التى فيها هلاك دينى والله ما أحب أن لى ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا، وملكتها، وأنى قتلت حسيناً سبحان الله! أقتل حسيناً؟ أن قال لا أبایع!
والله إنى لا أظن امراً يحاسب بدم حسين خفيف الميزان عند الله يوم القيمة^(١)
يخرج الحسين إلى مكة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين وكان ابن الزبير قد
خرج قبله بليلة.

كان أهل الكوفة يكرهون يزيد ولا يريدون خلافته، فهو سينتهج نفس نهج معاوية
الذى أذلهم وأعز أهل الشام، وكان أمير الكوفة يوم مات معاوية النعمان بن بشير،
فتتشط خلايا الشيعة وتبدأ الاجتماعات فى محاولة جديدة لإعادة المجد الضائع إلى
العراق، فاجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فقال سليمان: (إن معاوية قد
هلك، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة
أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصريه ومجاهدى عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن
والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه قالوا: بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، قال:
فاكتبوا إليه)^(٢)

كان ابن صرد يخشى أن يفعل أهل الكوفة مع الحسين كما فعلوا مع أبيه وأخيه فيخذلوه
ويتركوه وحيداً لكنهم عاهدوه على التضحية بأنفسهم. كان كتاب الشيعة الذى كتبوه
للحسين مشجعاً ويوحى أن البلد ممهدة لاستقباله وما عليه إلا الذهاب لتلقى البيعة،
و خاصة أنهم أرسلوا إليه كتاباً لا حصر لها من الرجل والاثنين والأربعة، وكان بدء
المكاتبات فى شهر رمضان سنة ستين، ومن ضمن هذه الكتب ذكر: (لحسين بن على
من شيعته من المؤمنين والمسلمين أما بعد، فحيهلا فإن الناس ينتظرونك ولا رأى لهم
فى غيرك فالعدل العجل. والسلام عليك)

ومنها كذلك (أما بعد، فقد أخضر الجناب وأينعت الثمار وطمط الجمام فإذا اشت
فاقدم على جند لك مجند. والسلام عليك.
وغير هذا الكثير والكثير، ولكن الحسين لم يكن بالمتسرع لأنه وإن قبل أن يبايعه أهل

١ - الطبرى - ج ٣ ص ١٠٨

٢ - الطبرى - ج ٣ ص ١٠١٢

العراق فهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس حباً للسلطان، فبعث من يستطلع له الأمر حتى يكون على بينة وليبني قراره على أساس سليم، ويجب أن يقوم بهذه المهمة شخص ناصح من ذوى الثقة، فبعث مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه إلى الكوفة لينظر إذا كان ما كتبوه حقاً فيخرج إليهم. ولما أتى مسلم المدينة استأجر دليلين فضلاً الطريق ومات أحدهما عطشاً، وكاد مسلم أن يموت فتشاءم من ذلك وكتب إلى الحسين أن يعفيه من هذا الأمر وأن يبعث غيره، فيرفض الحسين أن يعفه. يصل مسلم إلى الكوفة وينزل دار المختار بن أبي عبيد، ولما علم أهل الكوفة بوجوده أقبلوا عليه بيايعونه فباعيه منهم اثنا عشر ألفاً، فينتشر أمر مسلم بن عقيل حتى علم به النعمان بن بشير والى الكوفة، وكان النعمان رجلاً حليماً ناسكاً لم يحب أن يبدأ الهجوم أو أن يأخذ بالشبهة والظن، فخطب فى القوم وكانت خطبته وعظاً أكثر منها تهديداً (فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمى حليف بنى أمية فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم إن هذا الذى أنت عليه فيما بينك وبين عدوكرأى المستضعفين فقال: أن أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب إلى من أن أكون من الأعزين فى معصية الله) ^(١)

لم يعجب عبد الله بن مسلم سياسة اللين التي ينتهجهها النعمان بن بشير، فكتب إلى يزيد يخبره بيعة الشيعة للحسين ووصف له ضعف النعمان الذى سيكون سبباً فى ضياع الكوفة، فيعهد يزيد إلى عبد الله بن زياد بن أبي سفيان بولاية الكوفة فأصبح له ولاية المصريين - البصرة والكوفة - كان يزيد على يقين أن هذا الأمر لا يصلح له إلا ابن زياد، فهو كأبيه لا يعرف المرونة أو اللين وأن له القدرة على أن يفعل بمسلم بن عقيل والحسين بن علي ومن شايشه كما فعل أبيه بحجر بن عدى وأصحابه، فالاعتبارات السياسية وطاعة الحاكم - للحفاظ على كرسى الولاية - عنده فوق كل الاعتبارات الإنسانية والدينية.

خرج عبيد الله من البصرة واستخلف أخاه عثمان بن زياد، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباھلی وشريك بن الأعور الحارثی - وشريك هذا كان من شيعة

على ~~صهباء~~ - وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة، وعليه عمامة سوداء وهو مثثم والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فظنوا حين قدم عبد الله أنه الحسين فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم فرأى من تبشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه، حتى النعمان ظن أنه الحسين، وجعل يحدثه على هذا الأساس فكان يقول: أنشدك الله إلا تحيطت عن ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لى في قتلك من أرب. فاقترب منه عبيد الله بن زياد فقال: افتح لا فتحت فقد طال ليك فسمعها رجل فقال: أى قوم إنه ابن مرجانة - يقصد عبيد الله - والذى لا إله غيره، وعندما علم الناس أنه ابن زياد دخلهم من ذلك كابة وحزن شديد.

أعلن ابن زياد حالة الطوارئ وأصدر قراراً للعرفاء - رؤساء الشرطة - أمرهم فيه أن يكتب كل عريف في نطاق دائرته أسماء الغرباء والموالين ليزيد بن معاوية، وأن يكتبوا له أسماء من يوجد من الحرورية - يعني الخوارج - وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق - يعني الشيعة - ومن لم يدفع هذه الأسماء ويضمن عدم خروج أهل دائرته على أمير المؤمنين تصل عقوبته إلى الصلب على باب داره.

يعلم مسلم بن عقيل بحالة الطوارئ التي أعلنتها ابن زياد فيخرج من دار المختار بن عبيد - لأن معظم الناس يعلمون نزوله بها - ويتوجه إلى دار هانئ بن عروة المرادي فآواه هانئ وأعطاه الزمام كارهاً فهو لا يحب الصدام مع السلطة ويريد الحفاظ على مركزه الأدبي، وتنتقل الاجتماعات إلى منزل هانئ بن عروة.

يمرض شريك بن الأعور فينزل دار هانئ بن عروة ويعلم ابن زياد بمرضه، وكان شريك كريماً على ابن زياد وغيره من النساء، فيرسل له ابن زياد أنه سيزوره عند العشاء، فقال شريك لمسلم بن عقيل: (إن هذا الفاجر عائد العشية فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله، ثم اقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه فإن برئت من وجعى هذا أيامى هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها) ^(١) ولو نفذ مسلم بن عقيل هذه الخطة لتغير كل شيء ولكن مسلماً يرفض أن يقتل ابن زياد لأن هانئ بن عروة كره أن يقتل ابن زياد

في داره. وتوفي شريك بعد ذلك بثلاثة أيام.

يستخدم ابن زياد سلاح التجسس فيرسل مولى له يدعى معملاً ليدخل بين صفوف الشيعة ويأتي إليه بالأخبار ليعرف مكان مسلم بن عقيل، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم ليتبرع بهم لشيعة على ليستعينوا بها على شراء السلاح، وكان يتلقى البيعة للحسين، ويخبره أنه يريد أن يباع وأن معه مالاً ليستعين به الشيعة على قضاء أمرهم، ويلتقى مقتل ب المسلم بن عقيل - بعد موت شريك - فأخذ مسلم بيته وأمر أبا ثمامنة الصائدي فقبض ماله الذي جاء به وهو الذي كان يقبض أموالهم، ويشترى لهم السلاح لخبرته بهذا الأمر، فقد كان من فرسان العرب ووجوه الشيعة.

كان معلم أول من يحضر الاجتماعات وأخر من ينصرف منها، وكان ينقل لابن زياد كل ما يسمعه، وكان هانئ قد امتنع عن زيارة ابن زياد منذ نزل مسلم عنده، فأرسل له ابن زياد، فيذهب إليه هانئ، ويخبره ابن زياد بالأمر كله وأنه يأوى عنده مسلم بن عقيل وينكر هانئ، فيدعوه ابن زياد معملاً ذلك الجاسوس، فأخبره هانئ أن الأمر قد فرض عليه وقال له: (إن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فامره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من زمامه وجواره، فقال: لا، والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به، فقال: لا والله لا أجيبك أبداً، أنا أجيبك بضيفي تقتله، قال: والله لتأتيني به قال: والله لا آتيك به) (١)

وانتهى الأمر بهانئ بأن هشم ابن زياد وجهه بقضيب من حديد ثم أمر بحبسه، وبلغ قبيلته مذبح أن هانئاً قد قتل فأقبل عمرو بن الحاج في مذبح حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى: أنا عمرو بن الحاج وهذه فرسان مذبح ووجوها لم تخلي طاعة، ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أن أصحابهم قتل فأعظموا ذلك، فقيل لعبد الله بن زياد: هذه مذبح بباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على أصحابهم فانظر إليه، ثم أخرج فأعلمه أنه حى لم يقتل وأنك قد رأيته فدخل إليه شريح فنظر إليه، ويخبره هانئ أنه لو دخل عشرة نفر لأنقذوه، وكان في نية شريح أن يخبر فرسان مذبح بجليمة الأمر، ولكن ابن زياد أرسل معه أحد رجال الشرطة ليكون رقيباً عليه فأخبرهم

أن أصحابهم بخير فانصرفوا.

علم ابن عقيل بما حدث لهانئ، فبدأ التحرك الرسمي وأمر أحدهم أن ينادي بكلمة السر التي اتفق عليها الشيعة (يا منصور، أمت)، فما أن انطلقت الكلمة حتى اجتمع إليه أربعة آلاف مقاتل، وعلم ابن زياد بأن هذا الكم الغفير يسير إليه فأصابه الذعر وغلق أبواب القصر فلم يكن معه سوى ثلاثين من رجال الشرطة وعشرين رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه.

السير الطبيعي للأمور يقول إن النصر قد لاح لسلم بن عقيل ومن معه وأن الحسين عليه سلام سيأتي والطريق ممهد لتبدأ صفحة جديدة في تاريخ الشيعة، ولكن ما حدث هو العكس؛ فقد لعب الأشراف دوراً بارزاً في تفريق صفوف الشيعة واخמד حماسهم، فكان كل هم الأشراف هو السلطة والجاه وهذا أمر لن يكون مع غيربني أمية، أما الحسين فسيكون الكل عنده سواء وبذلك لن يحصل الأشراف معه على أي ميزة جديدة بل سيخسرون كل المزايا التي اكتسبوها في ظل الحكم الأموي.

وللتعرف على الدور الذي قام به الأشراف إليك هذه الرواية التي جاءت على لسان أحد من كانوا مع مسلم بن عقيل (أشرف علينا الأشراف فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تحجب فقال: أيها الناس، الحقوا بأهالكم، ولا تعجلوا بالشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود أمير المؤمنين قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أقمتم على حربه، ولم تصرفوا من عشيرتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتليكم في مغاري أهل الشام.. وأن يأخذ البرء بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا آذاقها.. وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلما سمع مقاتلهم الناس أخذوا يتفرقون وأخذوا ينصرفون) ^(١)

والغريب في الأمر أن من الأشراف الذين قاموا بهذا الدور مثل حجار بن أبيجر العجلاني، وشبيث بن ربيع التميمي كانا من ضمن الذين كتبوا للحسين للقدوم إلى الكوفة، ولكن رجعوا فانقلبوا عليه، وأخذوا يفرقون الناس عن قائد جناحه العسكري مسلم بن عقيل، حتى إنه لما دخلت صلاة المغرب لم يجد معه إلا ثلاثين رجلاً - من الأربعة آلاف - وكان

عليه وضع خطة للانسحاب، فانسحب وأثناء انسحابه لم يجد معه رجلاً واحداً لم يكن ما حدث سببه سوء تنظيم في صفوف الشيعة، فقد نظمهما ابن عقيل وعرف كل منهم دوره قبل التجمع وكان الجميع على أهبة الاستعداد بدليل أنه ما انطلقت كلمة السر (يا منصور، أمت) حتى تجمع لديه أربعة آلاف مقاتل، ولم ينطلق هؤلاء بصورة عشوائية وإنما قام ابن عقيل بتنظيمهم (فقد مسلم لعبد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة وقال: سر أمامي في الخيل، ثم عقد مسلم بن عوسجة الأسدى على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال - أى المشاة - فأنت عليهم وعقد لأبي ثمامة الصائدى على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعده الجدلى على ربع المدينة) ^(١)

لم يكن إذن السبب في تفكك الشيعة بهذه الصورة سوء التنظيم، ولكن اجتمعت عدة عوامل أدت إلى هذا التفكك، فأولاً لم يصل ولاء الشيعة - حتى هذه اللحظة - لأن على ~~نهجه~~ إلى الدرجة التي يجعلهم مقبلين على التضحية من أجلهم، فإن كانت القلوب تهوى ~~نهجه~~ فإن السيف تأبى، وثانياً: فقد وجد الشيعة أنهم حتى لو انتصروا عسكرياً الآن فإن هذا النصر لن يدوم لهم؛ لأن جنود الخليفة لن تثبت أن تأتى إليهم لينزعوا منهم هذا النصر، علاوة على أنه سيُمنع عنهم العطاء، وسيظلون دائمًا هم الأدنى في الدولة الإسلامية لخروجهم على الحاكم فيهزمون بذلك هزيمة سياسية ساحقة، لذلك ما لبثوا أن أعادوا حساباتهم حتى تبين لهم أن نصرهم - إن تحقق الآن - سيكون نصراً زائفاً، حتى الأشراف الذين كتبوا للحسين ~~نهجه~~ يحرضونه على القodium فضلوا نقض عهدهم الذي عاهدوا على أن يذلوا فيما بعد.

وجد مسلم بن عقيل نفسه وحيداً شريداً لا يدرى إلى أين يذهب، حتى احتمى بدار امرأة من بنى جبلة من كندة، فعلم ابن المرأة بوجود مسلم بالدار فأفتشي السر إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبر الأخير أياه محمد بن الأشعث رئيس كندة فأخبر ابن زياد فقال له: قم فأنتى به الساعة.

ذهب الأشعث ليأتي بمسلم وأخذ معه ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس، فحاصروا

الدار واقتحموها فقاتلهم مسلم حتى أخرجهم من الدار، فأعادوا الكرة مرة أخرى، فضربه أحدهم ضربة - وهو بكير بن حمدان الأحمدي - فقطع شفة مسلم العليا فضربه مسلم ضربتين كاد أن يقضى بهما عليه، فلما رأى الرجال ذلك ألقوا عليه الحجارة من سطح البيت وأخذوا يشعرون النار في أطنان القصب، فاضطر مسلم للخروج إليهم ولكن يعجز عن مواصلة القتال لكثره جراحه فيعطيه محمد بن الأشعث الأمان فيضطر مسلم إلى أن يسلم نفسه.

علم مسلم بن عقيل أنها النهاية وأخذ يبكي لا على نفسه ولكن على الحسين وأآل بيته لأن مسلماً كان قد كتب إلى الحسين كتاباً عندما بايعه أهل الكوفة (أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فجعل الإقبال حين يأتيك كتابي فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأى ولا هو. والسلام) ^(١) ولكن مسلماً ينجح في إرسال كتاب آخر للحسين عن طريق محمد بن الأشعث حيث جهز له رسوله وأعطاه ما يعينه على تلك المهمة وكان هذا الكتاب عكس الأول تماماً، فبعد أن بايع القوم باعوه، وبعد ما نصروه خذلوه. جاء في الكتاب (ارجع بأهل بيتك، ولا يفرك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكذب رأى) ^(٢) ويلحق الرسول بالحسين في الطريق فيرفض الحسين الرجوع قائلًا (كل هم نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا).

يصل مسلم إلى باب قصر عبد الله بن زياد ومعه محمد بن الأشعث، فيخبر ابن زياد أنه أعطى لمسلم الأمان فقال عبد الله: ما أنت والأمان كأننا أرسلناك تؤمنه إنما أرسلناك لتأتينا به).

كان الحكم بقتل مسلم قد صدر من ابن زياد دون محاكمة أو سماع أقوال فقانون الطوارئ والمحافظة على كرسي الخليفة المفروض على المسلمين فرضاً لا يسمح بمثل هذه المحاكمات فقد أدخل مسلم على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة فقيل له: ألا تسلم على الأمير؟ فقال مسلم: إن كان يريد قتلى فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد

١- الطبرى - ج ٣ ص ١٠٢١

٢- الطبرى - ج ٣ ص ١٠٢١

قتلى فلعمري ليكثرن سلامي عليه، فقال ابن زياد: لعمري لقتلن، فطلب منه مسلم أن يوصى واختار عمر بن سعد بن أبي وقاص فيرفض ابن سعد فيقول له ابن زياد: لا تمنع أن تنظر في حاجة ابن عمك، ويوصيه مسلم بأن عليه ديناً في الكوفة سبعمائة درهم فيطلب منه سدادها عنه وأن يدفن جثته وأن يخبر الحسين بما حدث ويطلب منه عدم القodium إلى الكوفة.

لم يلبث عمر بن سعد أن سمع الوصية حتى أفشى سرها إلى ابن زياد - تربياً للسلطة - فقال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك، ولسنا نمنعك أن تضع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه لم يردننا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه، وأما جثته، فإننا لن نشفعك فيها، وزعموا أنه قال: أما جثته فإننا لا نبالى إذا قتلناه ما صنع بها.

ويدعو ابن زياد بكير بن حمدان - الذي ضربه مسلم بسيفه - فيأمره أن يصعد به فوق القصر ليضرب عنقه ثم يتبع جسده رأسه، فصعد مسلم وهو يكبر ويستغفر ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم أغروا وخدعوا وأذلوا وقتلوا، ثم قتل كما أمر ابن زياد. وجاء الدور على هانئ بن عروة فهو مازال محبوساً وكان ابن زياد قد وعد محمد بن الأشعث أن يطلق صراحه لكن بعدما قتل مسلم بن عقيل رأى ابن زياد أنه ينبغي القضاء على كل رءوس الفتنة حتى يخشى الجميع سطوه ويستتب له الأمر، فأمر بقتل هانئ، فقتل في السوق ولم يجرؤ أحد على نصرته، وقتل بعد هانئ اثنان آخران كانوا قد قبض عليهم، قتلاً أمام قومهما كوسيلة لردع كل من سولت له نفسه الخروج على الخليفة أو التشيع لآل علي.

وقد قال الشاعر في قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المرادي:

إن كنت لا تدرى من ما الموت فانظر إلى هانئ في السوق وابن عقيل	إلى بطل هشم السيف وجهه	أصابهما أمر الأمير فأصبحا
وآخر يهوى من طمار قتيل	أحاديث من يسرى بكل سبيل	وكتب ابن زياد كتاباً إلى يزيد بن معاوية بكل ما حدث وأرسل مع الكتاب رأسى مسلم وهانئ، فسرّ يزيد بهذا وأخبره بقدوم الحسين إلى الكوفة وأمره ألا يقاتل إلا من قاتله.

مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله :

عزم الحسين على الخروج إلى الكوفة بعدهما جاءه كتاب مسلم بن عقيل أنه قد بايعه ثمانية عشر ألف، وقد نصح الكثيرون للحسين بعدم الخروج إلى الكوفة، وكان أنصحهم له عبد الله بن عباس، فقد قرأ الواقع قراءة جيدة فكانت نتائجه صائبة وغاية في المنطقية. قال له ابن عباس: (أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم وتفوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم فاهر لهم وعماليه تجبي بلادهم فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ولا آمن عليك أن يفرون ويكذبون وبخافلوك وبخذلوك، وأن يستفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك) (١)

أما ابن الزبير فكان يشجع الحسين على الخروج إلى الكوفة تحقيقاً لصالحه الشخصية وطمئناً في السلطان وكان الحسين على علم بما يخفيه ابن الزبير في نفسه، فابن الزبير لا يريد إلا خروج الحسين، فكان لابد إذن من خروج الحسين من الحجاز حتى يخلو الأمر لابن الزبير.

خرج الحسين من مكة فاعترضه رسول عمرو بن سعيد بن العاص عامل يزيد على مكة فقالوا له انصرف فيرفض الحسين ويمضي في طريقه، وتدافع الفريقيان فاضطربوا بالسياط ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً.

(ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم فلقى بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الجميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل.. فأخذها الحسين فانطلق بها. ثم قال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم من أحب أن يمضى معنا إلى العراق أو فينا أجره (حيث إن اليمن كان بها الكثير من شيعة على) ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الأجر على قدر ما قطع من الأرض، فكان من فارقه منهم حوض فأوفى حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه أجره وكساه) (٢)

١ - الطبرى - ج ٣ ص ١٠٢٢

٢ - الطبرى - ج ٣ ص ١٠٢٦

وسار الحسين حتى بلغ الثعلبية وفيها جاءه خبر مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (فقال بنو عقيل: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا، فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء، وقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع) ^(١)

كان الحسين كلما اقترب من الكوفة تأتي إليه الأخبار بما يفيد أنه يسير إلى حتفه ومع ذلك كان يرفض التراجع وكأنه كان يشعر أن هذا قضاء الله، فقد ذكر أن الحسين قد قال: (إني رأيت رؤيا فيها رسول الله ﷺ وأمرت فيها بأمر أنا ماض له علىَّ كان أولى، فقيل له: فمَا تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربِّي) ^(٢)

ويصل الحسين إلى زُبالة، ف يأتيه نباً جديداً كان كفياً لأن يرجع الحسين من حيث أتي، ولكن كما ذكرنا فقد كان الحسين على موعد مع القدر، فقد بلغه مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر (وكان قد سرحة إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدرى أنه قد أصيب فتلقاه خيل الحسين بن تميم بالقادسية فسرح به إلى عبيد الله بن زياد فقال أصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب - يزيد الحسين ابن علىٰ رض - ثم انزل حتى أرى فيك رأيي، فصعد، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس إني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة ابن سمية - يعني عبيد الله بن زياد - الداعي فأمر به عبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه، فأتاوه رجل فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريده) ^(٣)

وعندما رأى الحسين أن الأمر قد تدهور بهذه الطريقة كتب لأصحابه (.. قد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا زمام). وقد فعل الحسين هذا لأن الأعراب الذين اتبعوه في الطريق كانوا يظنون أن الأمور على ما يرام وأن الحسين نازل في بلد يستقبله أهله - ومن معه - استقبلاً حافلاً، فلا حرب ولا قتال،

١ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٢٠

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٢٦

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٢١

فأراد أن ينبههم إلى خطورة الأمر ليبقى من يبقى على إخلاصه وولائه ويردع من يرجع غير ملام، فما أن نطق بالكتاب حتى تفرق الناس عنه يميناً وشمالاً حتى بقى في أصحابه الذين جاءوا معه.

وفي الطريق رأى الحسين ورجاله طلائع خيل الكوفة فسبقهم الحسين إلى ذي حسم وكان القائد لهذه الطلائع الحر بن يزيد التميمي، وهذه القوات كانت قد أرسلت من القادسية ل تستقبل الحسين بناء على تعليمات ابن زياد إلى رئيس شرطته الحصين بن تميم التميمي، وفي الظهيرة صلى الحسين الظهر بأصحابه وأصحاب الحر بن يزيد الذي كان يعامل الحسين بغاية الاحترام والأدب، جهز الحسين نفسه للرحيل وحلت صلاة العصر وبعد أن صلّى الحسين خطب في القوم (.. وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتنى كتبكم وقدمت به على رسلكم انصرفت عنكم فقال له الحر بن يزيد: إنما والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر)^(١) كانت الكتب تملأ خرجين فنشرها بين أيديهم، فقال الحر: فإننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك لا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك. ثم يمنع أصحاب الحر الحسين من الرحيل فيقول له الحسين: ثكلتك أملك: ولم يشا الحر أن يرد عليه إجلالاً لمقامه وبعد مناقشات ومشاحدث قال له الحر: (إن لم أومر بقتالك، وأنما أمرت إلا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أتيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة، ولا تدرك إلى المدينة تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية، إن أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت فقلل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك.. ثم إن الحسين سار في أصحابه والحر يسايره)^(٢)

يصل الحسين إلى عذيب الهجانات، وكان بها هجائن النعمان ترعى فإذا بأربعة رجال قدموا من الكوفة وانضموا إلى الحسين يحدثونه، فأراد الحر بن يزيد أن يلقى القبض عليهم ويحبسهم أو يردهم إلى الكوفة، فأبى الحسين وقال له إنهم أنصارى وما يسرى علينا يسرى عليهم، ويستفسر الحسين عن حال الناس بالكوفة، فقال له مجمع بن عبد

الله العائدى - وهو أحد الرجال الأربعه - (أما أشراف الناس فقد عظمت رشوتهم.. وأما سائر الناس فإن أفتديتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك) ^(١) كان مع الرجال الأربعه دليل اسمه الطرماح بن عدى، فأوضح للحسين أن الجندي الذى تجمع بالكوفة لمحاربتك لم تر مثيل فى صعيد واحد أكثر منه، ويرسم له خطة تنجيه مما هو فيه وذلك بأن يسير معه إلى جبل يدعى أجاؤ يحتمون به، وذكر له أنهم احتموا به - أيام الجاهلية - من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر، وتمهد له أن يكون معه عشرون ألف محارب من طيق يحاربون معه، ولكن الحسين يرفض كل ذلك ويقول: (إنه كان بيننا وبين هؤلاء القوم - الحر بن يزيد وأصحابه - قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندرى علام تتصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه) ^(٢) كان الحسين مثل أبيه، وقد رأينا كيف أن علياً عليه رفض الرجوع عن قرار التحكيم رغم أن به مصلحته - كما طلب منه الخوارج ليس لاعتبارات سياسية، ولكن لاعتبارات دينية بختة تمثل في رفضه الرجوع في عهد عاشه، ففي حين أنبني أمية كانت تقضي الدين عن أي اعتبارات سياسية نجد أن علياً وبعده الحسن - الذي حقن الدماء بالتصالح - ثم ما هو الحسين لا يفصل الدين عن السياسة.

أخذ الركب يسير حتى وصلوا إلى قرية نينوى، وعندها وصل رسول عبيد الله بن زياد وسلم رسالة إلى الحر بن يزيد جاء فيها: (أما بعد، فمجتمع بالحسين حين يبلغك كتابي وينقدم عليك رسولى فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولى أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتني بإنفاذك أمرى، والسلام) ^(٣) ويرفض الحر بن يزيد أن ينزل الحسين في أي قرية من القرى المحيطة بالمكان، ويظهر أن الحر كان قلبه قد بدأ يميل إلى الحسين، فحينما طلب منه الحسين أن ينزل في أي قرية قال له الحر: لا والله لا أستطيع هذا رجل قد بعث إلى عيناً، ومعنى ذلك أن الحر كان يود أن ينزل الحسين بإحدى القرى لولا الرسول الذي ظل يراقب الأمور حتى ينفذ الحر أوامر القيادة.

١ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٢٢

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٢٤

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٢٤

يقترح أحد أصحاب الحسين - وهو زهير بن القين - أن يقوم الحسين بمحاربة هؤلاء القوم لأن قاتلهم أهون ممن سيجيء بعدهم، ولكن الحسين يسير على نفس منهج أبيه فيقول: ما كنت لأبدأهم بالقتال.

وفي يوم الجمعة الثالث من محرم سنة إحدى وستين قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف كان ابن سعد متربداً في الخروج للاقallaة الحسين وطلب من ابن زياد أن يعيشه فأخبره ابن زياد أن جزاءه سيكون الإعفاء من كل مناصبه أى العزل، فطلب ابن سعد أن يمهله يوماً للتفكير، وكان كلما استشار أحداً نهاد عن الخروج (وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخيه فقال: أشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين، فتأثم بربك وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك وما لك سلطان الأرض كلها لو كان خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين). فقال له ابن سعد: فإنني أفعل إن شاء الله^(١) وفي نهاية الأمر يفضل عمر بن سعد السلطة والمنصب ويقدمهما على أى اعتبار آخر.

يريد ابن سعد أن يبعث إلى الحسين رسولاً يسألة عن سبب قدومه، وكلما عرض على أحد الرؤساء أبي ورفض استحياءً من الحسين لأنهم كتبوا إليه بالقدوم ثم نكث، وفي النهاية يذهب إليه مرة ابن قيس ليسأله، فقال له الحسين: كتب إلى أهل الكوفة أن أقدم فاما إذا كرهوني فأنا أنصر عنهم. فكتب عمر بن سعد رسالة إلى ابن زياد يخبره برد الحسين، فكتب له ابن زياد (أما بعد، فقد بلغنى كتابك وفهمت ما ذكرت فاعرض على الحسين أن يباع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه فإن فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام)^(٢)

وجاء بعد ذلك كتاب آخر من ابن زياد إلى عمر بن سعد يأمره فيه أن يمنع الماء عن الحسين وأصحابه وألا يذوقوا منه قطرة، فبعث ابن سعد خمسمائة فارس حالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة. تصل الأخبار إلى ابن زياد أن عمر بن سعد يتقاус عن أداء مهمته وأنه يجتمع كل ليلة

١ - الطبرى - ج ٢ من ١٠٣٥
٢ - الطبرى - ج ٣ من ١٠٣٦

مع الحسين، فيخشى ابن زياد أن يجتمع الحسين وعمر بن سعد على قول واحد فيخرج الأمر من يديه، فيرسل شمر بن ذي الجوشن العامری الضبابی - وهو الذي أوصل إلى ابن زياد هذه الأخبار - إلى عمر بن سعد ومعه كتاب يأمره فيه أن يحارب الحسين ومن معه إذا لم يستسلموا وأن يقتلهم ويمثل بهم وإن كان لا يقدر على فعل هذا فليسلم إمارة الجند إلى شمر بن ذي الجوشن.

كان من المستحيل أن يضع الحسين يده في يد ابن زياد أو أن يبايع يزيد من معاوية، كما أن ابن سعد لم يكن يرى أمامه إلا السلطة والإمارة اللتين سيفقدهما إذا لم يحارب الحسين، فكان لابد من القتال.

كان الحسين ذا فكر عسكري، وقد رأى قلة عدد من معه - اثنين وثلاثين فارساً وأربعين رجلاً، فكان عليه أن يضع خطة تمنع محاربي الكوفة أن يحيطوا بهم من كل جانب، فجعل الحسين البيوت في ظهورهم، وقام الرجال بحفر خندق وضعوا فيه كميات كبيرة من القصب حتى إذا دارت المعركة أشعلاوا فيه النار فيقاتلون الرجال من وجه واحد فلا يطعنون في ظهورهم.

كان موعد القتال يوم الجمعة في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ، وقبيل المعركة ينادي الحسين من كتبوا إليه ويحاربون ضده (يا شيث بن ربعي، ويا حجار بن أبيجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إلى أن قد أينعت الشمار، وأخضر الجناب، وطمط الجمام. وإنما تقدم على جند لك مجند فأقبل فقالوا له: لم نفعل. فقال: سبحان الله!) ^(١) يقولها الحسين متعجبًا، فهو لاءٌ - وغيرهم كثيرون - كتبوا إليه وببايعوا مسلم ابن عقيل، وعندما يأتي إليه يحاربونه، وكأنما كتبوا إليه ليقتلواه!

يرى الحر بن يزيد أن قتال الحسين واقع لا محالة، فيتحجج بأنه سيسبق فرسه، ويخرج من صفوف عمر بن سعد بن أبى وقاص، ويقترب من صفوف الحسين، فيسأله أحد أصحابه: أتريد أن تبدأ بالهجوم، فلا يرد عليه ويقترب أكثر من الحسين ويقول لأحد أصحابه: إنى والله أخير نفسي بين الجنة والنار، والله الذى لا إله إلا هو لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت. ويلحق الحر بالحسين ويعرفه بنفسه ويبذر له موقفه:

أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعلت بك في هذا المكان، والله، ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبابي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنى خرجت من طاعتهم. فيقبله الحسين وينضم إلى رجاله.

دارت رحى المعركة وكانت من البداية في غير صالح الحسين وأصحابه، فأخذ أصحاب الحسين ومن صحبه من أهله يتتساقطون واحداً تلو الآخر - وإن كانوا قاتلوا فتناً مشرفاً - وكان موت كل واحد منهم يتم في مشهد غاية في الحزن والأسى، فها هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد كان غلاماً كأن وجهه شقة قمر - كما جاء في الطبرى - خرج إليه فارس من معسكر عمر بن سعد فضرب رأس الغلام بالسيف فوق الغلام على وجهه، فقال: عماد! فانطلق إليه الحسين، ونجح في قتل من قتله، وأخذ الحسين يقول. والغلام يلفظ آخر أنفاسه - بعده القوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيمة فيك جدك، ثم قال: عز والله على عما أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته، ثم حمله الحسين ووضع صدره على صدر الغلام، حتى ألقاه مع ابنه على ابن الحسين وقتلى قد قتلت حوله من أهل بيته. ^(١)

ويشتد العطش بالحسين فدنا ليشرب فرمى أحدهم بسهم في فمه وحال القوم بينه وبين الفرات، ويظل الحسين يقاتل وحيداً، ويقترب عمر بن سعد من الحسين فقالت زينب اخت الحسين: يا عمر بن سعد، أقتل أبو عبد الله، وأنت تنظر إليه فتسيل دموع عمر على خديه ولحيته ثم يصرف وجهه عنها.

كان في إمكان القوم القضاء على الحسين لكنهم كانوا يتهربون حتى لا يحمل أحد وزر قتله حتى قتله سنان بن أنس النخعي وحز رأسه طمعاً في المكافأة على صنيعه. لم يكن من حارب ضد الحسين - سواء كان ممن كتب له أو لم يكتب - كارهاً له، ولكن وجد أن الانضمام إلى حزب الحسين لن يجلب عليه النفع، فحتى إذا دخل الحسين الكوفة فإن يزيد بن معاوية لن يلعب دور المترجر ولكن سيرسل إليه جنود الشام فيقتله ومن شابعه، فمن سينضم إلى الحسين لن ينال إلا خسران مركزه بل وحياته أيضاً، لأن

الانقلاب لن ينجح بأى حال من الأحوال وسيظل كل من ينضم الخائن الأول للسلطة القائمة ومن المحرضين على قلب نظام الحكم وكل من وضع اسمه بالقائمة السوداء لن يمحى اسمه إلا بالقتل؛ لذا كان الأفضل لهم اللعب مع الحزب الأقوى حيث الجاه والنفوذ لا الجهاد ثم القتل.

على أن قتل الحسين وأل بيته بهذه الصورة المأساوية قد أضاف بعدها جديداً للتنظيم الشيعي، فلم يعد مجرد تنظيم يقوم على مجرد هدف سياسي يتمثل في إعادة السلطة المسلوبية إلى آل على، ولكنه قام أيضاً على حب آل البيت الذين تقاعس التنظيم عن نصرتهم في حين كان يقدر على ذلك حتى قتلوا ومثل بهم بهذه الطريقة فكان لابد من الانتقام لهم والولاء من يخلفهم من آل البيت عسى أن يجدوا في هذا تكثيراً عن ذنبهم الذي اقترفوه.





إِلَهَ الْفَضْلِ إِلَهُ السَّلَامِ

الشيعة والطلب بدم الحسين

الشيعة والطلب بدم الحسين

قتل الحسين سنة ٦١ هـ وشعر الشيعة بالندم إذ إنهم السبب الرئيسي في كل ما حدث له، فقد كاتبوه وبابيه منهم ثمانية عشر ألفا حتى أتى العراق وبدلاً من أن يجد جنوداً تقاتل معه وجدهم يقاتلونه، ومن لم يقاتلته منهم فقد خذله وتقاويس عن نصرته حتى كان مقتله هو والكثير من أهل بيته.

سليمان بن صرد وبداية التنظيم:

تولى أمر التنظيم السري القائم على الثأر للحسين خمسة نفر كانوا هم رؤوس الشيعة، سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ، والمسيب بن نجدة الفزارى، وكان من أصحاب على وخيارهم، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التميمي، ورفاعة بن شداد البجلى. كانوا جميعهم رجالاً بلغوا سن الستين وجدوا في قتال من قتل الحسين الوسيلة الوحيدة للتوبة من ذنبهم الذي اقترفوا فأطلقوا على أنفسهم اسم (التابون) وكانت اجتماعاتهم تتم بمنزل سليمان بن صرد. رأى التوابون أنه لابد لهم من قائد يلجأون إليه ويلتف الجميع حوله، (فقام رفاعة بن شداد وحمد الله وأثنى على نبيه ﷺ وقال: أما بعد.. ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله ﷺ وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود في بأسه ودينه والموثوق بحزمته)^(١)

١ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٩١

كان ابن صرد يخطب كل جماعة في جماعة التوابين نفس الخطبة ولا يغيرها، فكانت بمثابة الدستور الذي يقوم عليه التنظيم، فكان أولًا يذكرون ما حدث للحسين بسبب خذلانهم إياه ثم يقول: (لا ترجعوا إلى الحالات والأبناء حتى يرضي الله والله ما أطنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه أمرٌ قط إلا ذل كونوا كالآولى من بنى إسرائيل إذ قال لهم نبيهم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِإِخْرَاجِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ بِارِيْكُمْ فَأَفْلَوْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ حِيرَةٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيْكُمْ﴾^(١) مما فعل القوم! جثوا على الركب والله، ومدوا الأعنق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعى القوم إليه! اشحذوا السيوف وركبوا الأسنة، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطْعُمُ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْغَيْلِ﴾^(٢) حتى تدعوا حين تدعون تستنفرون) ^(٣)

ظل الشيعة على عقد اجتماعاتهم السرية بمنزل ابن صرد حتى حانت لهم الفرصة للتحرك الفعلى بموت يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وأمير العراق عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة وخليفةه بالكوفة عمرو بن حرث المخزومي، وجد الشيعة أن أمر السلطة قد ضعف وأن الحياة السياسية غير منتظمة بعد وفاة الخليفة، فأشاروا على سليمان بن صرد بالوثوب على قصر الولاية وطرد عمرو بن حرث وأن يظهروا ثورتهم علناً ويعلنون أهداف ثورتهم المتمثلة في المطالبة بدم الحسين وتبع قتله والدعوة إلى آل البيت المسلوب حقهم.

كان سليمان بن صرد حريصاً تمام الحرث، فطلب منهم الصبر والتريث، فقتلة الحسين الحقيقيون هم أشراف الكوفة، وفرسان العرب، ولو علموا أنهم هم المطالبون بدم الحسين وأنهم سيقتلون بقتله سيقاومون الثورة ويقضون عليها في مهدها، فطلب منهم أن يدعوا شيعتهم وغير شيعتهم في مختلف الأمصار حتى يزداد عددهم وعدتهم فيتوافق لهم أحد عوامل إنجاح الثورة، وخرجت طائفة منهم يدعون الناس فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعف من كان استجاب لهم قبل ذلك.

١ - سورة البقرة - آية ٥٤

٢ - سورة الانفال - آية ١٠

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ١٠٩١

أراد عمرو بن حرث - بناء على تعليمات عبيد الله بن زياد - أن يجدد العهد مع أهل الكوفة مثلاً جده مع أهل البصرة، فخطب فيهم أن ابن زياد سيتولى أمرهم حتى يختار الناس الخليفة الجديد، (فقام يزيد بن الحارث الشيباني ثم قال: أنحن نبایع لابن مرjanة ويقصد عبد الله بن زياد - لا ولا كرامة، فشرف تلك الفعلة يزيد في المصر ورفعته) ^(١)

وأيد الأشراف - وعلى رأسهم محمد بن الأشعث - رأى يزيد بن الحارث، فطردوا عمرو ابن حرث، واجتمع الناس في المسجد على أن يؤمرروا رجلاً إلى أن يجتمع الناس على خليفة، فاختاروا عمر بن سعد، ولما كان ابن سعد له يد في قتل الحسين، (جاءت نساء همدان بيكون حسيناً ورجالهم متقدلو السيوف فأطافلوا بالمنبر) ^(٢) فاجتمع الناس على عامر بن معمور بن أمية بن خلف الجمحي وبایع لابن الزبير. ولما علم الناس بالبصرة أن أهل الكوفة قد خلعوا ابن زياد قالوا: أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تبايعونه فثاروا عليه وخلعواه.

وفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من رمضان سنة أربع وستين يرسل ابن الزبير عبد الله بن يزيد الانصارى والياً على الكوفة، ويحذره أحد الأشراف - وهو يزيد ابن الحارث بن رويم الشيباني - من استعداد الشيعة للخروج للمطالبة بدم الحسين وأن عليه أن يعد العدة لمحاربتهم قبل أن تشتد شوكتهم، فقال عبد الله بن يزيد: (إذا هم قاتلنا قاتلناهم، وإن تركونا لم نطلبهم، فإننا قاتلنا الحسين؟! لعن الله قاتل الحسين، وصعد عبد الله بن يزيد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد.. ما أنا قاتلت الحسين وما أنا ممن قاتله فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين، فقد أقبل إليهم وأنا لهم على قاتله ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين.. وقد توجه إليكم عهد العاحد به على مسيرة ليلة من جسر منج فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن يجعلوا بأسمكم بينكم..) ^(٣)

أصبح خروج الشيعة - بعد بيان عبد الله بن يزيد - لمقابلة ابن زياد له طابع شبه

١ - الطبرى - ج ٣ ص ١٠٨٠

٢ - الطبرى - ج ٣ ص ١٠٨٠

٣ - الطبرى - ج ٣ ص ١٠٩٤

رسمى، فالوالى يعلم بتنظيمهم وهو الذى اقترح عليهم الخروج لابن زiad فأصبح التنظيم ذا طابع شرعى وان كان كل اعتمادهم على مواردهم الخاصة حيث لم تسهم معهم السلطة بشئ مع أن ابن زiad كان عدواً مشتركاً لعبد الله بن يزيد الذى يعمل صالح ابن الزبير وللشيعة حيث كان له باع كبير فى قتل الحسين.

واعد سليمان بن صرد أصحابه للخروج فى أول ربيع الثانى سنة ٦٥ هـ على أن يعسكروا بالنخيلة، ولما اجتمع الجند بالمعسكر راجع ابن صرد كشوفه فأحصى عدة من بايعه فوجدهم ستة عشر ألفاً فى حين أن من تجمع بالمعسكر أربعة آلاف فقط، فلما وجد ابن صرد هذا التقاус أقام بالنخيلة ثلاثة أيام وأرسل أصحابه إلى من تخلف يذكرون بالبيعة وما عاهد عليه، فخرج إليه نحو ألف رجل، فتصحه المسيب بن نجبه أنه لن ينفعه قتال الكاره، فيخشى سليمان بن صرد أن يُفعل معه كما فعل مع الحسين (فقام في الناس متوكلاً على قوس له عربية فقال: أيها الناس، من كان إنما أخرجه إرادة وجه الله وثواب الآخرة، فذلك منا ونحن منه فحرمة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان يريد الدنيا وحرثها فهو والله ما نأتى فيئنا نستقيئه ولا غنية ننتمها، وما معنا من ذهب ولا فضة.. وما هي إلا سيوفنا في عوائقنا ورماحنا في أكفنا، فمن كان غير هذا ينوى

(١) فلا يصحبنا.. فتادي الناس من كل جانب إنا لا نطلب الدنيا، وليس لها خروجنا) كان هناك رأياً يرى أن قتلة الحسين كلهم بالковفة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، ورءوس الأربع وأشراف القبائل، وأنهم بتوجههم نحو الشام لم يلقوا من قتلة الحسين غير ابن زiad، ولكن سليمان بن صرد كان على رأيه الأول، فإعلان الثورة على أشراف الكوفة في الوقت الحالى غير مناسب، فشوكة الشيعة لم تقو بعد علاوة على أن الثورة على الأشراف الآن سوف تمثل خروجاً على السلطة الحاكمة بالkovفة متمثلة في ابن الزبير، أما قتال ابن زiad فإن السلطة الحاكمة على علم به لهذا أضفت المشروعية على التنظيم الشيعي وأيدته، أما محاربة الأشراف ورءوس الأربع فينزع غطاء المشروعية عن التنظيم الشيعي وسيغدو تنظيماً غير شرعى ومن ثم يجب القضاء عليه، وإمعاناً من ابن صرد في إقتحام الشيعة بقتال ابن زiad فقد دعم رأيه بحجج جديدة (إن الذي

قتل صاحبكم وعبا الجنود إليه، وقال: (لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضى فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا إلى عدوكم على اسم الله فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده - أى أشراف الكوفة - أهون شوكة منه..) (١)

كان عبد الله بن يزيد يرى أن ابن زياد عدو مشترك له وللشيعة بل إن الهدف الأساسي لخروج ابن زياد من الشام بهذه الجنود هو إعادة الكوفة لحكم الأمويين والإطاحة بنظام ابن الزبير، فطالب الشيعة بالانتظار للقيام بالتعبئة العامة وتنظيم الجنود حتى يلقوا عدوهم المشترك بالجمع الكبير ولتحميم كلمتهم على عدوهم، ولكن الشيعة كانوا يريدون تحقيق النصر بمفردهم لا بمساعدة ابن الزبير وأعوانه، فلو انتصروا بتأييد عبد الله بن يزيد لدعوا إلى الجهاد مع ابن الزبير وكانوا يرون أن الجهاد معه ضلالاً، فهم لا يريدون حكم بنى أمية كما لا يريدون حكم ابن الزبير، وإنما العدل أن يرد الحكم إلى أصحابه، أن يرد إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خرج سليمان بن صرد وأصحابه من النخلة عشيّة الجمعة لخمس مضمين من شهر ربیع الآخر سنة ٦٥هـ حتى انتهوا إلى قبر الحسين (فنادوا صيحة واحدة: يا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا ما مضى وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين، وإننا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (٢) وأقاموا عند القبر يوماً وليلة يصلون عليه ويبكون وازدحمو على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود. العاطفة إذن كانت هي المحرك الأول لهؤلاء القوم فالنندم لخذلانهم آل البيت وعدم نصرتهم في حين أنهم كانوا في أمس الحاجة إليهم زاد حب آل البيت رضوان الله عليهم في قلوب الشيعة حتى أحاطوهم بهالة من التقديس وعصموا أنتمهم من كل خطأ.

نزل سليمان وأصحابه بعين الوردة - بناء على نصيحة زفر بن الحارث الكلابي - ليجعلوا المدينة في ظهورهم، ول يكن الماء بين أيديهم.

١ - الطبرى - ج ٢ ص ١١٠٣
٢ - الطبرى - ج ٢ ص ١١٠٥

كان هناك طلائع لجيش ابن زياد يعسكرون على بعد ميل من عين الوردة بقيادة ابن ذي الكلاع، وكان أصحاب ابن صرد عرروا مكان معسكره من أعرابى من بنى تغلب، فساروا إليه وداهموه وهزموه شر هزيمة حتى أنهم تركوا لهم المعسكر بما فيه.

وفي يوم الأربعاء للثمان بقين من جمادى الأولى سنة ٦٥هـ يرسل عبد الله بن زياد الحصين بن نمير في اثنى عشر ألفاً، فلاج الظفر للشيعة في هذه الليلة إلا أن ابن زياد أمر الحصين بثمانية آلاف صحبهم ابن ذي الكلاع، وبالرغم من كثرة جنود زياد إلا أن الشيعة قاتلوا ببسالة حتى اليوم الثالث من المعركة، فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميمهم بالنبل، وحاصرهم القوم من كل جانب حتى قتل سليمان بن صرد وقتل معه رعوس الشيعة المسيب بن نجيبة، وعبد الله بن سعد بن نفيل، وعبد الله بن وال، فلم يبق من رعوس الشيعة إلا رفاعة بن شداد، فوضع لقومه خطة للانسحاب، وانسحب القوم مهزومين.

ظهور المختار بالكوفة :

بمقتل سليمان بن صرد تبدأ صفحة جديدة في تاريخ الشيعة السياسي، فكان الأحق بزعامة التنظيم الشيعي بعد وفاة سليمان هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي إذ إنه قد بذل من الجهد ما لا يمكن إنكاره في سبيل الوصول إلى هذه الزعامة حتى في حياة سليمان بن صرد نفسه.

ذكرنا أن مسلم بن عقيل لما أرسله الحسين عليه السلام إلى الكوفة ليتحسس أخبار الناس قد نزل بدار المختار بن عبيد إلى أن خرج منها إلى دار هانئ بن عروة؛ وعندما خرج مسلم بن عقيل عقب حيس هانئ بن عروة وضربه خرج المختار في بعض مواليه، ولكنه لم يكن في جمع مسلم بن عقيل ولا ضده، وعندما سُئل عن ذلك ذكر أن رأيه مازال مرجحاً، وتصل المقالة إلى عمرو بن حريث فأرسل إليه أحد أبناء عمومته وأعطاه الأمان، وعندما دخل على عبيد الله بن زياد قال له: (أنت المقبول في الجموع لتنصر ابن عقيل؟) فقال له: لم أفعل ولكنني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وأصبحت فقال له عمرو: صدق أصلحك الله، فرفع ابن زياد القضيب واعتراض به وجه المختار فخط

به عينه فشرها وألقى به في السجن) ^(١) كانت صفيحة أخت المختار بن أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب، فلما علمت بحبس أخيها بكت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب إلى يزيد بن معاوية أن يأمر ابن زياد ليخلع سبيل المختار وقد كان ولكن ابن زياد أعطى المختار مهلة ثلاثة أيام حتى يترك الكوفة فإن رآه بها قتله.

خرج المختار من الكوفة متوجهاً إلى الحجاز لينجو بحياته، وفي الطريق يلقى ابن عرق وهو مولى لبني ثقيف، وكان عائداً من الحجاز، فرأى ابن عرق أن عين المختار مشتورة فقال له بعد ما توجع له: (ما بال عينك؟) فقال: خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى، قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجمه وأعضاءه إرباً إرباً؛ فعجب ابن عرق لمقالته، وبصيغ المختار، ما أنا بدون أحد من العرب يا ابن عرق إن الفتنة قد أرعدت وأبرقت، وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقل: إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم الشهيد المفتول سيد المسلمين وابن سيدهم الحسين بن علي، فوربك لأقتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فقال ابن عرق: سبحان الله! وهذه أتعجب مع الأحداث الأولى، فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عنى حتى ترى مصادقه) ^(٢)

يعلم المختار أن ابن الزبير بالحجاز بباع سراً وأنه قد قويت شوكته، فيأتي المختار ابن الزبير وهو بالمسجد فقال له: (ما تنتظر؟ ابسط يدك أبايعك وأعطنا ما يرضينا وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك) ^(٣) لكن الزبير لم يجده ولم يتحدث معه في أي شيء ففاب عنه المختار مدة عام، حتى علم أنه قد أخطأ عندما تحدث إلى الزبير على ملايين الناس وأن هذا الكلام لا ينفي أن يكون إلا والستور دونه مرخاة والأبواب دونه مغلقة، وتحدد ميعاد اللقاء آخر مع ابن الزبير عن طريق عباس بن سهل، وفي منزل ابن الزبير كانت بيعة المختار ففي حين أن ابن الزبير كان يريد أن تكون البيعة على كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام كان المختار يرى أن البيعة على هذا النحو فقط لن تحقق أهدافه، فقال لابن الزبير: (أبايعك على ألا تقضى الأمور دوني وعلى أن تكون

٢،١ - الطبرى - ج ٣ من ١٠٩٨، ١٠٩٧

٢ - الطبرى - ج ٣ من ١٠٩٨

فى أول من تأذن له وإذا ظهرت - أى انتصرت وتم الأمر - استعنت بي على أفضل عملك)^(١) فبإيعه ابن الزبير على ذلك وإن كان فى نفسه كان يشتري بيعته حتى يرى فيه رأيه.

أظهر المختار ولاءً شديداً لابن الزبير وقاتل معه جنود بنى أمية من أهل الشام قتال الأسود حتى رجع أهل الشام إلى الشام، وفي هذه الأثناء اصطلح أهل الكوفة على عامر ابن مسعود بعدهما مات يزيد بن معاوية ولم يلبث عامر حتىبعث بيعته وبيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير، وأقام المختار مع الزبير - بعد موت يزيد بن معاوية - خمسة أشهر، فلما رأه لا يستعين به في أى أمر جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة إلا سأله عن حال الناس وهيئتهم، فعلم أن هناك طائفة من الناس لو كان لهم رجال يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض، فيقول المختار: (أنا أبو إسحاق! أنا والله لهم، أنا أجمعهم على مر الحق وأنفني بهم ركبان الباطل))^(٢) فيجد المختار ضالته، فلو استطاع أن يجمع أمر

الشيعة ويستميلهم إليه لكان له قيادتهم، بل وقد تكون له قيادة العراق.

لم يلبث سليمان أن خرج من الحجاز عقب معرفة ما آل إليه الأمر في الكوفة حتى وصلها في النصف من شهر رمضان سنة ١٤هـ، (وكان لا يمر بمجلس إسلام على أهله، وقال: أبشروا بالنصر والفلج، أتاكم ما تحبون))^(٣)

يسأل المختار عن حال الشيعة فيعلم أنهم قد اجتمعوا لسليمان بن صرد الخزاعي وأنهم على وشك الخروج للمطالبة بدم الحسين، ولما كان ابن صرد هو شيخ الشيعة فمن الصعب أن ينزع منه الزعامة، فكان لابد أن يزيد عليه في شيء، فادعى أن محمد بن علي - أخو الحسن والحسين غير الشقيق والمعروف بابن الحنفية - قد بعثه وزيراً وأميراً وأمره بقتال الملحدين، والطلب بدماء أهل بيته والدفاع عن الضعفاء، وكان المختار دائمًا يحاول أن يقلل من شأن سليمان بن صرد على أساس أنه ليس له خبرة بالحروب، وأنه سيقتل نفسه ويقتل معه الشيعة، فماتت إلى المختار طائفة من الشيعة ولكنهم ليسوا بالكثير، فكان سليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار، فظل المختار

١ - الطبرى - ج ٢ من ١٠٩

٢ - الطبرى - ج ٢ من ١١٠

٣ - الطبرى - ج ٢ من ١١١

لا يتحرك حتى يرى ما سيصل إليه ابن صرد فلعله يهزم أو يقتل فيجتمع له أمر الشيعة ويتحقق ما يسعى إليه، فلما خرج ابن صرد ليلقى عبيد الله بن زياد (قال عمر بن سعد ابن أبي وقاص وشبيث بن ربعي ويزيد بن الحارث بن رويم لعبد الله بن يزيد وعامل ابن الزبير على الكوفة - وإبراهيم بن محمد بن طلحة: إن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم - أى عبيد الله بن زياد - وبذلهم لكم، وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثبت عليكم في مصركم، فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد، وخلدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس) ^(١) فقد كان الأشراف يخشون أن يثبت عليهم المختار ومن معه ويطالبهم بدم الحسين، فرأوا في حبسه حماية لهم، وبالفعل أحاطوا بداره وقبض عليه وألقى في السجن.

كان كلام المختار أكثره مسجوعاً وكان بهذا يريد أن يضفي على كلامه هالة من القدسية، فكان يقول كلما زاره أحد وهو ملقى في السجن: (أما ورب البحار، والنخيل والأشجار، والمهامه والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطار، ومهند بتار في جموع من الأنصار، ليسوا بميل أغمار، ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأيت شعب صدع المسلمين، وشفيت غليل صدور المؤمنين، وأدركت بثار النبيين) ^(٢)

يحدث ما يحدث لسليمان بن صرد ومن معه في حربه لابن زياد، فعاد الشيعة مهزومين إلى الكوفة، فبعث المختار كتاباً إلى رءوس الشيعة وعلى رأسهم رفاعة بن شداد قال فيه: (أما بعد، فإن الله أعظم لكم الأجر، وحط عنكم الوزر بمحارقة القاسطين، وجهاد المحليين، إنكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة، ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، فأبشروا فإني لو قد خرجمت إليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغارب في عدوكم السيف بإذن الله فجعلتهم ركاماً وقتلتهم فذاً وتؤاماً فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى، ولا يبعد الله إلا من عصى وأبي والسلام يا أهل الهدى) ^(٣) فكتب إليه رءوس الشيعة (قدقرأنا الكتاب، ونحن حيث يسرك فإن شئت

١- الطبرى - ج ٢ من ١١٠١

٢- الطبرى - ج ٢ من ١١٠٢

٣- الطبرى - ج ٢ من ١١١٩

أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا، ويسر المختار باجتماع الشيعة له، وقال لهم إنه سيخرج
فى أيامه هذه)^(١)

وللمرة الثانية يشفع له زوج أخته عبد الله بن عمر بعدها بعث المختار إليه بكتاب مع
غلام له، فكتب ابن عمر إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، فدعوا
للمختار بكفلاً يضمنونه، فلما ضمنوه دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد
(فحلفاء بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة،
ولا يخرج عليهما ما كان لها سلطان فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها، ومماليكه
كلهم ذكرهم وأنثاهم أحراز، فحلف لهم بذلك، ثم خرج فجاء داره فنزلها))^(٢)

كان طموح المختار السياسي أكبر بكثير من القسم الذي أقسمه - من وجهة نظره - بل
وأخذ يلجم إلى الحيل الشرعية ليحل لنفسه النكوص عن يمينه فيدخل في حوار مع
النفس ليصل في النهاية لنتيجة ترضى نفسه الطموحة دون أن تحمله أى ذنب، فتراء
يقول (قاتلهم الله، ما أحمقهم حين يرون أنى أفى لهم بأيمانهم فرأيت ما هو خير منها
أن أدع ما حلفت عليه، وأتى الذي هو خير وأكثر يميني، وخروجي عليهم خير من كفى
عنهم، وأما هدى ألف بدنة فهو أهون على من بصقة، وما ثمن ألف بدنة فيه ولنى وأما
عشق مماليكي فوالله لو ددت أنه استتب لى أمرى، ثم لم أملك مملوكاً أبداً))^(٣)

كان يبایع للمختار وهو بالسجن خمسة نفر، رقاعة بن شداد الفتىاني، والسائل بن
مالك الأشعري، ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط، وعبد الله بن شداد الجشمي، فكثر
 أصحاب المختار وقويت شوكته وساعد على هذا ادعاوه أنه أرسل من قبل محمد بن
الحنفية، فيضطر ابن الزبير أن يعزل عبد الله بن يزيد من ولاية الكوفة ويعين بدلاً
منه عبد الله بن مطیع الذي قدم الكوفة يوم الخميس ٢٥ رمضان سنة ٦٥هـ، وقد
جعل رئيس شرطته إياس بن مضارب العجل، ويصعد ابن مطیع المنبر ليلقى البيان
الرئاسي وخطة عمله (أما بعد، فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على
مصركم وتغوركم وأمرني بجباية فيئكم وألا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضاء منكم

١ - الطبرى - ج ٢ من ١١١٩

٢ - الطبرى - ج ٢ من ١١١٩

٣ - الطبرى - ج ٢ من ١١١٩

ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين..) ^(١)

كان لا ينبغي لعبد الله بن مطیع أن يذكر أنه سينهج نهج عثمان وعمر في مجتمع بلغ فيه التشیع لآل على ~~حکیمہ~~ مداء مثل مجتمع الكوفة، فما أن فرغ من بيانه حتى قام إليه السائب بن مالك الأشعري - أحد رءوس أصحاب المختار - فقال: (أما أمر ابن الزبير إياك ألا تحمل فضل فيئنا عننا إلا برضانا فإننا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عننا، وألا يقسم إلا فيينا، وألا يسار فينا إلا بسيرة على بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا فإنها إنما كانت أثرة وهوى ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا، وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرراً) ^(٢)

ولما وجد عبد الله بن مطیع أن الناس تؤيد كلام سائب بن مالك قال لهم: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل يخبر إياس بن مضارب - رئيس الشرطة - عبد الله بن مطیع أن السائب بن مالك من رءوس أصحاب المختار، وأن المختار قد جمع أمره لينقض على الكوفة، ونصحه أن يبعث إليه فإن أتني فعليه أن يحبسه حتى يستقيم أمر الناس، ويرسل إليه بالفعل ولكن المختار يتعلل أنه مريض، ويعلم من أرسله إليه أنه يتداعى المرض لكنهما خافا بطشه إذا نجح في انقلابه واستقام له الأمر فأخبرا ابن مطیع بمرض المختار فقسى أمره.

كانت البوادر تشير إلى قرب ميعاد الانقلاب الذي سيقوم به المختار تحت ستار الثأر لدم الحسين والاحتماء بعبادة محمد بن الحنفية، ولكن بعض أصحاب المختار - وعلى رأسهم عبد الرحمن بن شريح وكان عظيم الشرف - أرادوا أن يتأكدوا إذا ما كان المختار قد أرسل فعلاً من قبل محمد بن الحنفية أم أن هذه مجرد أكذوبة تسهل له زعامة الشيعة ليتحقق عن طريقهم أهدافه وطموحاته في سلب جزء من السلطة في دولة الإسلام، فكونوا وفداً رفيع المستوى وخرجوا للقاء محمد بن الحنفية بمكة، وبالفعل تم اللقاء وأخبره عبد الرحمن بن شريح بأمر المختار وأنه يزعم أنه قد جاء

١- الطبرى - ج ٢ ص ١١٢٠

٢- الطبرى - ج ٣ ص ١١٢١

بناء على أمركم للطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبایعناء، وكان رد ابن الحنفية (أما بعد، فأما ما ذكرتم مما خصنا الله به من فضل فإن الله يؤتى من يشاء .. وأما ما ذكرتم في مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة أهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين بدمائنا فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه أقول هذا واستغفر الله لى ولكم) ^(١) في الحقيقة لم يكن رد ابن الحنفية فيه شفاء للصدر فهو لم يوضح لهم إن كان قد أرسل المختار أم لا وهل المختار يعمل بناء على توجيهاته أم وفقاً لرأيه الخاص؟ فكل ما قاله أنه يود أن ينتصر من عدوه بمن شاء من خلق الله، وهذا يعني مع إمعان النظر أن هذا الخلق قد يكون المختار أو غيره وبالتالي فإنه لم يرسل المختار وإن كان كل ما يهمه ويدخل السرور إلى قلبه أن هناك من يدافع عن أهل البيت ويطالب بدمائهم، إلا أن عبد الرحمن بن شريح ومن معه لما رأوا أن محمداً بن الحنفية لم ينكر أنه قد أرسل المختار ولم يعلن غضبه فإن ذلك يعني أن كل ما يحدث إنما يحدث بعلمه وأن المختار صادق فيما يقول وأنه على حق.

وعلى الجانب الآخر، فقد علم المختار بخروج هؤلاء للقاء محمد بن الحنفية وقد خشي المختار أن يفتضح أمره ويسقط عنه الرداء الذي يحتمي به فتنهار عليه أحلامه ويموت تحت أنفاسها، فأراد أن يقوم بالانقلاب قبل أن يصل عبد الرحمن بن شريح ومن معه إلا أن الظروف لم تكن مواتية (فلم يكن إلا شهر حتى أقبل القوم على رواحلهم حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رجالهم فقال لهم: ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم؟ قالوا: أمرنا بنصرتك، فقال: الله أكبر! أنا أبو إسحاق أجمعوا إلى الشيعة، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال: يا عشر الشيعة، إن نفراً منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فتبأهم أني وزير وظهيره رسوله وخليله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتم إلينه من قتال المحدين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين) ^(٢)

١ - الطبرى - ج ٢ من ١١٢٢

٢ - الطبرى - ج ٢ من ١١٢٢

فتجد أن المختار قد استغل الفرصة أحسن استغلال وقال على لسان القوم ما لم يتقوهوا به ليدخل كل من يخالج الشك قلبه إلى طاعته، والمختار بهذا المكر قد قطع دابر كل شك فاستقامت له الأمور ولم يبق إلا تحديد ساعة الصفر.

ينصح رؤوس الشيعة المختار بن عبيد بضم إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي إلى صفوفه، فأبوه قد أبلى مع على بلاءً حسناً في مختلف الميادين، والفتى لا يقل عن أبوه شرفاً وصيتاً ولا ينكر قوة عشيرته، فاستجاب لهم المختار وطلب منهم أن يدعوه ويعلموه بالأمر وبالفعل يذهب وفد من وجوه أصحاب المختار إلى إبراهيم بن الأشتر وبعد ما يذكرون به بمجده أبيه وما فعله في سبيل نصرة أهل بيته رسول الله ﷺ يطلبون منه الخروج للطلب بدماء أهل البيت، فيوافق ابن الأشتر ولكن على شرط أن يكون هو زعيم القوم لا أحد غيره، فيخبرونه أن المختار قد جاء من قبل محمد بن الحنفية وأن الاختيار ليس لهم قلم يعطهم ابن الأشتر جواباً على سؤالهم.

يريد المختار أن يسرع بالخروج فقد استتب له الأمر ولم يبق إلا ضم إبراهيم بن الأشتر، فدعا المختار وجوه أصحابه وذهب بهم إلى دار ابن الأشتر ودفع إليه بكتاب زعم له أنه من محمد الحنفية يدعوه فيه لنصرتهم، ويفضي ابن الأشتر خاتم الكتاب فيتسرب الشك إلى نفسه فقد وجد الكتاب مكتوباً من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر فقال للمختار: (لقد كتب إلى ابن الحنفية، وقد كتبت إليه قبل اليوم فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه - محمد بن على - فقال له المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان فيشهد وجوه أصحاب المختار أن هذا الكتاب من ابن الحنفية فباعه إبراهيم ابن الأشتر وإن كان الشك مازال يختلج صدره.

اكتملت للمختار كل عوامل نجاح الانقلاب الذي ينوي القيام به، فقد باعه اثنا عشر مقاتلاً وانضم إليه إبراهيم بن الأشتر، وهو يضمن إخلاص الرجال لأنه تستر بعباءة محمد بن الحنفية فكان زعيمًا روحياً لكل من بايع المختار، فكل كلمة ينطق بها المختار فكأنما نطق بها ابن الحنفية، ولما كان كل ذلك قد تهيأ للمختار فقد حدد ساعة الصفر ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ست وستين، وأعلم جميع أصحابه بميعاد الخروج.

يعلم إياس بن مضارب - رئيس الشرطة - بقرب خروج المختار فيحذر عبد الله بن مطیع والى الكوفة، وأشار عليه بأن يحكم الرقابة على الميادين الرئيسية بالكوفة حتى يمنعوا أى تجمع لأصحاب المختار حتى يعلموا أن الأمن مستتب وأن أمرهم مكشوف فيخشون الخروج. وكان من الممكن أن يكون هذا الانتشار لقوات الكوفة سبباً لتعطيل خروج المختار إلا أنه جاء بأثر عكسى فكان سبباً لتعجيل الخروج لا ل تعطيله، فقد كان إبراهيم بن الأشتر يسير فى كتبة تضم مائة رجل وهم متقلدو السيف وكان ابن الأشتر به شجاعة لا تنكر، فمر متعمداً على دار عمرو بن حرث العامل السابق على الكوفة والذى كان معيناً من قبل عبيد الله بن زياد، ثم أخذ طريقه ليمر على قصر الرئاسة بالكوفة وكان يهدف بهذا إدخال الرعب فى قلوب أعدائه، فلقىه إياس بن مضارب، وقال له إن أمرك لمريب وأراد أن يقبض عليه إلا أن ابن الأشتر طعنه بالرمح فقتله ثم احتز رأسه فتفرق أصحاب ابن مضارب عنه ورجعوا إلى ابن مطیع وأخبروه بما حدث فعن راشد بن إياس مكان أبيه على الشرطة.

يذهب إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء - قبل ميعاد الخروج بيوم - ويخبره أنه لابد من الخروج الليلة وقص عليه كل ما حدث وأن رأس إياس بن مضارب مع أصحابه بالخارج فاستبشر المختار لأن الوضع وصل لدرجة لا يمكن معها التراجع عن القيام بالانقلاب، فأمر المختار بعض أصحابه لينادوا فى أرجاء الكوفة بكلمة السر (يا منصور أمت) و (يا لثارات الحسين).

لعب إبراهيم بن الأشتر دوراً كبيراً فى القيام بالتعبئة فكان ينادي بكلمة السر حتى بلغ قومه فأتى إليه من قد بايعه، فما انفجر الفجر حتى فرغ المختار من أمر التعبئة إلا أنه قد صار عنده ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثنى عشر ألفاً كانوا بايعوه، وبعث ابن مطیع ثلاثة آلاف وجعل عليهم شبث بن رباعي وبعث راشد بن إياس بن مضارب فى أربعة آلاف من الشرطة.

علم المختار بعدة جنود عبد الله بن مطیع فبعث إبراهيم بن الأشتر إلى راشد بن إياس فى ستمائة فارس وستمائة راجل، وبعث نعيم بن هبيرة فى ثلاثمائة فارس وستمائة راجل إلى شبث بن رباعي، فهزم شبث رجال المختار وأسر منهم الكثير، وقتل نعيم بن هبيرة،

وأتى بالأسرى فكان يطلق سراح العربي ويقتل الموالى^(١) حتى أن أحد الموالى ادعى أنه عربي حتى يفلت من القتل، وقد كان المختار يستعين بعدد كبير من الموالى وهو في سبيله للقيام بهذا الانقلاب وكان يقربهم إليه ويضع فيهم ثقته وكانوا دائمًا طائعين له، فقد سُنحت لهم الفرصة أن يشاركون في الحياة السياسية وأن يؤثروا تأثيراً لا ينكر في سير الأمور بعدهما كان هذا موقوفاً على العرب وحدهم، فقد كانوا يعاملون على أنهم مواطنين من الدرجة الثانية وعليهم دائمًا أن يقدموا فروض الولاء والطاعة لمحريهم. أثر قتل نعيم بن هبيرة عظيم الأثر في نفس المختار، وانعدم حماس أصحابه فأول خطوات الانقلاب باهت بالفشل، أما شبث فقد دفعته نشوة النصر إلى حصار المختار وأصحابه فأحاطوا بهم من كل جانب وكان يزيد بن أنس - أحد رؤوس أصحاب المختار - يحاول جاهداً بث الحماس مرة أخرى في النفوس وعلى الجانب الآخر نجد إبراهيم ابن الأشتر ما زال ينال أصحاب راشد بن إياس حتى قتل راشد قتله رجل عبسى فانهزم أصحاب راشد لما قتل قائدتهم، وأخذ إبراهيم بن الأشتر يشق طريقه وبسرعة يلحق بالمختار وبعث إليه البشير يبشره بالنصر وقتل راشد إياس، فارتقت الروح المعنوية لأصحاب المختار، وإبراهيم بن الأشتر ما زال يشق طريقه في الكوفة للوصول إلى المختار، وفي الطريق كان يحاول جنود ابن مطیع من ابن الأشتر من الوصول إلى المختار إلا أنه استطاع في النهاية أن يصل إلى المختار في الوقت المناسب، فحمل على شبث وحمل معه المختار فهزمه شبث وفر بمن معه.

(مضى المختار من السبخة ثم ارتفع إلى بيوت مزينة، وأحمس، وبارق وكانت بيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة فاستقبلوه بملاء فسقى أصحابه وأبى المختار أن يشرب، فظن أصحابه أنه صائم، وقال أحمد بن خديج من همدان لابن كامل: أترى الأمير صائماً؟ فقال له: نعم هو صائم، فقال له: فلو كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له، فقال له: إنه معصوم وهو أعلم بما يصنع، فقال له: صدقت أستغفر الله)^(٢) فنجد

١ - سموا الموالى إما لأنهم أسلموا على يد العرب وكل من أسلم على يد رجل فهو مولاهم، أو لأن منهم من ضرب عليه الرق من الأسرى الذين أسلم معظمهم وحسن إسلامهم فأعتنقوه أو بلياتهم وصاروا بذلك موالى لهم، أو لأن من أسر من الصغار عن المسلمين العرب بتربتهم وتعليلهم فصاروا بعدما كبروا موالى لهم. وأكثر موالى الكوفة من النوع الثاني والثالث وكانوا من فارس.

أن الاعتقاد بالعصمة من الخطأ بدأ ينتقل من أولاد على إلى من ينوب عنهم، فها هو المختار أصبح معصوماً بعدما تحقق له النصر.

زحف المختار بمن معه حتى وصل إلى قصر رئاسة الكوفة وكان بالقصر ابن مطیع ومعه الأشراف، وحاصر القصر ثلاثة أيام وتولى الحصار إبراهيم بن الأشتر، فيضطر ابن مطیع أن يتسلل من القصر ليبلغ ابن الزبیر بما حدث عسى أن يدبر له أمراً، أما الأشراف فقد طلبوا الأمان من إبراهيم بن الأشتر فأعطاهم الأمان فخرجوا وباعوا المختار، ودخل المختار القصر وأخذ الناس بيعاونه، وكان بيعاونهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والطلب بدماء أهل البيت وجهاد الملحين. ويعلم المختار بمكان عبد الله ابن مطیع ولكنه لم يشا أن يؤذيه فقد كان للمختار صديق فبعث إليه بمائة ألف درهم تعيينه على الخروج من الكوفة، وكان في بيته مال الكوفة تسعة ملايين درهم وزعها على أصحابه، فالذين بدأوا معه قبل الحصار وعدتهم ثلاثة آلاف وثمانمائة أعطى كل منهم خمسمائة درهم أما من حضر أثناء الحصار وعدتهم ستة آلاف أعطى كل منهم مائتى درهم.

ذكرنا أن المختار قد استعان بعدد كبير من الموالي وقربهم إليه، ونجده بعد أن تحقق له النصر وتم له ما أراد قد عين أحدهم وهو كيسان أبي عمرة مولى عرينة كرئيس لحرسه الخاص، إلا أنها نجد المختار في نفس الوقت قد أدى منه الأشراف فأصبغوا هم الجلساء والنديماء (فقال لكيسان أبي عمرة بعض أصحابه من الموالي: أما ترى أبي أسحاق - أى المختار - قد أقبل على العرب ولم يصبح ينظر إلينا: فدعاه المختار فقال له: ما يقول لك أولئك الذين رأيتمهم يكلمونك؟ فقال له وأسر إليه: شق عليهم أصلاحك الله صرفك وجهك عنهم إلى العرب، فقال له: قل لهم لا يشقن ذلك عليكم فأنتم مني وأنا منكم ثم سكت طويلاً ثم قرأ: **﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنَلَّقُوْنَ﴾**^(١) فلما سمعها الموالي منه قال بعضهم لبعض: أبشروا لأنكم والله به قد قتلتهم^(٢) فهل كان المختار صادقاً فيما قاله للمواли، وإن كان صادقاً فلم لم يأمر بقتل الأشراف

١ - سورة السجدة - آية ٢٢
٢ - الطبرى - ج ٢ من ١١٢٩

وهو يعلم أن لهم بدأ في قتل الحسين؟ أم أنه مازال يوازن مع من ستكون المصلحة مع الأشراف من العرب أم مع الموالي؟

كتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل كتاباً أخبره فيه أن عبيد الله بن زياد أقبل عليه بجيشه وأنه قد انحاز إلى تكريت حتى يأتيه أمر المختار، فيرسل له المختار يزيد بن أنس في جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، ويعلم عبيد الله بن زياد بقدوم جيش المختار وعدهته ببعث إليهم ستة آلاف فارس. وبدأ القتال في ذي الحجة يوم عرفة سنة ست وستين وكان يزيد بن أنس قد اشتد عليه المرض، فكان يوجه جنوده وهو راكب على حمار والرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماليه ومع ذلك كتب لهم النصر وانهزم جيش عبيد الله بن زياد شر هزيمة، وأسر من جيشه ثلاثة مائة فارس أمر يزيد ابن أنس بضرب أعناقهم، وفي الطريق يموت يزيد بن أنس فيكسر موته قلوب أصحابه ويتولى القيادة ورقاء بن عازب الأسدى وتأتى الأخبار بأن عبيد الله بن زياد خرج إليهم في جيش عظيم من أهل الشام يضم ثمانين ألف فارس، فأخذ الرجال يتسللون ويرجعون، فرأى ورقاء أن يعود حتى لا يلقى ابن زياد بهذا الجمع اليسير فيهزهم بعد أن كان النصر له، ويعلم المختار بالخير (فدعوا إبراهيم بن الأشتر فعقد على سبعة آلاف رجل ثم قال له: سر حتى إذا أنت لقيت جيش ابن أنس فاردد لهم معك ثم سر حتى تلقى عدوك فتاجزهم) ^(١)

تصل الأخبار إلى الكوفة بعكس ما حدث تماماً فالناس علموا أن يزيد بن أنس قد قتل - ولم يتم - وأن جيش المختار قد نال الهزيمة على يد ابن زياد، فأخذ أشراف الكوفة يجتمعون وكان رأيهم أن المختار تأمر عليهم بغير رضاهم وأنه أدنى الموالي وحملهم على الدواب - ولم يكن هذا لهم من قبل - وأعطاهم من الفيء وهو أعظم ما أغضبهم من المختار، فالمواли مواطنون أجانب من الدرجة الثانية فلا يجب أن يكون لهم أي نصيب من الدخل القومي للبلاد. قرر الأشراف أن يبعثوا شيخهم شبث بن ربعى إلى المختار فيبلغه شكوكهم، ولقيه شبث وكان كلما ذكر شكوى يرضيه المختار فذكر المواли، فقال: عمدت إلى موالينا وهم في أفاء الله علينا فأعتقدنا رقابهم نأمل الأجر في

ذلك والثواب والشكر، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيءنا، فقال لهم المختار: إن أنا تركت لكم مواليكم وجعلت فيئكم فيكم أتقاتلون معينا بن أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن إليه من الإيمان؟^(١) قال شبيث: ما أدرى حتى أخرج إلى أصحابي فإذا كرهم، فخرج فلم يرجع إلى المختار) (١)
المختار إذن كان على استعداد أن يستغنى عن الموالى إذا ما استقام له أمر الأشراف ففي هذه الحالة لن يكون في حاجة إليهم، وعلى ذلك فكلام المختار الذي قاله لكيسان أبي عمرة رئيس حرسه لم يكن الهدف منه سوى المفاضلة بين أصحابه من الموالى وبين الأشراف العرب فمن سيتحقق له المصلحة فسيبقى عليه ويقضى على الآخر.

يجتمع رأى أشراف أهل الكوفة على قتال المختار إلا أن أحدهم قدم لهم النصح قائلاً: (إنكم إن أبيتم إلا أن تخرجو لم أخذلكم، وإذا أنتم أطعتموني لم تخرجو، فقالوا لم؟^(٢) قال: مع الرجل شجاعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم.. ثم معه عبيدكم وممواليكم وكلمة هؤلاء واحدة وعبيدكم وممواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم، وإن انتظرتموه قليلاً كفيتهمه بقدوم أهل الشام أو بمجيء أهل البصرة فتكونوا قد كفيتهم بغيركم ولم تجعلوا بأسمكم بينكم) (٢)

يرفض الأشراف رأى أصحابهم واجتمعوا على أن يخرجوا ليقاتلوا المختار ولكنهم انتظروا حتى يخرج إبراهيم بن الأشتر الذي كان في طريقه لمقابلة عبيد الله بن زياد. يعلم المختار بخروج أشراف الكوفة فبعث رسولاً إلى إبراهيم بن الأشتر لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلى، ثم بيعث إلى الأشراف (أخبروني ما تريدون؟^(٣) فإنى صانع كل ما أحببتم، فقالوا: فإننا نريد أن تعزلنا فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفداً، وأبعث إليه من قبلى وفداً، ثم انظروا في ذلك حتى تتبيّنه، وهو يريد تعطيلهم بهذه المقالة حتى يصل إليه إبراهيم بن الأشتر، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم أفواه السكك فليس شيء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلا القليل) (٣) يستطيع رسول المختار أن يصل إلى إبراهيم بن الأشتر في يوم واحد وفي اليوم التالي كان ابن الأشتر قد وصل إلى المختار،

وأخذ المختار يقسم أصحابه فسار إبراهيم بن الأشتر إلى مضر بالكتامة وسار المختار إلى أهل اليمن بجبانة السبيع وذلك لأن المختار كره أن يسير ابن الأشتر إلى أهل اليمن وهو منهم فلا يبالغ في قتالهم، وفي ظل هذه الظروف الحرجة التي كان يمر بها المختار نجد أن بعض أصحابه قد تخلوا عنه وانقلبوا عليه وعلى رأسهم رفاعة بن شداد وهو أحد رؤوس أصحاب سليمان بن صرد، وكان يقاتل مع أهل اليمن إلا أنه سمع أصحاب المختار ينادون يا لثارات الحسين وصاح أهل اليمن يا لثارات عثمان (فقال لهم رفاعة بن شداد: ما لنا ولعثمان: لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له أناس من قومه: جئت بنا وأطعنك حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوه، فقاتل حتى قتل) ^(١) وكانت الهزيمة من نصيب مضر على يد إبراهيم بن الأشتر، وكان القتال شديداً بجبانة السبيع مع أهل اليمن حتى هزموا وكان ذلك يوم الأربعاء ٢٤ ذي الحجة سنة ست وستين. ولم يكن أمام من بقي من الأشراف إلا الفرار إلى البصرة ليحتموا بمصعب بن الزبير عامل أخيه عبد الله بن الزبير على البصرة.

أسر رجال المختار خمسمائة أسير وكان عبد الله بن شريك - أحد أصحاب المختار - لا يخلو بعربي إلا خلى سبيله، فشكى الموالي للمختار، فهم يريدون أن يتساووا مع العرب، بل نكاد نلمس أن انضمائهم للمختار إنما كان من أجل هذه المساواة، فأمرهم المختار أن يعرض عليه الأسرى وأن يعلمهونه من شهد قتل الحسين فيقتله، وقد كان إلا أن الموالي وجدوا الفرصة للانتقام من كل من آذاهم، فكانوا كلما رأوا رجلاً كان قد أذاهم أو ضررهم خلوا به فقتلوه، ولما علم المختار بذلك أطلق سراح باقى الأسرى بعد أن أخذ منهم الموثيق بعدم الخروج عليه، إلا سراقة بن مردارس البارقي - وكان شاعراً - ثم نادى المنادي أنه من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً اشتراك في دم آل محمد عليه السلام.

يأمر المختار بحبس سراقة بن مردارس وفي اليوم التالي أرسل إليه مدحه سراقة بشعره حتى يغفو عنه وكان من ضمن ما قاله:

نصرت على عدوك كل يوم بكل كتبة تنعي حسيناً
نصر محمد في يوم بدر ويوم الشعب إذ لاقى حنيناً

ولم يكتف سراقة بهذا النفاق حتى ينجو ولكنه أضاف أكذوبة كبرى فقال للمختار: (أصلحك الله أيها الأمير) سراقة بن مرساس يحلف لك بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض، فقال له المختار: فاصعد المنبر فأعلم ذلك لل المسلمين، فصعد فأخبرهم بذلك، ثم نزل فخلأ به المختار، فقال: إنني قد علمت أنك لم تر الملائكة، وأنما أردت ما قد عرفت لا أقتلك فاذهب عن حيث أحببت،
لا تفسد على أصحابي) ^(١)

وفي الحقيقة فإن المختار لم يكتف بادعاء أن محمد بن الحنفية قد أرسله خاصة بعدما كذبه الأشراف وانشق عليه بعض أصحابه، فكان لابد له أن يلجأ إلى وسيلة أقوى أو كذبة أكبر تجعل الجميع يلتف حوله ويعينه، فلم يجد وسيلة أقوى من أن ينتهز قول سراقة الكاذب حتى يعلن تأييد السماء له، فإنه وإن كان لم يُرسل من قبل ابن الحنفية فإن الملائكة حاربت معه وبذلك فهو على حق حتى إذا أُعلن ابن الحنفية أنه لم يبعث المختار للمطالبة بدم أهل البيت

لم يزال أصحاب المختار يقتلون كل من شهد قتل الحسين، فقتل شمر بن ذي الجوشن، وخولي بن يزيد الأصبعي صاحب رأس الحسين وقد أرشدت زوجته على مكانه فقد نصب له العداوة حين جاء برأس الحسين، أما صاحب برس الحسين فقد قطعت يدها ورجلاه وترك ينزف حتى مات، وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنته حفص بن عمر، وغيرهم خلق كثير، وكل من استطاع الهرب كان يلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة. كان طموح المختار بلا حدود، فكان يمكر بعبد الله بن الزبير حتى يسلب منه الحجاز، فكان يخادعه ويظهر له كل ود وكان يبرره له الانقلاب الذي قام به بالكوفة والدعوة للطلب بدم الحسين إنما مرجعه أن ابن الزبير لم يف بعهده معه، فبعدما حارب معه المختار ونصره على أعدائه من بنى أمية لم يستعن به الزبير في أى ولاية ولم يسند إليه أى أمر، وبرغم كل ذلك كان المختار يظهر للزبير أنه على استعداد للتعاون معه مرة أخرى لينصره على بنى أمية وجيوش الشام، وكان كل هذا يتم دون أن يطلع الشيعة على شيء، ولكن لم يكن ابن الزبير بالرجل السهل حتى يقع في هذه المكيدة، فيرسل عبد

الرحمن بن الحارث المخزومي ليتولى أمر الكوفة - رغم أن المختار استولى عليها بالفعل - حتى يرى مدى صدق المختار فيما يدعيه، فجهز ابن الزبير عبد الله بن الحارث بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألف درهم، وعلم المختار بذلك فيرسل كتبة تضم خمسمائة فارس لتلقاه في الطريق وأعطى له سبعين ألف درهم وأمره بالعودة من حيث أتي فأخذ المال ورجع نحو البصرة.

كان المختار يخشى أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب ومصعب بن الزبير من قبل البصرة، فكان عليه أن يوادع ابن الزبير خاصة وأن عبد الملك بن مروان بعث إليه عبد الملك بن الحارث بن الحكم إلى وادي القرى ليسلب منه الحجاز، فكتب المختار لابن الزبير أنه سيرسل له جيشاً ليعينه على جيش بن مروان، فيطلب منه ابن الزبير سرعة إرساله، وبالفعل أرسل إليه المختار شرحبيل بن ورس من همدان على رأس جيش يضم ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى وليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل، ولكن هذا الجيش لم يكن لنجدته ابن الزبير، فقد أمرهم المختار أن يسيروا حتى يصلوا إلى المدينة وأن ينتظروا أوامرها حتى يحاصر ابن الزبير وقاتلته بمكة، إلا أن ابن الزبير مكر له وعرف ما يسعى إليه وخدع جيشه بعدما أرسل إلى شرحبيل عباس بن سهل في ألفي مقاتل ونفذ عباس بن سهل الخطة بنجاح وعرف أن شرحبيل إنما جاء غازياً لا معاوناً فقتل شرحبيل وقتل معه خلق كثير. يصل الخبر إلى المختار فكتب إلى ابن الحنفية يعلمه أنه إنما أرسل هؤلاء الجندي ليحوزوا له البلاد، ويطلب من ابن الحنفية أن يبيث الدعوة في المدينة حتى يكثر أعوانه ثم يرسل له المختار جيشاً كثيفاً ليسقرا له أمر الحجاز، ولكن ابن الحنفية لم تكن له هذه الطموحات في السلطة مع أنه يعلم أن محاولة المختار قد تنجح ومع ذلك كتب له ابن الحنفية (.. أطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت، واعلم أنني لو أردت لوجدت الناس إلى سرعاً والأعونان لى كثيراً، ولكنني أعزّ لهم وأصبر حتى يحكم الله لى وهو أحكم الحاكمين) ^(١) ولم يكتف ابن الحنفية بهذا الكتاب ولكنه كلف رسول المختار ليبلغه أن يتق الله ويكفف من الدماء، ولكن المختار أظهر للناس أن ابن الحنفية أمره بأمر يجمع البر ويطرح الكفر والغدر.

تأتي للمختار فرصة ذهبية تظهره بمظاهر الصدق في كل ما قال وادعى، فقد حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة بزمزم، وذلك لأنهم رفضوا البيعة له لأن الأمة لم تجتمع عليه، وتوعدهم بالقتل والإحراق، وضرب لهم في ذلك أجلاً، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية أن يبعث إلى المختار ويستعين به، وبالفعل كتب إلى المختار وأهل الكوفة وسألهم ألا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته، وفي الحقيقة لم يكن في صالح المختار أن يصاب ابن الحنفية بأذى، فلو سقط ابن الحنفية لسقط معه المختار لأنه بالنسبة لعامة الشيعة هو الإمام لا المختار.

بمجرد أن قرأ المختار كتاب ابن الحنفية نادى في الناس وقال: (هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيتك، وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الفتن، ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار، ولست أنا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهليه الويل) (١)

وبالفعل أرسل المختار قوات من الموالى على عدة مراحل وكان يطلق عليهم اسم الخشيبة نظراً لاستعمالهم الهروات الخشبية الثقيلة في القتال وليس السيف، ويصل أول فوج من القوات وعدده مائة وخمسين ودخلوا المسجد الحرام وهو ينادون يا لثارات الحسين، وكان ابن الزبير قد أعد الحطب حيث لم يبق في الأجل سوى يومين، وقامت الخشيبة بطرد الحرس ودخلوا على ابن الحنفية وطلبو منه أن يقاتلوا ابن الزبير ومن معه ولكن ابن الحنفية منهم لأنه لا يستحق القتال في الحرم، وفي نفس الوقت أراد ابن الزبير أن يمنعهم من الخروج حتى يبايعوا، فقد استقل عددهم وظن أنه قادر على قتالهم، لكنه فوجئ بتواتر القوات حتى وصلوا إلى خمسمائة دخلوا المسجد فكثروا: يا لثارات الحسين فخافهم ابن الزبير، فخرج ابن الحنفية ومن معه إلى شعب على وكانوا يستأذنون ابن الحنفية - فالطاعة له وهو الإمام - في قتال ابن الزبير وكان يرفض بالرغم أنه اجتمع معه في شعب على أربعة آلاف رجل، وكان يوسعه أن يقتل ابن الزبير

بل وينتصر عليه بهذه القلوب والسيوف التي تهوى إليه، لكنه رجل يكره الفتنة وسفك الدماء ويزهد في الملك وهو كما قال ينتظر حكم الله.

في أواخر ذى الحجة سنة ست وستين بعث المختار إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله ابن زياد، وقد جهز له المختار جيشاً يضم خيرة أصحابه ممن له الخبرة العسكرية، فهذه معركة حياة أو موت بالنسبة للمختار، وخرج المختار مع إبراهيم يشيعه، وفي الطريق كان أصحاب المختار يحملون الكرسي - يزعمون أنه كرسى على كرم الله وجهه - الذي سينتصر به المختار وأصحابه، وكان الزحام شديداً حول الكرسي وكثيرة أدعيه النصر والجميع يردد وراءها آمين! وجاء في بعض الروايات أن المختار كان يتبرأ من أمر هذا الكرسي وكان يقول: (اللهم لا تؤاخذنا بما فعل أسفهاء سنة بنى إسرائيل، والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عجلهم) ^(١) وفي الحقيقة أنه كان في وسع المختار وقد تبرأ من هذا الأمر أن يمنع أصحابه من الاستئصال بكرسي بطريقة تشبه عبادة الأصنام في الجاهلية، ولكنه لم يشاً أن يغضب المولى وللتقوى جيش إبراهيم بن الأشتر بجيش ابن زياد بخارز على بعد خمسة فراسخ من الموصل وذلك في بداية سنة ٦٧ هـ ودار بين الجيشين قتالاً تشيب له الرءوس، وقد أبلى إبراهيم بن الأشتر - هذا الفارس الأسطورة - بلاءً حسناً، فكان لا يضرب رجلاً إلا صرעה حتى استطاع أن يقتل عبيد الله بن زياد شر قتلة وفي الرواية أنه قده نصفين فذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب ^(٢) وفر جنود الشام وتبعهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر فكان من غرق أكثر ممن قتل.

كان المختار بساباط قبل أن يعلم بهزيمة جيش عبيد الله بن زياد، وكان تخمينه أن إبراهيم بن الأشتر حصر جيش بن زياد بن صبيين أو قريباً من نصبيين، وقد أخبر أصحابه بتخمينه هذا، وذات يوم وهو واقف على المنبر جاءته البشرى بأن جيش ابن زياد قد هزم بخارز، فقال المختار: (يا شرطة الله ألم أبشركم بهذا قبل أن يكون؟ قالوا: بلى والله) ^(٣)

١ - الطبرى - ج ٢ ص ١١٤٩

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ١١٥٢

٣ - الطبرى - ج ٢ ص ١١٥٢

فقال رجل من همدان يدعى سلمان بن حمير للشعبي: (أتؤمن الآن يا شعبي؟ قال: بأى شيء أؤمن؟ أؤمن بأن المختار يعلم الغيب لا أؤمن بذلك أبداً. قال: أولم يقل لنا أنهم قد هزموا. فقال الشعبي: إنما زعم أنهم هزموا بنصيبيين من أرض الجزيرة، وإنما الهزيمة وقعت بخارز من أرض الموصل) ^(١)

كان المختار ومعه غلاة الشيعة - يحاول أن يضفي على نفسه هالة من القدسية ليكون هو الإمام أو على الأقل وصي الإمام محمد بن الحنفية، فتارة يعصمه أصحابه من الخطأ - وهذا هم الآن يدعون أنه يعلم الغيب، وقبل ذلك أذاع على الملا - وعلى لسان أحد أعدائه - أن الملائكة كانت تقارب معه، فرفعه المتشددين من أصحابه بهذه الخرافات فوق مستوى البشر وأصبحوا على يقين أن كل ما يقوله المختار صواب وكل ما يتتبأ به سيحدث.

كل من استطاع الهرب من أشراف الكوفة لجأ إلى مصعب بن الزبير بالبصرة كى ينجدهم من هذا الوضع المتدهور بالبلاد، فالرؤى كانت تختلف من كل زاوية، فالختار يرى أنه جدير بالحكم فهو ليس أقل من ابن الزبير الذى أخضع الحاجز والبصرة والكوفة تحت حكمه، ولا أقل من عبد الملك بن مروان الذى حكم الشام، وإن كان المختار استغل الشيعة ورغبتهم فى الثأر للحسين صلي الله عليه وسلم كى يصل إلى هدفه، والوضع بالنسبة لابن الزبير مختلف فالختار وثب على ملكرة بعد أن استتب له وإن لم يسترد ما سلبه المختار قد يقوض كل ما بناه، أما الرؤية بالنسبة لأشراف الكوفة فكانت مختلفة تماماً، فقد رأوا أن ما يحدث هو ثورة للموالى والعبيد ليكونوا هم الأسياد، فهى ثورة لقلب الأوضاع فكان كل ما يهم الأشراف أن تعود الأمور إلى وضعها الطبيعي فكانوا هم الأشراف لا أحد غيرهم، فهدفهم القضاء على الموالى وعلى المختار الذى جعل منهم أسياد يتحكمون فى الأشراف فيقتلوهم أو يمنحوهم الأمان حسب هواهم، فكانوا هم أشد القوم حنقاً على المختار ومن معه من الموالى.

يطلب الأشراف - وعلى رأسهم شبث بن ربعى - من مصعب بن الزبير الخروج لقتال المختار بالكوفة وألحوا عليه فى ذلك، ولكن المصعب يرفض الخروج حتى يأتيه المهلب ابن أبي صفرة عامله على فارس فكتب إليه إلا أن المهلب أبطأ عليه فبعث المصعب

محمد بن الأشعث ليستحث المهلب على الخروج فلم يجد هذا بدأً من أن يلبى طلب المصعب فذهب إلى البصرة بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقام مصعب بن الزبير وكتب الكتائب وأمر النساء واستعد لقتال المختار. يعلم المختار بأمر هذا الجيش العظيم ويجمع أصحابه ويعود لتبؤاته من جديد ويخبرهم أنهم سيلقونهم ويقتلونهم. لم يستعن المختار هذه المرة ببابا هيم بن الأشتار لأنه شعر منه ببعض التهاون فخاف أن يخذله، فدعا المختار رءوس الأربع الذين كانوا مع ابن الأشتار بعثهم مع أحمر بن شميط، فسار ابن شميط حتى ورد المدار وأنزل الموالى من على الخيول وجعلهم من ضمن المشاة حتى لا يفروا من المعركة وليحاربوا حتى الرمق الأخير، وجعل ابن شميط على مقدمته ابن كامل الشاكري. حمل المصعب والمهلب على ابن شميط وابن كامل ويبدو أن المعركة كانت غير متكافئة فقتل ابن شميط وابن كامل، وقتل الموالى بطريقة وحشية وكيف لا وهم يريدون أن يأخذوا مكان الأشراف، فها هو معاوية بن قرة - وكان قاضياً لأهل البصرة - يقول: (انتهيت إلى رجل منهم، فأدخلت سنان الرمح في عينه، فأخذت أخضض عينه بسنان رمح لأنهم كانوا أحل عندنا دماء من الترك والدليل) ^(١) (فلما بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم (الموالى) ما لقى إخوانهم مع ابن شميط قالوا بالفارسية: (اين باردوغ كفت) ومعنى: هذه المرة كذب) ^(٢) وبذلك يتضح أن هالة القدسية التي أحاط بها المختار نفسه تأخذ طريقها إلى الزوال ولما علم المختار بهذه الأنباء وأن الملك الذي بناء يهتز من تحته بشدة اتخذ قراره فإذا ما أن يكمل الطريق ويتحقق ما سعى إليه وإنما أن يقاتل حتى الموت فيموت كريماً.

بعد أن انتهى مصعب بن الزبير من أمر ابن شميط حمل جنوده في السفن حتى وصل إلى نهر الفرات، ولما علم المختار بذلك (سار برجاله حتى نزل بهم السيلحين، ونظر إلى مجتمع الأنهران نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القدسية ونهر يوسف فسكن الفرات على مجتمع الأنهران فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهران، وبقيت سفن أهل البصرة في الطين، فلما رأوا ذلك خرجن من السفن يمشون، وأقبلت خيالهم تركض

١ - الطبرى - ج ٢ ص ١١٥٤

٢ - الطبرى - ج ٢ ص ١١٥٥

حتى أتوا ذلك السكر، فكسروه وصمدوا صمد الكوفة فلم رأى المختار ذلك أقبل إليهم حتى نزل حرواء، وحال بينهم وبين الكوفة) ^(١)

دارت بين المختار والمصعب معارك طاحنة وكاد المصعب أن ينهزم وكان يبعث إلى المهلب يطلب منه أن يشارك برجاته ولكنه كان ينتظر الفرصة فلم يلب طلبه، وتشتد المعركة ويضيق الخناق أكثر على مصعب بن الزبير حتى أنه سب المهلب، فحمل المهلب بأصحابه فكان سبباً في هزيمة المختار هزيمة ساحقة إلا أن محمد بن الأشعث كان قد قتل مما عكر صفو النصر على المهلب. ثم جاء إلى المصعب خبر مقتل عبد الله بن على بن أبي طالب، وقد كان في جيش مصعب بن الزبير، فقال المصعب (إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة، أما إنهم قد قتلوا، وهم يعرفونه) ^(٢)

يضطر المختار بعد هذه الهزيمة وتفرق الأصحاب عنه أن يدخل القصر هو ومن تبعه، فعسر مصعب بن الزبير في الميادين والطرق الرئيسية للكوفة وقطع الماء والمادة عن المختار وأصحابه وحاصر القصر أربعة أشهر كانت تتخالهم حرب الشوارع، فكان المختار وأصحابه يقاتلون قليلاً في سوق الكوفة وعند الخطر يلجأون إلى القصر. فاضطر المصعب أن يقترب أكثر من القصر حتى يضيق الخناق على المختار. وفيفضل المصuar الخروج إليهم ليقاتل حتى يقتل على أن يحكمهم في نفسه فرفض جل أصحابه الخروج معه، فخرج معه تسعة عشر رجل فقاتل حتى قتل، وكان قتيلاً في ١٥ رمضان سنة ٦٧ وهو ابن سبع وستين سنة (ثم إن المصعب أمر بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد إلى جنب المسجد، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحاج بن يوسف - وهو ثقفي كالمحتر - فنظر إليها فقال: ما هذه؟ قالوا: كف المختار فأمر بنزعها) ^(٣)
وقيل إن المصعب أمر بقتل كل من كان بالقصر وقد بلغ عددهم سبعة آلاف، وقد كان المصعب يريد أن يقتل الموالي ويترك العرب - وقد بلغ عددهم سبعمائة عربي - فقال له أصحابه (أى دين هذا؟ وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد فقدمهم وضرب أنفاسهم) ^(٤)

١- الطبرى - ج ٢ ص ١١٥٥

٢- الطبرى - ج ٢ ص ١١٧٥

٣- الطبرى - ج ٢ ص ١١٦٠

٤- الطبرى - ج ٢ ص ١١٦٢

لم يشترك إبراهيم بن الأشتر - وهو فارس وقائد لا يستهان به - في المعارك الأخيرة، ولعل هذا أحد أسباب هزيمة المختار، وكان مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان كل منهما يريد كسب ابن الأشتر في صفه، فعبد الملك بن مروان يريد أن تكون له العراق وأبن الزبير يريد أن يستقر له ملك العراق ولا شك أن من سيكتب ابن الأشتر في جانبه ستزداد جبهته قوة لا يستهان بها، وكتب كل منهما إلى ابن الأشتر يرغبه بالملك والسلطان فكتب مصعب بن الزبير ويقول له: (إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلما الشام وأعنزة الخيل، وما غلبت عليه من أرض المغرب مادام لآل الزبير سلطان، وكتب عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعوه إلى طاعته ويقول إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلما العراق) ^(١) وبعد أن يشاور إبراهيم أصحابه يفضل الدخول في حزب آل الزبير ضد حزب بنى أمية، وذلك لأنه قتل عبيد الله بن زياد وأشراف أهل الشام فلم يأمن لهم، وبالفعل يدخل إبراهيم في طاعة آل الزبير.

ينتهي انقلاب المختار ومعه الموالى وعامة الشيعة بقتل زوجة المختار عمرة بنت النعمان ابن بشير الأنصاري لأنها قالت إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين فكتب المصعب إلى أخيه عبد الله بن الزبير يقول إنها تزعم أن زوجها كاننبياً فيأمره بقتلها. بعد هذا العرض لنا أن نتساءل هل كان المختار ومن معه يحاربون حقاً ولم يكن لهم هدف سوى الطلب بدم الحسين؟ أم أن هذا الهدف لم يكن إلا مجرد هدف ثانوي أو إن شيئاً فقاً هدفاً وهمنا؟

بالنسبة لعامة الشيعة فإنهم كانوا يقاتلون وبإخلاص من أجل الثأر للحسين وكان شيعة على ~~ذهبية~~ الذين قتلوا ليس لسبب إلا أنهم قالوا كلمة حق في على كرم الله وجهه وقاتلوا مع المختار خاصة لأنه كان قائداً للجناح العسكري لمحمد بن الحنفية وبعما تحت أمرته.

أما الموالى فنرى أن هدفهم الأساسي كان يتمثل في أن يكون لهم مكان على خريطة الأحداث فالقيادة للعرب والمجد كله لهم وهم يؤلاء مازالوا يعاملون على أنهم عبيد لا حق لهم في المشاركة في الحياة السياسية ووجدوا في المختار والدخول في حزبه ضالتهم،

فمعه ركعوا الخيول وحاربوا بالسيوف وكان لهم دور في القيادة بل إن أحدهم - وهو كيسان أبو عمارة - كان هو قائد حرس المختار الخاص وكان من أقرب المقربين إليه، فهو الموكل بالحفظ على حياته، وفي سبيل ما ناله كيسان وما سيناله الموالى غالى في التشيع لآل على عليه السلام، وكان ينشر أفكاره المتطرفة على الملا، حتى إن شيعة المختار كانوا يدعون بالمحترمية أو الكيسانية، وإن كان البعض يرد اسم الكيسانية لأكثر من سبب إلا أننا نرى أن الصواب في سبب تسمية المحترمية بالكيسانية هو ما ذكرناه لأنه يتتسق مع الأحداث التاريخية التي أسلفنا ذكرها. ونرى أن علماء الشيعة يتبرأون من الادعاءات التي ادعواها كيسان هذا، فعلى سبيل المثال نجد أن النويختي - وهو أحد أكبر علماء الشيعة والذي توفي نحو سنة ٣١٠ هـ - يقول في كتابه الشهير (فرق الشيعة) وهو بقصد الحديث عن المختار وعن المحترمية والكيسانية باعتبارها فرقاً واحدة من فرق الشيعة، يقول النويختي: (وادعى - يعني المختار - أن محمد بن الحنفية أمره بذلك - يعني المطالبة بدم الحسين - وأنه الإمام بعد أبيه، وإنما لقب مختار كيسان بصاحب شرطته المكتن بأبي عمارة، وكان اسمه كيسان، وكان أشد إفراطاً في القول والفعل والقتل من المختار، وكان يقول إن محمد بن الحنفية وصى على بن أبي طالب، وأنه الإمام، وأن المختار وصى محمد بن الحنفية وعامله، ويُكفر من تقدم عليه - أي أبي بكر وعمرو وعثمان -، ويُكفر أهل صفين والجمل، وكان المختار لا يُكفر من تقدم عليه، ويُكفر أهل صفين وأهل الجمل وكان كيسان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتى المختار بالوحى من عند الله عز وجل، فيخبره بذلك ولا يراه.. ولما أذنب محمد بن الحنفية الذنب الذي عاقبه الله من أجله - وهو بيعته لعبد الملك بن مروان - أخرج الله من داره ومن بين أصحابه - وأهله حتى أوغله في جبل وغر وغار مظلم.. وهكذا لفظهم، وقالوا في على قوله عظيماً، جاؤوا فيه قول عبد الله بن سبا^(١) وهذا كان رأى علماء الشيعة في المختار والمحترمية حيث عدوهم من ضمن الفرق الغالية التشيع. وعلى كل حال فالموالى كانوا هم أصدق الناس لكل ما يزعمه المختار، ولكل الصفات التي نعت بها، وسواء كان تصديقهم له عن عقيدة صافية أو لأنه سيخلصهم من

١ - فرق الشيعة - النويختي - ص ٢٤، ٢٥، ٢٦

العبودية و يجعلهم مواطنين من الدرجة الأولى؛ فعلى ما يبدو أن هذه العقيدة رسخت في صدورهم و تركت أثراً حتى بعد أن هزم المختار وقالوا إنه هذه المرة كذب.

كان ابن الحنفية يرفض ادعاءات غلاة الشيعة؛ فهو لا مانع عنده من حب أهل البيت - ومن لا يحبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ولا مانع من الطلب بدمهم ودم من قتل في سبيل حبهم، ولكنه كان يحذر من الغلو، وقد جاء في الطبرى أن هند بنت المتكلفة الناعطية وليلى بنت قمامة المزنية كانتا من غلاة الشيعة ويجتمع في منزلهما كل غال، وأن الأخيرة كانت تكره أخاهما لأنه كان شيعياً معتدلاً يرفض التطرف، وعندما علم ابن الحنفية خبر هؤلاء الغلاة كتب إلى الشيعة بالكوفة يحذرهم هؤلاء (من محمد ابن على إلى من بالكوفة من شيعتنا أما بعد، فاخروا إلى المجالس والمساجد، فاذكروا الله علانية وسرأ ولا تتحذوا من دون المؤمنين بطانة، فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكاذبين) ^(١) والراجح لنا من الروايات التاريخية وكتب العقاد أن ابن الحنفية لم يبعث المختار خاصة للطلب بدم أهل البيت ولم يجعل من نفسه مهدياً بل إن كل هذا كان من صنع المختار وإن كان ابن الحنفية قوى من مركز المختار وغلف ادعاه بخلاف الصدق حينما لجأ إليه ليخلصه من ابن الزبير عندما أرادأخذ البيعة منه عنوة بمكة ولا قتله، وعلى كل حال وكما ذكرنا فإن ابن الحنفية لم يكن يمانع أن يطالب المسلمون بدم أهل البيت وأن يظهروا حبهم لهم وإذا كان التشيع بهذه الصورة التي أرادها فإن كل المسلمين شيعة لآل البيت.

كان الأمر بالنسبة لرؤوس الشيعة يتلخص في أنهم وجدوا في المختار البديل لسلامان ابن صرد الذي قتل وإن كان منهم من انشق عن التنظيم مثل رفاعة بن شداد لأنه فقد الثقة في المختار، أما إبراهيم بن الأشتر فإن الأمر كان بالنسبة له مختلفاً فالمختار هو الذي طلب منه أن ينضم إليه، وعندما عرض عليه أصحاب المختار أن يكون معه وافق أولاً على شرط أن يكون هو زعيم التنظيم الشيعي وبعد مداولات انضم إليهم على أساس أن ابن الحنفية هو الذي جعل الزعامة العسكرية للمختار وإن كان الشك يلازم دائمًا حتى بعد أن بعث إليه المختار بكتاب ابن الحنفية على نحو ما ذكرنا،

وبعدما شعر المختار أن ابن الأشر لم يصبح على ولائه القديم لم يشركه في المعارك الأخيرة، وأخيراً تحير ابن الأشر هل ينضم إلى آل الزبير أم إلى بنى أمية، وكان على استعداد أن ينضم إلى الحزب الأموي - مع أن هذا الحزب هو الذي قتل الحسين عليه وشيعة على ضطبه - فكان يتحرى المصلحة، وأخيراً وجد نفسه مع حزب الزبير لأنه لم يكده من الخسائر مثلاً كبد الحزب الأموي بقتله ابن زياد وأشراف الشام.

ونأتي إلى المختار الذي يعد - وبحق - داهية من الدهاء فلو أنه كان كتب له شيء من التوفيق لما كانت هذه نهايته، فتخلى بعض رءوس أصحابه عنه وعدم استمرار ابن الأشر معه كان له أكبر الأثر في سير الأحداث. والمختار رجل يبحث عن الزعامة مثله في ذلك مثل ابن الأشر ولذلك لم يندمجا معاً، لعب المختار على كافة الأوتار وكان على استعداد أن ينضم إلى أي حزب بشرط أن ينال زعامة ومكانة مرموقة بغض النظر عن برنامج هذا الحزب فهو في النهاية ليس ممن يدينون بالولاء للحزب الذي ينضمون إليه ومتى فقد مكانته فلا يلزمه الحزب، وإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً سنة ٤١ هـ عندما طعن الحسين بن علي رضي الله عنهما ونهب سراقه (كان عم المختار بن أبي عبيد عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وماذا ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن إلى معاوية فقال له سعد: عليك لعنة الله أثب على ابن بنت رسول الله عليه السلام فأوثقه) ^(١) وبعد ذلك فوجئنا بالمختار يأوي مسلماً بن عقيل في داره، وبعد أن يطلق سراحه ابن زياد يتوجه إلى عبد الله بن الزبير ليبايعه وليقاتل ضمن صفوفه على شرط أن يكون له جزء من السلطة، ولما أهمله ابن الزبير أراد أن يقود هو التنظيم الشيعي فلم يتثن له ذلك إلا بعد قتل سليمان بن صرد، وبعد أن ادعى أنه أرسل من قبل محمد ابن الحنفية الذي عهد إليه بالقيادة حتى لا يطمع أحد - خاصة رءوس الشيعة من أصحاب سليمان ابن صرد - في أن ينافس على تلك القيادة وقد استخدم هذا السلاح عندما أراد ابن الأشر أن يقود هو التنظيم، ونرى المختار بعد ذلك يظهر بمظهر من يعلم الغيب ثم يجعل سراقة بن مرداس - الشاعر - يعلن على الملاء أنه شاهد الملائكة تحارب مع المختار وأصحابه، كل هذا لينضم إلى

التنظيم المزيد والمزيد وحتى لا يشق أحد عصا الطاعة ليتحقق هدفه في حكم جزء من دولة الإسلام ليصبح كابن الزبير وكعبد الملك بن مروان إلا أن الحظ لم يحالفه.

ظهور زيد بن على:

تمر السنون ويعيد التاريخ نفسه بصورة يمكن أن نقول إنها صورة كربونية لما حدث مع الحسين رضي الله عنه إلا أن الشهيد الجديد هنا هو زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، فقد كرر أهل الكوفة ما سبق أن فعلوه مع جده الحسين رضي الله عنه إلا أن الزمان مختلف، فتحن الآخر في سنة ١٢١هـ، ولن نسهب في ذكر السبب الذي من أجله قدم زيد ابن على الكوفة، فالهم أنه نزل الكوفة ليقضى أمراً، فلما قضاه لم يكن ينوى إلا أن يرجع إلى المدينة، ولكن شيعة الكوفة لم يتركه يعود بل ظلوا يمنونه بالأمانى ويخبرون أن معه مائة ألف رجل من أهل الكوفة يستطيعون أن يطحيوا بأهل الشام وخليفتهم هشام بن عبد الملك، وكان والي الكوفة يطلب منه العودة إلى المدينة فيتعلله زيد بأى علة حتى ينظم أمره، وقدم كثيرون النصح لزيد ليترك هذا الأمر ويدركه بخدلان أهل الكوفة للحسين والحسن ولعلى، وحاوره أحدهم حواراً شديداً المنطقية (فقال: نشدتك الله كم بایعك؟ قال: أربعون ألفاً قال: فكم بایع جدك؟ قال: ثمانون ألفاً، قال: فكم حصل معه؟ قال: ثلاثة، قال: نشدتك الله أنت خير أم جدك؟ قال: بل جدى، قال: أفقرنك الذي خرجت فيهم خيراً أم القرن الذي خرج فيهم جدك؟ قال: بل القرن الذي خرج فيهم جدى، قال: أفتطعم أن يفي لك هؤلاء، وقد غدر أولئك بجدك؟ قال: قد بایعونى ووجبت البيعة فى عنقى وأعناقهم) ^(١)

في سنة ١٢٢هـ يذيع أمر زيد وتعلم السلطات بأمر الانقلاب الذي يدبّره، وكان على زيد وشياعته من الزيدية أن يسرعوا بالخروج قبل أن يدبّر لهم أمراً، ولكن وكعادة شيعة الكوفة الذين من سماتهم دائماً الانقسام والتشتت في اللحظات الحرجة، فقد اجتمعت إلى زيد جماعة من رءوسهم فقالوا: (رحمك الله، ما قولك في أبي بكر وعمر، فلم يقل فيهما زيد إلا خيراً ولم يتبرأ منها، وأفهمهم أنهما وإن كانوا قد سلباً الخلافة من

على رضي الله عنه إلا أنهم لا يوصى بالكفر، فقد حكما بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه، وأن القوم الذين يريد الخروج عليهم الآن - بنى أمية - قوم ظالمين غير أبي بكر وعمر، إلا أن أكثرهم لم يعجبهم قول زيد فانشقوا عنه، (وكانوا يزعمون أن محمد بن علي أخا زيد ابن على هو الإمام، وكان قد مات يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حياً فقالوا جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالأمر بعد أبيه، ولا تتبع زيد بن علي على فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة) ^(١)

يحدد زيد ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة مائة واثنتين وعشرين، للقيام بالانقلاب، إلا أن إلى الكوفة جمع أكثر الشيعة بالمسجد بعد أن نادى أن من لم يدخله برئت منه الذمة أى سيقتل، فدخلوا بيارادتهم وذلك قبل ميعاد الانقلاب بيوم، وأطلقت كلمة السر ليلة الأربعاء (يا منصور أمت) إلا أن زيد لم يتجمع له سوى مائتى وثمانين عشر رجلاً، فقال: سبحان الله! أين الناس؟ فقيل له هم في المسجد الأعظم محصورون، وعندما وصل زيد - بصعوبة بالغة - إلى المسجد هو ومعه هذه القلة، ونادى فيهم ليخرجوا له يلب أحد النساء، وظل يقاتل حتى قتل بسهم أصاب جبهته، وبعد أن دُفن نُبُش وأخرج ثم صُلِّب، وبُعِثَ برأسه إلى هشام بن عبد الملك، ومكث البدن مصلوباً حتى مات هشام.

وبعد ذلك أخذوا يتبعون أثر يحيى بن زيد بن علي حتى قتلوا سنة ١٢٥هـ.

فترى، هل كان يجب على زيد أن يأخذ من التاريخ عبرة فلا يقع فيما وقع فيه جده الحسين رضي الله عنه أم أنه الأمل الذي لا ينظر إلا إلى الأمام ولا يقبل أبداً أى نظرة إلى الماضي؟!

لاشك أن اعتدال الإمام زيد بن علي كان أهم الأسباب في تفرق شيعة الكوفة عنه، فإنهم رأوا أن على الإمام زيد كى يكون صادقاً في دعوته أن يتبرأ من كل من تولى الخلافة مع وجود على بن أبي طالب، وهذا الاعتقاد ترسب في قلوبهم رغمما عنهم، فبني أمية منذ تولوا الخلافة وهم يسبون على بن أبي طالب كرم الله وجهه من فوق المنابر مما ولد داخل نفوس هؤلاء البغض لكل حاكم غير علي أو أحد أبنائه.

وفي الحقيقة فإن اعتدال زيد بن علي كان هو السبيل الوحيد لجمع أمة الإسلام،

ولكن نشير أن اعتداله لم يكن مصطنعاً ولكنه نشأ، وقد وجد آل البيت لا يميلون إلى التطرف ولم يفتروا على أحد كذباً، فها هو على بن أبي طالب يأمر بقتل عبد الله بن سباء عندما أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وقال إن علياً قد أمره بذلك ولما علم أصحاب على أنه أمر بقتل ابن سباء صاحوا إليه: يا أمير المؤمنين: أقتل رجلاً يدعوه إلى حبكم أهل البيت وإلى ولائك والبراءة من أعدائك فنفاه على إلى المداين. ورأينا أن الحسن تنازل عن الخلافة لحقن دم المسلمين، وابن الحنفية كان يحذر أهل الكوفة من غلاة الشيعة؛ فكل ما فعله زيد هو الاقتداء بأجداده وأبائه من أهل البيت، فهو لم ينكر أن علياً كان هو الأجرد بتولى أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ، ولكن مذهبة هو جواز إماماة المفضول مع قيام الأفضل، وقد دعم زيد بن على هذا المذهب بالكثير من الحجج - وجميعها حجج سياسية، فقال توضيحاً لمذهبة: (كان على بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقادعة دينية راعوها؛ من تسكين نائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كانت قريباً، وسيف أمير المؤمنين على عن دماء المشركين من قريش، وغيرهم لم يجف بعد، والضفائر في صدور القوم من طلب الثأر كما هي (رغم أن من قتلهم على كانوا مشركين) .. فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عروفة باللين، والتؤدة والتقدم في السن، والسبق في الإسلام .. وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم، فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا) ^(١) وقد رأينا كيف أن عمر كان يرجع إلى على في كثير من الأحكام، وكان يستعيد بالله أن يقع في أمر وليس معه على، ورأينا بعض أحكام على في زمن عثمان خاصة حكمه في المرأة التي رجمت مظلومة لاتهامها بالزناء.

مذهب زيد إذن كان مذهب الوحدة، ولو أنه كان قدر له الانتشار ولم يتفرق عنه أصحابه لتبدل الحال غير الحال، فما من مسلم لا يحب آل بيت رسول الله صلى الله وسلم عليهم أجمعين، والشطر الأكبر يحبون أبو بكر وعمر وعثمان والصحابة رضي الله

١ - الشهريستاني - الملل والنحل - تحقيق محمد فريد - المكتبة التوفيقية. ص ١٦٢، ١٦٤

عنهم أجمعين، فمذهب زيد السياسي العقائدي كان هو الأمل في الوحدة الشاملة بين أهل السنة وأهل الشيعة.

ونود أن نشير أن الأمل في الوحدة السياسية والعقائدية مازال موجوداً بل وينمو بشدة؛ فموضع الإمامة والذى يعد أحد أهم أسباب التفرق - لم يعد يلعب الدور الذى كان يلعبه قديماً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فأهل السنة لا ينكرون فضل وعلم أهل البيت وأقوى دليل على ذلك شدة ارتباط المصريين الشديد بأهل البيت وبناء المساجد الكبيرة لهم تعظيمًا لشأنهم مع أنهم من أهل السنة، ونظرة الإمامة عند أهل الشيعة خاصة الإمامية الاثنا عشرية الذين يمثلون الجمورو الأعظم للشيعة في الوقت الحاضر حيث تجاوز عددهم المائة مليون مسلم، نظرتهم للإمامية لم تعد هي نفس النظرة القديمة، فها هو الشيخ محمد رضا الطاهر - أحد أكبر علماء الشيعة - يقول في كتابه القيم عقائد الإمامية: (ولا يهمنا من بحث الإمامة في هذه العصور إثبات أنهم - الأئمة الاثني عشر - هم الخلفاء الشرعيون وأهل السلطة الإلهية، فإن ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ، وليس في إثباته ما يعيد دوره الزمن من جديد أو يعيد الحقوق المسلوبة إلى أهلها. وإنما الذي يهمنا ما ذكرنا عن لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به) (١) ولا نظن أن أحداً من أئمة السنة ينكر علم أهل البيت ويروون عنهم الروايات ويأخذون عنهم الأحكام ويقتدون بأفعالهم.

وفي النهاية نقول لو أن واضعى النظام الأساسي للتنظيم الشيعي كانوا قد بعدوا عن التطرف وقاوموا كل غال هدفه بث الفرقة بين المسلمين لجتمعوا المسلمين على حب آل البيت وما كنا وجدنا إلا مسلمين فقط فلا شيعة ولا أهل سنة.



١ - الشيخ محمد رضا الطاهر - عقائد الإمامية - مؤسسة الإمام الحسين - بيروت الطبعة العاشرة - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٩٢



الجزء الثاني

العقيدة الدينية للشيعة

- سبب تسمية الاثنا عشرية بهذا الاسم.
- عقيدة الشيعة في نبوة محمد ﷺ.
- الشيعة وتحريف القرآن.
- البداء.
- التقىة.
- الجمع بين الصلاتين.
- الصلاة على التربة.
- زواج المتعة.
- الرجعة.
- المهدي المنتظر.
- رأى الشيعة في الصحابة.

العقيدة الدينية للشيعة

رأينا كيف بدأ التنظيم الشيعي يأخذ نمطاً آخر بعد مقتل الحسين عليهما السلام، وكيف بدأت فرق الشيعة في الظهور بحيث كانت كل فرقة لها ما يميزها عن باقي الفرق التي تليها أو تسبقها في الظهور، فرأينا كيف ظهر التوابون بقيادة سليمان بن صرد وأعقبهم ظهور المختارية أو الكيسانية وانتهينا إلى أتباع زيد بن علي، وإذا دققنا النظر في السبب الذي من أجله ظهرت هذه الفرق لوجدنا أن السبب كان سياسياً بحثاً سواء تمثل في الطلب بدماء آل البيت رضوان الله عليهم أو في إعادة الخلافة المقصوبة إليهم، إلا أنه وفي ظل هذه التيارات السياسية الجارفة كانت تتكون لدى كل فرقة عقيدة دينية خاصة بها. المعتدلة منها كانت تستمد عقيدتها من علم آل البيت والمتطرفة أو الغالية كانت تستمد هذه العقيدة من بعض رءوسها الذين سيطروا عليها والذين كان جل هدفهم هو تفريح الدين الإسلامي من مضمونه وإلباسه ثوب اليهودية أو النصرانية لتشريع الفرقة أكثر وأكثر بين المسلمين، ونحمد الله تعالى أنه كتب لهذه الفرق المتطرفة الفناء وأبقى على من اعتدل من الشيعة والا لتبدل الحال غير الحال، وقد لعب علماء الشيعة المعتدلين الدور الأكبر في القضاء على معتقدات هذه الفرق والتي وصلت إلى حد الكفر وترأوا منهم في كل كتاباتهم.

واليآن ونحن نتحدث عن بعض عقائد الشيعة فلن نتعرض لهذه الفرق الغالية حتى لا تختلط الأمور فيطن القارئ أن هذه هي معتقدات الشيعة حتى وقتنا الحاضر، وعلى ذلك سننعرض فقط لعقائد الجمهور الأعظم من أهل الشيعة والذين يعيشون بيننا حتى الآن، ونقصد بهذا الجمهور الشيعة الإمامية وبمعنى أدق الشيعة الاثنا عشرية،

فقد خلط الكثير من الباحثين والمثقفين بين عقائد الفرق الغالية وعقائد الشيعة الاثنا عشرية حتى لقد وصل الأمر أن البعض قد أخرجهم من حظيرة الإسلام، وإن كان هناك بعض الخلاف بين أهل السنة وأهل الشيعة فإنه يمكن دائمًا الوصول إلى منطقة وسط ليقبل كل منا الرأى الآخر دون أن يرمي الأخ أخيه بالكفر والزندة، والآن سنلقي ضوءاً على بعض عقائد الشيعة الاثنا عشرية باعتبارهم الممثل الأكبر لجمهور الشيعة مع إلقاء بعض الضوء عن مدى الخلاف بينهم وبين أهل السنة.

■ سبب تسمية الاثنا عشرية بهذا الاسم:

يقول الشيخ محمد رضا المظفر^(١) موضعياً عقيدة الإمامية في عدد الأئمة والتي من أجلها أطلق عليهم اسم الاثنا عشرية، ونعتقد أن الأئمة الذين لهم صفة الإمامية الحقة هم مرجعنا في الأحكام الشرعية المنصوص عليهم بالإمامية اثنا عشر إماماً، نص عليهم النبي صلى الله عليه وآله جميعاً - بأسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من بعده، على النحو الآتي:

- ١ - أبو الحسن علي بن أبي طالب (المرتضى) المولود سنة ٢٢ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠ بعدها.
- ٢ - أبو محمد الحسن بن علي (الزكي) (٥٠ - ٢).٢
- ٣ - أبو عبد الله الحسين بن علي (سيد الشهداء) (٦١ - ٢).٣
- ٤ - أبو محمد على بن الحسين (زين العابدين) (٩٥ - ٢٨).٤
- ٥ - أبو جعفر محمد بن علي (الباقر) (٥٧ - ١١٤).٥
- ٦ - أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق) (٨٢ - ١٤٨).٦
- ٧ - أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) (١٢٨ - ١٨٢).٧
- ٨ - أبو الحسن علي بن موسى (الرضا) (١٤٨ - ٢٠٣).٨
- ٩ - أبو جعفر محمد بن علي (الجواد) (١٩٥ - ٢٢٠).٩
- ١٠ - أبو الحسن علي بن محمد (الهادي) (٢١٢ - ٢٥٤).١٠

١ - عقائد الإمامية عقيدة رقم ٢، ص ٩٧، ٩٨.

- ١١- أبو محمد الحسن بن علي (ال العسكري) (٢٢٢ - ٢٦٠ هـ).
- ١٢- أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي) (٢٥٦) - وهو الحجة في عصرنا الغائب المنتظر، عجل الله فرجه وسهل مخرجه ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً).
- إلى هنا ينتهي كلام الشيخ المظفر.

■ عقيدة الشيعة في نبوة محمد ﷺ :

يظن البعض أن عقيدة الشيعة تقول بنبوة علي بن أبي طالب عليهما السلام أو أنه قاسم رسول الله ﷺ الرسالة، وفي الحقيقة فإن كل هذه المقولات الشديدة في الغلو إنما قال بها الفرق البائدة من غلاة الشيعة وقد تبرأ منها وكما ذكرنا - جمهور الشيعة، فيذكر لنا النوبختي أن فرقة تسمى القرامطة قالت إن رسول الله ﷺ قد انقطع عنه الرسالة في حياته في اليوم الأول الذي أمر فيه بنصب على بن أبي طالب بغدير خم فصارت الرسالة في ذلك اليوم إلى علي، واعتلوها في ذلك بخبر تأولوه وهو قول رسول الله ﷺ (من كنت مولاه فعل مولاه) وأن هذا القول منه يعني خروجه من الرسالة والنبوة، وتسليمه ذلك لعلي بن أبي طالب بأمر الله عز وجل وأن النبي ﷺ بعد ذلك صار مأموراً لعلي بن أبي طالب، محجوباً به، وينتقد النوبختي قولهم ويتبرأ منهم فيقول: كذب العادلون بالله وضلوا اصلاً بعيداً، وخسروا خسراً مبيناً^(١).

و قبل أن نوضح للقارئ عقيدة الشيعة الاثنا عشرية في نبوة محمد ﷺ نلقي بعض الضوء على حديث غدير خم الذي يحتج به الشيعة على إمامته على عليهما السلام لا على أنه صاحب الرسالة كما يدعى الغلاة، والحديث روى بعدة طرق نذكر منها ما أخرجه الحكم في مناقب علي من مستدركه؛ عن زيد بن أرقم قال: (ما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بروحات فقمن، فقال: كأنى دعيت فأجبت، وإنى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما،... ثم قال: إن الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ

١- أنظر - فرق الشيعة - ص ٨١، ٨٢.

ييد على، فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من ولاه وعاد من عاده.
أما عن عقيدة الإمامية في محمد عليه السلام فيوضخها لنا الشيخ محمد رضا المظفر بقوله:
(نعتقد أن صاحب الرسالة الإسلامية هو محمد بن عبد الله وهو خاتم النبيين وسيد
المرسلين وأفضلهم على الإطلاق، كما أنه سيد البشر جميعاً لا يوازيه فاضل في فضل،
ولا يدانيه أحد في مكرمة، ولا يقاربه عاقل في عقل، ولا يشبهه شخص في خلق، وأنه لعلى
خلق عظيم، ذلك من أول نشأة البشر إلى يوم القيمة).^(١)

■ الشيعة وتحريف القرآن:

جاء متطرفو فرق الشيعة بالعديد من الشبهات حول القرآن الكريم، لكن نحمد الله أن
المعتدلين من الشيعة ومن كافة مذاهب المسلمين قد وقفوا لهم بالمرصاد وتتبعوا هذه
الشبهات المزعومة وقاموا بالرد عليها، ومن هذه الشبهات ما روى عن جعفر الصادق
أنه قال: (ما أدعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله إلا كذاب وما جمعه وحفظه إلا
على والأئمة من بعده).

وروروا عنه كذلك أنه قال: (إن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام قيل: وما مصحف
فاطمة، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاثة مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف
واحد!).

وزعم الغلاة من الشيعة أن في القرآن سورة تسمى سورة الولاية تبشر بولاية على وقد
أسقطت بالكامل.^(٢)

ولكن نجد أن الطبرسي - وهو من أكبر علماء الشيعة في القرن السادس الهجري - يقول في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن عكس ما جاء به الغلاة المتطرفون من الشيعة، فيقول: (أما الزيادة في القرآن فمجموع على بطلانها، وأما النقصان فهو أشد استحالة، ثم قال: إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة. فإن العناية اشتلت

١- عقائد الإمامية - عقيدة رقم ٢٠ - ص ٨٧.

٢- حول هذه الشبهات وغيرها انظر كتاب شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردتها تأليف محمد الصادق فمحاوي المفتشر بالازهر - الطبعة الأولى ١٢٨٩ هـ - ١٩٧٨ م - دار الأنوار للطباعة.

والدوعى توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء في الوجود، لأن القرآن مفخرة النبوة، وأمأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حمايته الغاية القصوى؛ حتى عرروا كل شيء اختلف فيه من تفسيره وأحكامه وأعرابه وقراءاته ورسمه وضبطه وعدد آياته وعدد نقطه وحركاته فكيف يتخيّل عاقل بعد تلك العناية الفائقة بالقرآن الكريم أن يحصل فيه نقص أو زيادة مع هذا الضبط الشديد).

ويوضح الشيخ محمد رضا المظفر عقيدة الشيعة الائتية عشرية في القرآن بقوله: (نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزّل من الله تعالى على نبيه الأكرم، فيه تبيان لكل شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما هو من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزّل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه وكلهم على غير هدى... والقرآن لا يجوز إحرافه، ولا يجوز توهينه بأى ضرب من ضروب التوهين الذى يعد في عرف الناس توهيناً، مثل رميء أو تقديره أو وضعه في مكان مستحقر، فلو تعمد شخص توهينه وتحقيره بفعل واحد من هذه الأمور وشبهها، فهو معدود من المنكرين للإسلام وقدسيته والمحكم عليهم بالمزوق من الدين والكفر برب العالمين) ^(١)

وعلى هذا فالقوم الذين يعيشون بيننا الآن من جمهور الشيعة ينكرون أي تحريف سواء بالزيادة أو النقصان في القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَأَنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ^(٢)

■ البداء:

ذكر الشهريستاني - وهو شافعى المذهب أشعرى الأصول - البداء عند حدیثه عن المختارية كأحد فرق الشيعة، والمختارية كما ذكرنا في القسم التاريخي في هذا الكتاب

١ - عقائد الإمامية - عقيدة رقم ٢١ - ص ٨٢، ٨١.

٢ - سورة الحجر - آية ٩.

هم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي؛ يقول الشهري: (فمن مذهب المختار أنه يجوز البداء) على الله تعالى، والبداء له معان: البداء في العلم، وهو أن يظهر له خلاف ما علم، ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد، والبداء في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمر، وهو أن يأمر بشيء، ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك... وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال، إما بوجىء إليه، وإنما برسالة من قبل الإمام (محمد بن الحنفية)، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لكم، وكان لا يفرق بين النسخ في الأحكام جاز البداء في الاختيار)^(١)

أما النوبختي - وذكرنا أنه من علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري - فقد ذكر أن تفسير البداء بالطريقة السابقة إنما جاء على لسان سليمان بن جرير وكان من الزيدية أنصار زيد بن علي، وقد ذكرنا في القسم التاريخي أن كثيراً من أنصار زيد قد انشقوا عنه وقالوا بإمامية أبي جعفر محمد بن علي (الباقر) ومن بعده أبي عبيد الله جعفر محمد (الصادق)، وأن هؤلاء سموا الرافضة، فطعن سليمان هذا في الرافضة وكان يشرح لأصحابه من الشيعة الزيدية لماذا قال أئمة الرافضة الباقر والصادق بالبداء فكان يقول: (إإن أئمتهم (يعنى الرافضة) لما أحلوا لأنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون، والإخبار بما يكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون، فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله مثل تلك الأسباب التي علمت الأنبياء بما عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوا، قالوا لشيعتهم: بدا الله في ذلك فلم يكونه)^(٢)

وعلى ذلك ما ذكره الشهري وما جاء على لسان أهل السنة في عقيدة البداء - بل وفي كل عقائد الشيعة الفالية - كان لها أصول في كتب علماء الشيعة ولم تكن مجرد افترايات وأكاذيب نسبها أهل السنة إلى الشيعة بدون أصل أو دليل كما يقول

١ - الملل والنحل للشهري - ج ١ - ص ١٥٧.

٢ - فرق الشيعة - ص ٧٦، ٧٧. وانظر الملل والنحل - ج ١ ص ١٦٧.

د/ محمد التيجانى السماوى: (وأما القول بالبداء ونسبته إلى الله تعالى والتشنیع عليهم بأنه يستوجب نسبة الجهل والنقص إلى الله سبحانه وتعالى - كما يريد أهل السنة والجماعة حمله على هذا المعنى - فهذا التفسير باطل، ولا تقول به الشيعة أبداً، ومن ينسب إليهم ذلك فقد افترى عليهم) ^(١)

والعجب يظهر بعد ذلك في أن الدكتور التيجانى يحاول أن ينسب القول بالبداء - بمعناه السابق - إلى أهل السنة مما لا نرى معه مجالاً للرد الآن، وعلى كل حال طالما أن منهجنا في هذا الجزء هو محاولة لتقريب وجهات النظر بين أهل السنة وأهل الشيعة والبعد عن إثارة المعارك فإننا نعرض الآن عقيدة الإمامية في البداء؛ فهى بعيدة كل البعد عن التطرف الذى أصق بهم عن طريق بعض فرق الشيعة، يقول الشيخ محمد رضا المظفر: (والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص، وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الإمامية، قال الصادق: (من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بدأ ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم)، وقال أيضاً (من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبراً منه)، غير أنه وردت عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام: روایات توهם القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم، كما ورد عن الصادق عليه السلام: (ما بدا الله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابنى). ولذلك نسب بعض المؤلفين في الفرق الإسلامية إلى الطائفة الإمامية القول بالبداء طعناً في المذهب وطريق آل البيت، وجعلوا ذلك عن جملة التشنيعات على الشيعة. وال الصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ دُرُّ الْكِتَاب﴾**^(٢) ومعنى ذلك أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضى ذلك الإظهار ثم يمحوه فيكون غير ما ظهر أولاً، مع سبق علمه تعالى بذلك، كما في قصة إسماعيل لما رأى أبوه إبراهيم أنه يذبحه، فيكون معنى قول الإمام (الصادق) عليه السلام أنه ما ظهر الله سبحانه أمر في شيء، كما ظهر له في إسماعيل ولده إذ احترمه قبله ليعلم الناس أنه ليس بإمام، وقد كان ظاهر الحال أنه الإمام بعده لأنه أكبر ولده. و قريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة كشريعة نبينا

١- محمد التيجانى السماوى التونسي - لأكون مع الصادقين - ص ٢٢٩

٢- سورة الرعد - آية ٣٩

محمد ﷺ، بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا ﷺ^(١) انتهى كلام الشيخ المظفر.

ولنا على قول الشيخ المظفر توضيح وتعليق، فأما قول الإمام جعفر الصادق (ما بدار الله في شيء كما بداره في إسماعيل ابنه) فيحكي أن الإمام جعفر لما أشار إلى إماماة ابنه إسماعيل، ثم مات إسماعيل في حياة أبيه، رجع بعضهم عن إمامته (أي إماماة جعفر الصادق)، وقالوا كَذَبَتَا جعفر ولم يكن إماماً، لأن الإمام لا يكذب، ولا يقول ما لا يكون، وحكوا عن جعفر أنه قال: إن الله عز وجل بداره في إماماة إسماعيل فأنكروا البداء والمشيئة من الله، وقالوا: هذا باطل لا يجوز وانشقوا عن الإمام جعفر.^(٢)

وعن تفسير الآية الكريمة (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ألم الكتاب) فعن ابن عباس أنه قال: يدبر أمر السنة فيمحو الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدماء ولا يزيد في العمر إلا البر) رواه النسائي وابن ماجه، وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر، وعن ابن عباس كذلك أنه قال في تفسير نفس الآية (يبدل ما يشاء فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدلها)^(٣) وبهذه التفسيرات يتقارب مفهوم البداء عند أهل السنة والشيعة الأمامية.

■ التقىء :

يقول الدكتور محمد التجانى السماوى: (والتقىء من الأمور المستنكرة عند أهل السنة والجماعة، وهم ينبذون بها إخوانهم الشيعة ويعتبرونهم منافقين؛ إذ يظهرون ما لا يبطنون)^(٤) فالتقىء إذن تعنى إظهار الشخص عكس ما يعتقد حفظاً لنفسه من الهراء.

وفي الحقيقة فإن هذا التشنيع الذى قال به الدكتور التجانى إنما شنع به الشيعة الذين

١ - عقائد الأمامية - عقيدة رقم ١١ - من ٦٧، ٦٨.

٢ - التوبغنى - فرق الشيعة - من ٧٦.

٣ - حول هذه التفسيرات انظر تفسير ابن الكلير - ج ٢ - من ٥٠، ٥٠٠.

٤ - لأكون مع الصادقين - من ٢٢٧.

انشقوا عن الإمام الباقي فقد سمعوا رجلاً منهم يقال عمر بن رياح زعم أنه سأله أبا عيسى (باقر العلم) عن مسألة فأجابه فيها بجواب ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول، فقال لأبي عيسى: هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي، فذكر أنه قال له إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية، فشك في أمره وإمامته، فلقي رجلاً من أصحاب أبي عيسى يقال له محمد بن قيس، فحكى له ما حدث وأضاف: وقد علم الله أنني ما سأله إلا وأنا صاحب العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله والعمل به، فلا وجه لانتقاده إياي وهذه حالى، فقال له محمد بن قيس، فعلله حضر من انتقام، فقال ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري، ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التخيّط، ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته، وقال: لا يكون إماماً من يفتى بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في أي حال من الأحوال، ولا يكون إماماً من يفتى تقية بغير ما يجب عند الله، ولا من يرخي ستراه ويغلق بابه^(١)

أما سليمان بن جرير (الزيدى) والذى كان يطعن على أئمة الرافضة، فكما أنكر البداء أنكر القول بالتقية بقوله: (وأما التقية، فإنه لما كثرت على أئمة الرافضة مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين، فأجابوهم فيها، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم، وكتبوا دوته، ولم يحفظ أئمته ذلك الأجوية لتقادم العهد وتفاوت الأوقات، لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد، بل في سنين متباude وشهور وأيام متقاربة، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوية مختلفة متضادة، وفي مسائل مختلفة أجوية متفرقة، فلما وقفوا على ذلك منهم، ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخلط في أجوبتهم. فقالوا من أين جاء هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك، قالت لهم أئمته: إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أجبنا، وكيف شيئاً، لأن ذلك إلينا، ونحن نعلم ما يصلحكم وما به بقاونا وبقاوكم، وكف عنونا وعدوكم علينا وعنكم).^(٢) وإذا كان هذا حال فرق الشيعة بينهم وبين أنفسهم والذي دونه ونقل من

١ - انظر - التبيغى - فرق الشيعة - ص ٧٣، ٧٤.
٢ - المصدر السابق - ص ٧٦، ٧٧.

كتبهم، أفلأ يكون أهل السنة لهم العذر فيما قالوا؟!
وعلى كل حال يجلى لنا الشيخ رضا المظفر عقيدة الإمامية في التقية فيقول: (روى
صادق آل البيت (الإمام جعفر) في الأثر الصحيح: (التقية ديني وبين آبائى) و(من لا
تقية له لا دين له). وكذلك هى، كانت شعاراً لآل البيت عليهم السلام، رفعاً للضرر
عنهم وعن أتباعهم وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين وجمعناً لكمتهم، ولما
لسيعفهم.

ومما زالت سمة تعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأمم، وكل إنسان إذا
أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لابد أن يتكتم ويتقى
مواضع الخطير. وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول، ومن المعلوم أن الإمامية وأنتمهم لاقوا
من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه أية طائفة
أو أمة أخرى، فاضطروا في أكثر عهودهم إلى استعمال التقية بمقاتمة المخالفين لهم
وترك مظاهراتهم وستر اعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك
من الضرر في الدين والدنيا. ولهذا السبب امتازوا بالتقية وعرفوا بها دون سواهم.
والتقية ليست واجبة في كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال كما إذا
كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام، وجهاداً في سبيله، فإنه
عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز الأنفس. وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب
قتل النفوس المحترمة أو رواجاً للباطل، أو فساداً في الدين، أو ضرراً بالغاً على المسلمين
بإخلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم).^(١)

والحقيقة فإن عقيدة الإمامية في التقية - بالمفهوم السابق - تقترب من عقيدة أهل
السنة في الأخذ بالرخصة وترك العمل بالعزيمة، والعزمية هي القانون العام الملزם
لكل المكلفين في جميع الأحوال، أما الرخصة فهي ما شرع من الأحكام لعذر من قبيل
التخفيف عن العباد ورفع الحرج عنهم. وعلى ذلك يمكن القول بأنه إذا كانت العزمية
هي الحكم العام المشروع ابتداء، فإن الرخصة هي الحكم الاستثنائي الخاص بناء على
العذر أو الحاجة أو الضرر.^(٢)

١ - عقائد الإمامية - عقيدة رقم ٢٢ - ص ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

٢ - انظر - د/ محمد فرحات - أصول الفقه - ص ٤٩.

وأهم أنواع الرخصة هو استباحة فعل المحرم عند الضرورة كاستباحة التلفظ بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان عند الإكراه على ذلك لقوله تعالى: **هُمْ كَفَرُ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكَرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمِئِنٌ بِإِيمَانٍ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرَ أَفْعَلَهُمْ عَصْبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**^(١)، وكاستباحة أكل الميتة أو شرب الخمر عند الضرورة أخذ من قوله تعالى: **لَا يَنْهَا حَرَمٌ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَعْنَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَ عَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**^(٢).

وحكم هذا النوع أنه يباح العمل بموجب الرخصة عند تحقق ما يقتضيها، وأن يكون المكلف بالختار بين العمل بالرخصة أو التمسك بالعزيمة. ولكن يلاحظ أنه إذا تعينت الرخصة لدفع التلف أو لإحياء النفس فإنها تكون واجبة لا مباحة، وذلك كالمضرر الذي يشرف على الهلاك إذا كانت حياته في أكل الميتة أو شرب الخمر عملاً بقوله تعالى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى النَّارِكَه**^(٣). وقد استثنى العلماء من هذا الحكم التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه عليه، فلم يقل أحد من العلماء بوجوبه مطلقاً؛ لأن إحياء النفس هنا يقابل موقف عظيم يتمثل في التمسك بالحق مما اشتدت الفتنة وعظم البلاء، فالمكلف هنا يكون له الخيار بين الثبات على موقفه أو المداراة لإنقاذ حياته، وقد روى في السنة: (أن عيون مسيلمة الكذاب - وكان يدعى النبي - أمسكوا برجليه من أصحاب الرسول ﷺ، فلما حضرا عنده قال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، فقال مسيلمة: وما تقول في؟ قال (رسول الله؛ فخلى سبيله؛ ثم قال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، فقال مسيلمة: وما تقول في؟ قال أنا أصم، فأعاد مسيلمة عليه القول ثلاثة فلم يتغير جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صد بالحق فهنيئاً له)^(٤) وقول رسول الله ﷺ هنيئاً له يدل على أن الأخذ بالعزيمة في هذه الحالة أفضل من الرخصة.^(٥)

ومن هذا العرض يتضح لنا أن التقية عند أهل الشيعة هي نفسها الرخصة عند أهل

١ - سورة التحلية آية ١٠٦.

٢ - البقرة - آية ١٧٣.

٣ - البقرة - آية ١٩٥.

٤ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - ج ١٠ - من ١٨٩.

٥ - حول أنواع الرخصة وأحكام انظر د/ محمد فرحات أصول الفقه.

السنة وإن وقع خلاف فإنه مجرد خلاف لفظي لا يغير شيئاً من المضمون.

■ الجمع بين الصلاتين :

يتفق جميع المسلمين على جواز الجمع بين الظهر والعصر بعرفة جمع تقديم، وجواز الجمع بالمزدلفة بين المغرب والعشاء جمع تأخير.

فقد روى أن رسول الله ﷺ جمع في حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة.^(١) وعن الجمع بين الصلاتين مطلقاً يقول الدكتور محمد التيجاني السماوي (والخلاف بين الشيعة وأهل السنة هو في جواز الجمع بين الفريضتين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في كل أيام السنة بدون عذر السفر، وبعد أن يعرض آراء بعض مذاهب أهل السنة في المشكلة يضيف، وأما الشيعة الإمامية فمتفقون على جوازه مطلقاً من غير سفر ولا مطر ولا مرض ولا خوف، وذلك اقتداء بما روى عن أئمة أهل البيت من العترة الطاهرة عليهم السلام)^(٢) ويدرك الدكتور السماوي على لسان أحد شيوخ الشيعة الإمامية - وهو السيد محمد باقر الصدر - أنه يمكن الجمع بين الفرضين في جميع الحالات وبدون ضرورة وذلك لأن رسول الله ﷺ جمع بين الفريضتين في المدينة في غير سفر ولا مطر ولا ضرورة، وإنما فقط لدفع الحرج عنا، وأن هذا ثابت عند الشيعة، وعند أهل السنة).^(٣)

ويجدر بنا الآن أن نورد بعض الأحاديث الشريفة التي حددت لنا أوقات الصلاة ثم نعرض لبعض الأحاديث التي يستدل بها إخواننا من الشيعة على جواز الجمع بين فريضتين بلا ضرورة فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ، كان يصلى العصر والشمس في حجرتها، قبل أن تظهر.^(٤) والمراد أن صلاة العصر يكون وقتها قبل أن ترتفع الشمس. وفي حديث سلمة، قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ المغرب إذا توارت بالحجاب.^(٥) أي غربت الشمس.

١ - صحيح البخاري - كتاب الحج - باب اليد إذا دفع من عرفة.

٢ - لأنك من الصادقين - ص ٢٧٤ - ٢٧٣ .

٣ - المصدر السابق - ص ٢٧٥ .

٤ - موطأ مالك - كتاب وقت الصلاة باب مواقيت الصلاة، والبخاري - كتاب موائق الصلاة باب الصلاة وفضلها، ومسلم كتاب المساجد باب أوقات الصلوات الخمس.

٥ - صحيح مسلم - ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٢٠ - باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس. والبخاري في كتاب مواقيت الصلاة : ١٨ - باب وقت المغرب.

وحدث عباد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ شغل عن ليلة - أي صلاة العشاء - فآخرها حتى رقدنا في المسجد، ثم استيقظنا، ثم رقدنا ثم استيقظنا، ثم خرج النبي ﷺ ثم قال: (ليس أحد من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم) ^(١).

وحدث جابر بن عبد الله، قال: (كان النبي ﷺ يصلى الظهر بالهاجرة (أي نصف النهار)، والعصر والشمس نقية (أي خالصة بلا تغير)، والمغرب إذا وجبت (أي غابت الشمس)، والعشاء أحياناً وأحياناً، إذا رأهم اجتمعوا عجل وإذا رأهم أبطأوا آخر، والصبح، كان النبي ﷺ يصليها بفأسٍ (أي ظلمة آخر الليل). ^(٢))

ومن هذه الأحاديث - وغيرها - يتضح لنا أن القاعدة أن لكل فرض وقت محدد خاص به فالظهور له وقت والعصر له وقت... إلخ، وإذا أردنا أن نجمع بين فريضتين علينا أن نحتمم أولاً إلى السنة النبوية لفهم أحكامها وهذا لا يكون إلا بالجمع بين الأحاديث التي قالت بالجمع بين الفريضتين وليس بالاستناد إلى حديث واحد وطرح ما عداه من الأحاديث، وكى تخرج بحكم صحيح للمشكلة يحسن بنا أن نعرض لأحاديث الجمع بين الفريضتين. فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الظهر والعصر في سفره إلى تبوك. ^(٣) وروى نفس حديث في نفس المعنى عن معاذ بن جبل.

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا عجل به السير يجمع بين المغرب والعشاء. ^(٤).

وحدث أنس بن مالك. قال: كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزدغ الشمس آخر الظهر إلى وقت العصر، ثم نزل فجمع بينهما، فإذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب. ^(٥) والواضح أن الجمع هنا كان جمع تأخير. وعن الجمع بين الصلاتين في الحضر روى عن عبد الله بن عباس أنه قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر

١ - صحيح البخاري ٩ - كتاب مواقيت الصلاة - ٢٤ - باب النوم قبل العشاء من غالب، ومسلم في ٥ - كتاب المساجد ومواقع الصلاة بـ ٣٩ - باب وقت العشاء وتأخيرها.

٢ - صحيح مسلم: ٥ - كتاب المساجد ومواقع الصلاة - ٤٠ - باب استعباب التكبير بالصبح في أول وقتها - والبخاري في: ٩ - كتاب مواقيت الصلاة، ٢٧ - وقت الفجر.

٣ - موطأ مالك - ٩ - كتاب فصر الصلاة في السفر باب الجمع بين صلاتين في الحضر والسفر.

٤ - المرجع السابق - وصحيف مسلم ٦ - كتاب

٥ - صحيح مسلم ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصصها ٥ - باب جواز الجمع بين صلاتين في السفر، وصحيف البخاري ١٨ - كتاب تنصير الصلاة ٦ - باب يصلى المترتب ثلاثاً في سفر.

جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر. وقال مالك: أرى ذلك في مطر.^(١) ومن الأحاديث السابقة يتضح لنا أن الرسول ﷺ ما كان يجمع بين الفريضتين إلا لظرف استثنائي بحث يحول دون أداء الصلاة في وقتها، وهذا الظرف يتمثل في السفر، أو الخوف أو المطر وبالقياس أي ظرف يترب مع قيامه مشقة حقيقة يعتد بها للجمع بين الصالاتين، وفي حالة غياب الاستثناء فإنه يجب علينا الرجوع إلى الأصل أو القاعدة العامة وهي أداء الصلوات الخمس في أوقاتها.

أما عند الشيعة الإمامية فالجمع لا يحتاج لأى استثناء، وفي هذا يقول السيد محمد باقر الصدر (إن لفريضتي الظهر والعصر وقتاً مشتركاً ويبتدئ من زوال الشمس إلى الغروب، ولفرضتي المغرب والعشاء أيضاً وقت مشترك ويبتدئ من غروب الشمس إلى منتصف الليل، ولفرضية الصبح وقت واحد يبتدئ من طلوع الفجر إلى شروق الشمس، فلا يمكن لنا مثلاً أن نصل فريضتي الظهر والعصر قبل الزوال أو بعد الغروب، كما لا يجوز لنا أن نصل فريضتي المغرب والعشاء قبل الغروب ولا بعد منتصف الليل).^(٢) وكلام السيد محمد باقر الصدر كلام جميل ولكنه يسرى في حال الضرورة فقط والا ما كان هناك حكمة من صلاتي العصر والعشاء طالما سنصليهما مع الظهر والمغرب، ولكن هناك ثلاثة فروض بدلاً من خمس فروض. وعلى كل حال فالخلاف بين أهل السنة والشيعة في هذا المقام هو هل يمكن الجمع في غير ضرورة؟ وعند الشيعة نعم وعند السنة لا، وقد عبرنا عن رأينا في المسألة والله أعلم.

■ الصلاة على التربة :

يرى علماء الشيعة أن السجود على الأرض دون أن يبسط عليها أي بساط هو أمر ضروري وواجب، لذلك نرى الشيعة يضعون جزء من تربة الأرض في جيوبهم وعند الصلاة يضعونها في موضع السجود إعمالاً للحكم السابق. ويسند الشيعة هذا الحكم لما روى عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قال:

١ - موطأ مالك ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر - باب الجمع بين صلاتهين في الحضر والسفر. وصحح مسلم في ٦ - كتاب صلاة المسافرين ٦ - باب الجمع بين الصالاتين في الحضر.

٢ - د/ السماوي - لأكون مع الصادقين - ص ٢٧٧.

أفضل السجود على الأرض.

وفي رواية أخرى: لا يجوز السجود إلا على الأرض أو ما أنبت الأرض غير مأكول ولا ملبوس.

وعن محمد بن الحسن بإسناده عن إسحاق بن الفضل أنه سأله عبد الله عن السجود عن الحصر والبوارى المنسوحة من القصب، فقال: لا بأس، وأن يسجد على الأرض أحب إلى، فإن رسول الله ﷺ كان يحب ذلك أن يمكن جبهته من الأرض، فأنا أحب لك ما كان يحبه رسول الله ﷺ، وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله قال: السجود على الأرض أفضل، لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل.^(١)

ونزيد على ذلك أنه جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال في الرجل يسوى التراب حيث يسجد، قال: (إن كنت فاعلأ فواحدة).^(٢)

وفي موطأ مالك عن أبي جعفر القارئ أنه قال: رأيت عبد الله بن عمر إذا أهوى ليسبد، مسح الحصباء لوضع جبهته مسحاً خفيناً. وكذلك روى عن أبي ذر أنه كان يقول: مسح الحصباء، مسحة واحدة، وتركها خير من حمر النعم.^(٣) وعلى هذا فالذى يصلى على الأرض بدون حصر أو سجاد فلا ينبغي أن يشغل نفسه بتسوية التراب أو الحصباء منعاً لأذى يصيبه، وإن فعل فمرة واحدة.

أما أهل السنة فيرون جواز الصلاة على الحصر أو على السجاد، وأهل الشيعة لا يمنعون هذا بل فقط يفضلون الصلاة على الأرض. ففي حديث ميمونة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلى وأنا حذاءه، وأنا حائض وربما أصابنى ثوبه إذا سجد. قالت: وكان يصلى على الخمرة.^(٤)

والخمرة سجادة صغيرة من سعف النخل.

ولكن يشترط في السجادة أن تكون ذات لون واحد حتى لا تشغل المصلى، فكما يشغل

١ - انظر د/ السماوي - لأنكون مع الصادقين - ص ٢٨٣.

٢ - صحيح البخاري في ٢١ - كتاب العمل في الصلاة - ٨ - باب مسح الحصبة في الصلاة. وصحبي مسلم في ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ١٢ - باب كراهة مسح الحصبة وتسوية التراب في الصلاة.

٣ - موطأ مالك في ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر - ١٢ - باب مسح الحصباء في الصلاة.

٤ - صحيح مسلم - في ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٤٨ - باب جواز الجماعة في النافلة والصلاحة على حصيرة وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات. وصحبي البخاري في ٥ - كتاب الصلاة - ١٩ - باب إذا أصاب ثوب المصلى أمر أنه إذا سجد.

من يصلى على الأرض بتسوية الحصى قد يشغل من يصلى على السجادة ذات الألوان الزاهية. فقد روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميسة لها أعلام، فقال: شغلتني أعلام هذه، اذهبوا بها إلى جهنم وأندوني بأنجانة.^(١) والخميسة: أكساء سور مربع. والأنجانة: كساء لا علم له.

وعلى كل حال فالخلاف بين أهل السنة والشيعة في هذه المسألة خلاف غایة في البساطة، فكما تجوز الصلاة على الأرض تجوز على الحصر والسجاد طالما أن موضع الصلاة ظاهر.

■ زواج المتعة :

يرى الشيعة الإمامية أن زواج المتعة جائز ويسمونه الزواج المنقطع أو الزواج إلى أجل مسمى، ويعرّفونه بأنه (عقد ازدواج بين طرفين معلومين إلى أجل معين يذكر في من العقد) فإذا انتهى الأجل انحلت العقدة بينهما دون حاجة إلى طلاق، وتعد الزوجة بحبيضتين أو خمسة وأربعين يوماً إن كانت لا تحبّس وهي في سن من تحبّس. وإذا مات الزوج وهي في أثناء مدة المتعة تعتد بأربعة أشهر وعشرين أيام أو وضع الحمل - إن كانت حاملاً - وتأخذ بأبعدهما أجيلاً. والولد من زواج المتعة كالولد من الزواج الدائم تماماً في حقوق الميراث والنفقة وكل الحقوق الأدبية والمادية ويلحق بأبيه. وليس بين المتعتين إرث ولا نفقة، فلا ترثه ولا يرثها. ولا حد لعدد النساء المستمتع بهن، وهناك روايات أخرى تدل على عدم جواز الزيادة على الأربع ويرون كراهة التمتع بالأبكار.^(٢)

ويرى أهل السنة أن زواج المتعة شرع أيام الرسول ﷺ وأن المسلمين استمتعوا على عهده ﷺ، ولكنهم يرون أن حل زواج المتعة نسخه رسول الله ﷺ، وبذلك يرى الشيعة الإمامية أن زواج المتعة لم يزل محلّاً بينما يرى أهل السنة أنه حرام.

ويخلص الدكتور التيجاني السماوي حجة الشيعة في حلية المتعة بقولهم (لم يثبت عندنا أن رسول الله ﷺ نهى عنها، وأثمننا من العترة الطاهرة يقولون بحليتها، ولو

١ - صحيح مسلم - في ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ١٥ - باب كراهة الصلاة في ثوب له علم.

٤٢ - انظر د/ عبد المجيد مطلوب - الوجيز في أحكام الأسرة الإسلامية - ص ٥٢، ٥٣، ود/ السماوي لأكون مع الصادقين - ص .٢٤٩

كان هناك نسخ من رسول الله ﷺ لعلمه الأئمة من أهل البيت وعلى رأسهم الإمام على، فأهل البيت أدرى بما فيه، ولكن الثابت عندنا أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي نهى عنها وحرمها اجتهاداً منه كما يشهد بذلك علماء السنة، ونحن لا نترك أحكام الله ورسوله لرأي واجتهاد عمر بن الخطاب^(١)

ويستدل علماء الشيعة على ثبوت زواج المتعة وعدم فسخه بقوله تعالى : **﴿فَمَا أَسْتَمْتَعُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَقَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِرِيشَةٍ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾**^(٢) فيرى الشيعة أن هذه الآية الكريمة توجب على الرجل أن يعطي الأجر للمرأة التي تمتزج بها والأجر غير المهر، والاستمتاع غير الزواج المعروف، وهذا يدل على جواز المتعة، وقالوا إن هناك قراءة لهذه الآية رويت عن ابن عباس، وعمران بن حصين وأبن مسعود^(٣) (فما استمتعتم به منهن (إلى أجل مسمى) فاتوهن أجورهن) وقال عمران بن حصين (نزلت آية المتعة في كتاب الله وعملنا بها مع الرسول ﷺ فلم تنزل آية تنسخها ولم ينه النبي ﷺ عنها حتى مات. وكذلك فإن النبي ﷺ أباح المتعة في بعض الغزوات، ويستدلون بما أخرجه مسلم عن ابن الزبير، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : (كنا نستمتع بالقبضية من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حرث)^(٤).

ويررون أن المتعة ثبتت بقطعي الحديث، وأن الأخبار الواردة في نسخها ظنية لتعارضها، وما ثبت باليقين لا يزول بالظن، كما أن ابن عباس كان يفتى بجوازها بعد وفاة النبي عليه السلام ويوافقه في تلك بعض الصحابة وهذا يدل على بقاء الإباحة حتى يقوم الدليل على تحريمها.^(٥)

أما أدلة أهل السنة في بطلان وفساد زواج المتعة فتشتمل في الآتي :

١ - د/ السماوي - لاكون مع الصادقين - ص ٢٥، ٢٥

٢ - سورة النساء - آية ٢٤

٣ - انظر د/ عبد المجيد مطلوب - المصدر السابق ص ٥٣

٤ - انظر - أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد آل كاشف النطامة.

٥ - حول هذه الأدلة انظر د/ عبد المجيد مطلوب - المصدر السابق ص ٥٧ - ٥٤.

١- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرْوَاجِهِمْ حَفَظُونَ ﴾ ﴿إِلَّا عَنْ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلْوُمِينَ ﴾ ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(١)

فقد أحل الله الاستمتاع بالزواج الشرعي الدائم أو بملك اليمين والمتزوجة زواج متعدة ليست واحدة من هاتين، فلا هي زوجة، ولا هي مملوكة، أما كونها ليست بزوجة فلأنها بزواج المتعدة عند من يجيزونه لا ترث، ولا تكون فرقتها بطلاق، وليس لها من حقوق الزوجة ما يضفي عليها صفة الزوجة، كما أنها ليست رقيقة مملوكة ولهذا يحرم نكاح المتعدة بنص الآية.

٢- وعن ابن شهاب، عن عبد الله والحسن، ابني محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيهما، عن علي بن طالب رضي الله عنه، أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه نهى عن متعدة النساء يوم خيبر، وعن أكل الحمر الإنسية.^(٢)

وما رواه أحمد ومسلم عن أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه خطب الناس بعد فتح مكة فقال : - (يا أيها الناس إني أذنت لك في الاستمتاع بالنساء وأن الله حرم ذلك إلى يوم القيمة أبدا فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتتكموهن شيئاً)
ويمكن الرد على أدلة الشيعة بالأتي :

١- أما الآية التي استدلوا بها فليس في المتعدة بل في الزواج الدائم بدليل ما قبلها وما بعدها من الآيات، والتعبير في الآية بالاستمتاع يراد به الاستمتاع بالزوجة الشرعية كما أن الأجر في هذه الآية هي المهر. وقد عبر القرآن على المهر بالأجر على سبيل المجاز في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿فَإِنَّكُحُوكُوْهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَإِنَّوْهُنَّ بِأَجُورِهِنَّ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرُ مُسْفِحِينَ وَلَا مُسْجَدِي أَخْدَانَ﴾^(٤) أي مهورهن، وإنما استدل لهم بقراءة ابن عباس ومن معه بزيادة (إلى أجل مسمى) فهذه الزيادة رواية أحد لا يثبت بها القرآن لأنه لا يثبت إلا بالتواتر، والزيادة قد تكون تفسيراً للآلية وليس ذلك حجة

١- سورة المؤمنون - الآيات ٧، ٦، ٥.

٢- موطأ مالك - ٢٨ - كتاب النكاح، ١٨ - باب نكاح المتعدة، صحيح مسلم ١٦، كتاب النكاح: ٢ - باب نكاح المتعدة، صحيح البخاري

٢٧ - كتاب المغازى: ٢٨ - باب غزوة خيبر.

٣- سورة النساء - آية ٢٥.

٤- سورة المائدة آية ٥.

٢- وأما استدلالهم بباب احتجته صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات فهذا لا ننكره وتنقله كتب الأحاديث الصحاح فمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال : كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء ، فقلنا : ألا نختصي ؟ فنهانا عن ذلك ، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ، ثم قرأ - (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ^(١)

وحيث جابر بن عبد الله، وسلمه بن الأكوع قالا : كنا في جيش ، فأتانا رسول الله ﷺ فقال : إنه أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا . ^(٢)
ولكن هذه الأحاديث كانت تروى ما كان أيام الإسلام الأولى وأن هذه التشريع إنما شرع ضرورة ثم نسخ بعد ذلك.

٣- أما قولهم إن عمر هو الذي نهى عن المتعة استدلاً بحديث جابر بن عبد الله : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقائق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر ونهى عنه عمر في شأن عبد الله بن حريث ^(٣) فهذا غير صحيح وتزيد على هذه الرواية رواية أخرى توضح أن عمر كان يعاقب على نكاح المتعة ويمنعه ، فمن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب فقالت : إن ربيعة بن أمية استمتع بأمرأة ، فحملت منه ، فخرج عمر بن الخطاب فزعا ، يجر رداءه . فقال هذه المتعة ، ولو كنت تقدمت فيها لرجمت . ^(٤)

وهذا يدل على أن فزع عمر بن الخطاب بهذه الصورة لم يكن لأمر نهى عنه هو وإنما النهى كان أيام الرسول ولهذا كانت هذه الغيرة الشديدة فمن عمر ، وعلى ذلك فحكم عمر بن الخطاب في زواج المتعة لم يكن منشئا للنهي بل كان حيث أن النهى كان أيام الرسول ﷺ .

٤- وأما استدلالهم بأن المتعة ثبتت بدليل قطعى وأن الأخبار الواردة في نسخها ظنية والقطعى مثله فمردود ، لأن الذين رووا إباحة المتعة هم الذين رووا ما يفيد نسخها ،

١- صحيح مسلم كتاب النكاح - باب نكاح المتعة.

٢- صحيح مسلم كتاب النكاح - باب نكاح المتعة.

٣- صحيح مسلم كتاب النكاح - باب نكاح المتعة.

٤- موطا مالك - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة

وذلك إما قطعى في الطرفين وإما ظن فىهما، وقد تواترت الأخبار بتحريمها ونقلت عن كثير من الصحابة ولم ينكر أحد عليهم ذلك التحريم، إذ لو كان هذا التحريم خطأً عنهم، لما سكت عليهم باقى الصحابة، فالمسلمون في هذا العهد كانوا لا يخافون في الحق لومه لائم وقصة المرأة التي راجعت عمر عندما أنقص في المهر وقال عمر مقالته الشهيرة أصابت المرأة وأخطأ عمر شهيرة ولا تخفي على أحد.

ونضيف على ذلك أنتنا لو قلنا بجواز المتعة لن نسد باب الزنا كما يظن إخواننا من الشيعة بل سنفتح الباب على مصراعيه، فهذا العقد لا يحتاج إلى شهود وليس للمستمتع بها حقوق الزوجة من نفقة وأدب وخلافه، مما أسهل على الزانى والزانية أن يدعيا أن بينهما عقد متعة مدته كذا والمقابل المادى فيه كذا فتجعل بذلك للزنا عقد يجب أن تقى به الزانية وتتفذ شروطه وفي المقابل يجب على الزانى أن يسد المبلغ المتفق عليه، وهذا لا يقبله عقل ووجدان المؤمن.

■ الرجعة :

يعتقد الشيعة أن الأئمة وغيرهم من الناس سيعودون مرة أخرى للدنيا حتى يأخذ المظلوم حقه من الظالم، يقول صاحب عقائد الإمامية : (أخذنا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقاً ويدل فريقاً آخر، ويدين المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .^(١))

ولا ينبغي لنا أن نخلط بين مفهوم الرجعة ومفهوم التناسخ الذي قال به بعض غالة الشيعة، فالرجعة من أنواع المعاد الجسماني، أما معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول، وليس كذلك المعاد الجسماني، فإن معناه رجوع نفس البدن الأول بمشخصاته النفسية فكذلك الرجعة، وإذا كانت الرجعة تنساخاً فإن إحياء الموتى بيد عيسى عليه السلام يعد تناسخاً.^(٢)

١ - عقائد الإمامية - عقيدة ٢٢ - ص ١٠٨ .

٥٧ - المصدر السابق - ص ١٠٣ .

والرجعة غير الغيبة التي قالت بها بعض فرق الشيعة، فيذكر النويختي أن الحربية - وهي فرقة من الكنسانية - زعموا ابن محمد أن الحنفية لم يمت، ولكنه الله غيبة في جبل رضوى بين أسددين ونمران، تؤنسه الملائكة ويحرسه النمران، وفي إقامة ابن الحنفية غيبته يقول الشاعر المشهور بكثيررغزة^١

ولا الحق أربعة سواء
هم الأسباط ليس لهم خفاء
وسبط غيبته كربلاء
يقود الخيال يقدمها اللواء
برضوى عنده عسل وماء
 إلا أن الأئمة من قريش
على والثلاثة من بنىه
فسبط إيمان وبر
وسبط لا يذوق الموت حتى
يفيб لا يرى فيهم زمانا
ويقول الشاعر بن مفرغ الحميري :

وحتى متى تخفض وأنت قريب
وكنيه نفسى عليك تذوب
منا النفوس بأنه سيئوب^(١)
يا شعب رضوى ما ملن يك يدى
يابن الوصى وباسمى محمد
لو غاب عنا عمر نوح أيقنت

فالواضح من التفسير السابق للغيبة أن المغيب لم يمت أما الرجعة فإن صاحبها قد مات ولكن الله سبحانه وتعالى سيعيده للحياة مرة أخرى.

ونحن كأهل سنة مؤمنين بالله وقدرته فهو الذي يقول للشىء كن فيكون، فلا تنكر أن الرجعة مستحيلة عليه سبحانه وتعالى ولكننا فقط نفتقد إلى النص القرآني أو الحديث النبوي الذي يلزم بصحتها.

وعلى كل حال فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها - كما جاء على لسان الشيخ محمد المظفر - وإنما اعتقادنا بما تبعا للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب، وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، ولا يمتنع وقوعها.^(٢)

١ - فرق الشيعة ص ٤١، ٤٢، ص ٤٣.

٢ - المصدر السابق - ص ٦٠٦.

■ المهدى المنتظر:

يقول صاحب عقائد الإمامية عن فكرة المهدى المنتظر (وليس هى بالفكرة المستحدثة عند الشيعة وإنما دفع إليها انتشار الظلم والجور، فحملوا بظهور من يطهر الأرض من رجس الظلم، كما يريد أن يصورها بعض المغالطين غير المنصفين.

ولولا ثبوت (فكرة المهدى) عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجه عرفها جميع المسلمين وتشعبت في نفوسهم واعتقدوها لما كان يمكن مدعو المهدية في القرون الأولى لكيسانية والعباسيين وجملة من العلوبيين وغيرهم، من خدعة الناس واستغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والسلطان، فجعلوا ادعاءهم المهدية الكاذبة طريقاً للتأثير على العامة وبسط نفوذهم عليها^(١)

والمصلح المهدى عند الإمامية هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هـ ولا يزال حيا، وهو ابن الحسن العسكري وأسمه محمد وهو الإمام الثاني عشر.^(٢)

وقول الإمامية هذا هو نفس قول الكيسانية في محمد بن الحنفية، فقد ذكرنا أنهم قالوا بغيته وأنه لم يمت، وأضافوا أنه هو المهدى المنتظر، وفي هذا قال الشاعر كثير عزة :

مامت يا مهدى يا ابن المهدى أنت الذى يرضى به ويرتجى
أنت ابن خير الناس من بعد النبي أنت إمام الحق لسنا نمترى^(٣)

ويذكر التوبختي أنه (لما توفي أبو جعفر سنة ١١٤ هـ افترقت أصحابه فرقتين، فرقة منها قالت بإمامية محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.. وادعوا أنه القائم المهدى. وأنه الإمام وقالوا هو حتى ولم يمت ومقيم بجبل يقال له العلمية وهو الجبل الذي في طريق مكة نجد، الحاضر من يسار الطريق وأنت ذاذهب إلى مكة فهو عندهم مقيم فيه حتى يخرج لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : القائم المهدى اسمه اسمى، وأسم أبيه أسم أبي)^(٤)

وعلى هذا نجد أن كل فرقة من فرق الشيعة كانت تتقول بغيثة إمامها وأنه هو المهدى

١ - عقائد الإمامية - عقيدة رقم ٢١ - من .٩٩

٢ - المصدر السابق - من .١٠٠

٣ - التوبختي - فرق الشيعة من .٤١، من .٧٦

٤ - المصدر السابق من .٧٤٦

الذى سيعود ليملأ الأرض عدلاً بعدها ملئت ظلماً وجوراً، لذا فمن الصعب تحديد شخصية المهدى حتى عند الشيعة أنفسهم. وعلى كل حال فالخلاف هنا ليس بالخلاف الجوهرى فإذا كان أهل السنة يؤمنون بالمهدى دون تحديد لشخصه فإن إخواننا من الشيعة يحددون اسمه نسأل الله تعالى أن يجعل لنا في ظهوره أيا كان هو لينتشل الإسلام والمسلمين من الحالة التى وصلوا إليها. آمين.

■ رأى الشيعة في الصحابة :

للشيعة وجهة نظر خاصة في الصحابة وفيما نقل عنهم من أحاديث نبوية شريفة ومن آثار، فتارة يعيرون في الصحابة طريق، وتارة أخرى يحاولوا تسفيه، ما روى عنهم من أحاديث سواء بعدم معقولية الحديث أو بمحاولة وضع ما ينافق ما روى عنهم ليصلوا في النهاية أنه لا يحديث صحيح إلا ما روى عن آل البيت طريق.

وعلى سبيل المثال يذكرون الواقعة التي جرت بن السيدة فاطمة وأبي بكر الصديق طريق عندما طالبته بميراث أبيها طريق فحذثها أبو بكر بحديث الرسول طريق (نحن عشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) فكذبتها في نسبة هذا الحديث لأبيها وعارضته بكتاب الله، وأشتدت النزاع والخلاف حتى ماتت وهي غاضبة عليه هاجرة لا تكلمه.

كذلك اختلف عائشة أم المؤمنين مع أبي هريرة طريق في الذي يصبح جنباً في رمضان، فكانت ترى صحة صيامه، بينما يرى أبو هريرة أن من أصبح جنباً أصبح مفطرًا.

وكذلك يسخرون من حديث فقاً موسى عليه السلام عين بملك الموت عندما جاء ليقبض روحه. وغير هذا كثير.

أما بالنسبة لمعارضة حديث (نحن عشر الأنبياء لا نورث) . وأن هذا خلاف لقوله تعالى - في قصة زكريا طريق خفتُ المولىَّ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ أَمْرَأَيِّنَا فَهَبْتُ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَيْتَا ﴿٦﴾ يَرِتُّ وَيَرِثُ مِنْ أَهْلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبَّ رَضِيَّا^(١) فالرد على هذا

غایة في السهولة، فذكرها خشى من عصبته أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً فسأل الله ولداً يكوننبياً من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه فأجيب في ذلك وليس كما قد يقال إنه خشي من وراثة مواليه أو عصبته ماله، فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدرًا من أن يشقق على حاله إلى هذا الحد وأن يأنف من ورائه عصبته ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم وهذا وجه.

والثاني - أنه لم يذكر أن زكريا كان ذا مال بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالاً ولا سيما الأنبياء فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا.

فالليزان هنا محمول على ميزان النبوة ولهذا قال (ويرث من آل يعقوب) قوله (ورث سليمان داود) أي في النبوة، إذ لو كان في المال لما خص داود من بين إخوانه بذلك وما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها وكذلك المشهور عن يحيى - ابن زكريا - ويعسى عليهم السلام أنه لم يكن لهما أموال ولا منازل يأويان إليها، وإنما كانوا سياحين في الأرض ، ومن الدليل أيضاً على أن يحيى لم يرث مالاً، أن يحيى عليه السلام، دخل بيته المقدس، وهو غلام صغير فكان يخدم فيه، ثم اشتد خوفه، فساح في الأرض ولزم أطراف الجبال^(١) فكل ما سبق يستقيم مع صحة الحديث الذي رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولا يبقى للاحتجاج وجه.

أما عن الخلاف بين السيدة عائشة رضي الله عنها وبين أبي هريرة رضي الله عنه في صيام من يصبح جنباً، فإليك الحديث كاملاً (عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هاشم، أنه سمع أبي بكر بن عبد الرحمن بن هشام يقول : كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم، وهو أمير المدينة، فذكر له أن أبي هريرة يقول : من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم. فقال مروان : أقسمت عليك يا عبد الرحمن لتذهبين إلى أمي المؤمنين عائشة وأم سلمة. فتسألنهما عن ذلك. فذهب عبد الرحمن وذهب معه. حتى دخلنا على عائشة. فسلم عليها، ثم قال : يا أم المؤمنين إننا كنا عند مروان بن الحكم، فذكر له أن أبي هريرة يقول من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم. قالت عائشة : ليس كما يقول أبو

١ - انظر تفسير القرآن العظيم لأبن كثير - ج ٢ - ص ١٠٨ .١٠٩ وكذلك تأويل مختلف الحديث لأبن قتيبة - ص ٢٠٠ .٢٠١.

هريرة: يا عبد الرحمن. أترغب عما كان رسول الله ﷺ يصنع؟ فقال عبد الرحمن لا والله. قالت عائشة فأشهد على رسول الله ﷺ أنه كان جنباً من جماع، غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم، قال: ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة. فسألها عن ذلك، فقالت مثل ما قالت عائشة. قال: فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم.. فذكر له عبد الرحمن ما قالت. فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا محمد لتركين دابتي، فإنها بالباب. فلتذهب إلى أبي هريرة. فإنه بأرضه بالعقيق. فلتخبرنه ذلك، فركب عبد الرحمن، وركبت معه. حتى أتينا أبا هريرة، فتحدث معه عبد الرحمن مانعه. ثم ذكر له ذلك. فقال له أبو هريرة: لا علم لي بذلك إنما أخبرنيه مخبر وفي رواية قال: كذلك حدثني الفضل بن عباس، وهو أعلم.^(١)

وهذا الحديث ليس دليلاً يطعن به على أبي هريرة عليه السلام بل أنه في صالحه، فلو كان يروي الأكاذيب على رسول الله ﷺ لما تراجع عن موقفه بعدها سمع من عائشة وأم سلمة وهن الأقرب للرسول في هذه الخصوصية بالذات، ولما ذكر أنه سمع هذا الحديث عن الفضل بن عباس، فهو إذن أقر ولم ينكر، هذا من ناحية، ومن أخرى فإن أبا هريرة صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثة سنين، وأكثر الرواية عنه وعمره بعده نحو من خمسين سنة. وكانت وفاته سنة تسع وخمسين، وفيها توفيت أم سلمة، زوج النبي ﷺ وتوفيت عائشة رضي الله عنها قبلها بسنة. فلما أتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين إليه، اتهموه، وأنكروا عليه، وقالوا كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة رضي الله عنها أشرهم إنكاراً عليه، لتطاول الأيام بها وبه. كان أبو هريرة يخبرهم بأنه كان الأكثر ملازمة للرسول ﷺ حيث أنه كان فقيراً معدماً ولم يكن يشغله عن الرسول ﷺ تجارة ولا زرع، فعرف ما لم يعرفوا، وحفظ ما لم يحفظوا فعند ذلك أمسكوا عنه، وكان مع هذا يقول: قال رسول الله ﷺ كذا، وكان يقصد أنه إنما سمعه من الثقة عنده فحكاه، وكذلك كان يفعل ابن عباس، وغيره من الصحابة، وليس في هذا كذب ولا على قائله جناح.^(٢)

١ - موطاً مالك كتاب الصوم. - ٤ - باب ما جاء في صيام الذي يصبح جنباً في رمضان، وصحيح البخاري في ٣٠ - كتاب الصوم.

٢٢ - باب الصائم يصبح جنباً وصحيح مسلم ١٢ - كتاب الصيام، ١٢ - باب صحة صوم من طلوع عليه الفجر وهو جنب.

٢ - انظر - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٤١ - ٢٨.

وعن حديث موسى عليه السلام وفقاً عن مالك الموت، وسخرية الشيعة من هذا الحديث وممن رواه نجد أنه من الأصوب أن نبدأ بنص الحديث ثم نوضحه : (فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : جاء ملك الموت إلى موسى - عليه السلام - فقال له : أجب ربك ، قال : فلطم موسى عليه السلام - عين ملك الموت ففتقها ، قال : فرجع الملك إلى الله تعالى ، فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، وقد فقاً عيني ، قال : فرد إليه عينه ، وقال (ارجع إلى عبدي ، فقل : الحياة تريده ؟ فإن كنت تريدين الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شعره ، فإنك تعيش بها سنة ، قال : ثم مه ؟ قال ثم تموت ، قال : فالأآن من قريب ، رب أمنتني من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : والله لو أني عنده لأريكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر .)^(١)

وهذا الحديث إذا أمعنا النظر فيه نجد أن ما قاله الشيعة عنه ليس ذا محل ، فتحن لا نعلم كنه الملائكة ولا أشكالها إلا ما وصل إلينا عن طريق القرآن والسنة ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى للملائكة من الاستطاعة أن تمثل في صور مختلفة ، وأتى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي ، وفي صورة أعرابي ، ورأه مرة قد سد بجناحيه الأفقيين . وقد قال رب العزة : ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا وَحَافَتْمَلَ لَهَا بَشَّرَاسَوْيَا﴾^(٢) قال إني أعود بالرحمن منك إن كنت تقينا^(٣) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهْبَلِكِ غَلَّمَارَ كَيْنَاه﴾^(٤) فهنا جاء جبريل عليه السلام للسيدة مريم العذراء على صورة إنسان كامل ، فلما كان بينها وبين قومها حجاب خافتة وظلت أنه يريدها على نفسها ، فذكرته بالله تعالى وخوفته به سبحانه ، وكان هذا رد فعل السيدة مريم العذراء لأنها أنتي^(٥) أما بالنسبة لموسى عليه السلام فإنه لما رأى ملك الموت - وقد تمثل له رجلاً - دافع عن نفسه وقوة سيدنا موسى عليه السلام معلومة للجميع ، مما أدى إلى فقاء عين ملك الموت التي رُكِبت في الصورة البشرية التي جاء فيها ، دون الصورة الملكية ، ولما كان

١ - صحيح مسلم - في ٤٢ كتاب الفضائل ، ٤٢ - باب فضائل موسى وصحيح البخاري في ٢٢ - كتاب الجنائز ، ٦٩ - باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة .

٢ - سورة مريم الآيات ١٩ ، ١٨ ، ١٧ .

٣ - انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، وتفسير ابن كثير . ج ٤ - ص ١١٢ ، ١١٣ .

الملك لا يتحول من صورته إلى صورة أخرى إلا بأذن الله وأمره، فقد أعادها الله إليه، وعندما عاد إلى موسى، مرة أخرى وعلم موسى أنه ملك الموت لم يقاومه بل قال هل الآن، فأي غرابة إذن في هذا الحديث ؟

ولنسأل أحد شيوخ إخواننا الشيعة ماذا تفعل لو وجدت في بيتك رجلاً غريباً يريد أن يزهق روحك، هل ستقاوم أم ستتركه يفعل ما يشاء ؟

لم يقف إخواننا الشيعة إلى هذا الحد بل كفروا الصحابة وجعلوهم من أصحاب المعاشرى ما عدا على وأبى ذر، والمقداد، وسلمان وعمار بن ياسر، وحذيفة، وذلك بتأويلهم حديث الحوض بصورة أظهرت الصحابة عليهم السلام بهذه الصورة وإليك نص الحديث: قال رسول الله ﷺ (أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن معى رجل منكم، ثم ليختلجن دونى، فأقول : يارب، أصحابى، فيقال : إنك لا تدرى ما أحذثوا بعدك)^(١)

ومعنى (أنا فرطكم على الحوض) أي سابقكم إليه، لأصلحه وأهيئه لكم، (وليرفعن رجل منكم) أي ليظهر له رجل حتى يراهم بعينه (ثم ليختلجن) أي يجتذبون ويقطّعون مني (فأقول : يارب أصحابى) أي من أمتى (فيقال : إنك لا تدرى ما أحذثوا بعدك) أي من الردة عن الإسلام أو من المعارضة.

وبعد، يمكن الرد بكل سهولة على مزاعم الشيعة، يقول ابن قتيبة : إنهم لو تدبّروا الحديث، وفهموا ألفاظه، لاستدلوا على أنه لم يرد بذلك إلا القليل. بذلك على ذلك أنه قد كان يشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد ويحضر معه المغازي المنافق يطلب الغنيمة، والرفيق الدين، والمرتب، والشاك، وقد أرتد بعده أقوام، منهم عبيبة بن حصن، ولحق بطليحة بن خوبلد، حين تنبأ وأمن به، فلما هزم طلحة، فأسره خالد بن الوليد، وبعث به إلى أبي بكر رضى الله عنه فـى وثاق، فقدم به المدينة فجعل غلام المدينة يتحسونه بالجريدة، ويضربونه ويقولون أى عدو الله، كفرت بالله بعد إيمانك. فيقول عدو الله: والله ما كنت آمنت. فمثل هذا يصح عليه هذا الحديث، ولعيينة بن حصن أشياه، ارتدوا حين ارتدت العرب فمنهم من رجع وحسن إسلامه، ومنهم من ثبت على النفاق، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِّنْ أَلْأَعْرَابِ مُّنَفِّقُونَ وَمَنْ أَهْلَ

١ - صحيح البخاري في ٨١ كتاب الرقاق - ٢٥ - باب في الحوض.

الْمَدِينَةُ مَرْدُوا عَلَى الْتَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُنَّ حَنْ نَعْلَمُهُمْ^(١) فهؤلاء الذين يختلجون دونه. وأما جميع أصحابه فكيف يختلجون؟ وقد تقدم قول الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بِنَفْسِهِمْ﴾^(٢) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يَبْعُونَكُمْ حَتَّى الشَّجَرَةِ﴾^(٣) فكيف يجوز أن يرضي الله عز وجل على أقوام، ويحمدهم ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ^(٤)

وبعد هذا العرض لا نستطيع أن ننكر فضل الصحابة رضوان الله عليهم ولا أن نعرض عن اتباعهم، فالأدلة على وجوب اتباعهم كثيرة ولها أسانيدها، وقد استدل ابن القيم الجوزية بست وأربعون دليلاً على وجوب اتباع الصحابة من القرآن والسنة والعقل، والآن لننجو قليلاً مع ابن القيم لبيان فضائل الصحابة ومدح الرسول ﷺ لهم مما يدل على وجوب اتباعهم.^(٥)

ومن الأدلة على وجوب اتباع الصحابة قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَنَّتِ تَحْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾^(٦) فلا شك في أن هؤلاء من الصحابة وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على من اتبعهم.

ويضيف ابن القيم، أنه لابد أن يحسن المتابع لهم القول فيهم، ولا يقدح فيهم، وذلك لعلمه بأن سيكون أقوام ينالون عنهم وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ نَقُولُونَ رَبِّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَاخُونَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا يَجْعَلُ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ أَمْنَوْا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٧) ويقول تعالى ﴿أَتَيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْنُ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٨) هذه قصة الله سبحانه

١ - سورة التوبة - آية ١٠١.

٢ - سورة الفتح - آية ٢٩.

٣ - سورة الفتح - آية ١٨.

٤ - تأويل مختلف الحديث ص ٢٢٥ - ٢٢٢.

٥ - حول هذه الأدلة انظر - إعلام المؤمنين عن رب العالمين لابن القيم - ج ٤ - من ٦٦ حتى من ٩٤.

٦ - سورة التوبة - آية ١٠٠.

٧ - سورة الحشر - آية ١٠.

٨ - سورة يس - آية ٢١.

وتعالى عن صاحب يسّ، وكل واحد من الصحابة لم يسألنا أجرًا وهم مهتدون. فالله تعالى يقول: ﴿بِعَصْرٍ وَالَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضْلَلُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١) سبّيلهم ويُصلح بالملم^(٢) وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِي سَبِيلِنَا نَهْدِيهِمْ سُبُّلَنَا﴾^(٣). وكل منهم قاتل في سبيل الله وجاهد إما بيده أو بسانه فيكون الله هداهم، وكل من هداه فهو مهتد فيجب اتباعه بالأية.

ويقول تعالى ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ﴾^(٤) وكل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل على انهم منيبون إلى الله تعالى أن الله تعالى قد هداهم وقد قال ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٥).

ويقول تعالى: ﴿فَقُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَذْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَبَعَنِي﴾^(٦) فأخبر تعالى أن من اتبع الرسول ﷺ يدعو إلى الله، ومن دعا إلى الله على بصيرة وجب اتباعه، لقوله تعالى فيما حكاه عن الجن ﴿يَقُولُونَ مَا يُجِبُوا أَدَعِيُّ اللَّهَ وَإِمْرَأَهُ﴾^(٧) ولأن من دعا إلى الله على بصيرة فقد دعا إلى الحق عالمًا به ، والدعاء إلى أحكام الله دعاء إلى الله لأنّه دعاء إلى طاعته فيما أمر ونهى، وإذا فالصحابة رضوان الله عليهم قد اتبعوا الرسول ﷺ فيجب اتباعهم إذا دعوا إلى الله.

ويقول تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ لَهُوَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنَا﴾^(٨) قال ابن عباس هم أصحاب محمد ﷺ والدليل عليه قوله: ﴿شَمْ أُرْثَانَا الْكِتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٩) وحقيقة الاصطفاء افتعال من التصفيّة، فيكون قد صفاهم من الأكدار، والخطأ من الأكدار، فيكونون مصفين منه، فلا يكون قول بعضهم كدرا ، لأن مخالفته الكدر، وبيانه يزيل كونه كدراً بخلاف ما إذا قال بعضهم قوله ولم يخالف فيه، فلو كان قوله باطلًا ولم يرده راد لكان حقيقة الكدر، وهذا لأن خلاف بعضهم لبعض بمنزلة متابعة النبي ﷺ في بعض أموره، فإنها لا تخرجه عن حقيقة الاصطفاء.

١ - سورة محمد - آية ٤، ٥.

٢ - العنكبوت - آية ٦٩.

٣ - سورة لقمان - آية ١٥.

٤ - سورة الشورى - آية ١٣.

٥ - سورة يوسف - آية ١٠٨.

٦ - سورة الأحقاف - آية ٢١.

٧ - سورة النمل - آية ٥٩.

٨ - سورة فاطر - آية ٣٢.

والله تعالى قد شهد لهم بأنهم أتوا العلم بقوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ﴾^(١) وقوله: ﴿فَحَنِّي إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ فَالْأُولَاءِ الَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ مَاذَا أَقَالُ إِنَّا نَفَاهُ﴾^(٢) وقوله: ﴿فَيَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ رَجْحَتْ حَتَّىٰ الْلَّامَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٣) (العلم) ليست للاستغراف، وإنما هي للعهد، أي العلم الذي بعث الله به نبيه ﷺ، وإذا كانوا قد أتوا هذا العلم كان اتباعهم واجباً.

ويقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٤) فقد شهد الله لهم بأنهم يأمرنون بكل معرفة وينهون عن كل منكر، ولو كانت الحادثة في زمانهم لم يفت فيها إلا من أخطأ منهم لم يكن أحد منهم قد أمر فيها بمعرفة ولا نهى فيها عن منكر، إذ المسوب معروف بلا شك، والخطأ منكر من بعض الوجوه، ولو لا ذلك لما صاح التمسك بهذه الآية على كون الاجماع حجة، وإذا كان هذا باطلًا علم أن خطأً من يعلم عنهم في العلم إذا لم يخالفه غيره ممتنع، وذلك يقتضي أن قوله حجة.

ويقول تعالى: ﴿هُوَ أَبْيَأُ إِلَيْهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَكُنُوا أَمَّةَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥) قال غير واحد من السلف هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وكل صادق بعدهم يأتى في صدقه، بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم.

ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٦) ووجه الاستدلال بالآية أنه تعالى أخبر أنه جعلهم أمة خياراً عدواً - هذا حقيقة الوسط. فهم خير الأمم وأعد لها في أقوالهم وأعمالهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيمة. والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤهم، ولهذا نوح بهم ورفع ذكرهم وأشى عليهم لأنه تعالى لما اتخذهم شهداء أعلم خلق من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء، وأمر ملائكته أن تصلى عليهم

١ - سورة سبأ - آية ٦.

٢ - سورة محمد - آية ١٦.

٣ - سورة المجادلة - آية ١١.

٤ - سورة آل عمران - آية ١١٠.

٥ - سورة التوبة - آية ١١٩.

٦ - سورة البقرة - آية ١٤٢.

وتدعوا لهم وتستغفروا لهم والشاهد المقبول عند الله هو الذي يشهد بعلم وصدق فيخبر بالحق مستندا إلى علمه بما قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(١) فقد يخبر الإنسان بالحق اتفاقاً من غير علمه به، وقد يعلمه ولا يخبر به ، فالشاهد المقبول عند الله هو الذي يخبر به عن علم، فلو كان علمهم أن يفتى أحدهم بفتوى تكون خطأ مخالفة لحكم الله ورسوله ﷺ سواء اشتهرت فتواه الأولى أو لم تشهر كانت هذه الأمة العدل الخيار قد أطبقت على خلاف الحق، بل انقسموا قسمين فتوى بالباطل وقسمًا سكت عن الحق، وهذا من المستحبيل، فإن الحق لا يدعوهم ويخرج عنهم إلى من بعدهم قطعاً، ونحن نقول من خالف أقوالهم ﴿ لَوْكَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾^(٢).

وحسيناً الآن أن نذكر حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) ^(٣)

وحيث أننا سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أتفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مُد أحدهم، ولا نصيفه) ^(٤)

والحديث هنا يشمل كل الصحابة حتى من حضر الفتنة - أي فتنة على رضي الله عنه ومعاوية - ففي مجال السياسة كان الكل يجتهد، ونحن عندما حلتنا تاريخ الشيعة السياسية لم نكن لننطرق كثيراً للأمور الدينية، فالفتنة أذهلت الجميع بل وشلت تفكيرهم ومن كان يمسى على رأى كان يصبح على رأى آخر، فهوئاء شيعة على رضي الله عنه اسلح منهم الخوارج، وبعدما وافقوا على التحكيم ثم عادوا فرفضوه، وبالنسبة لمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص لا يمكن أن ينكر أحد جهادهما في سبيل الله والفتحات التي تمت على أيديهما فأعزت الإسلام والمسلمين، كما أن ما يثبت من حوادث تاريخية لا نستطيع أن نجزم بصحته كاملاً، فهو لم يتواتر إلينا، وإذا كنا نختلف في صحة

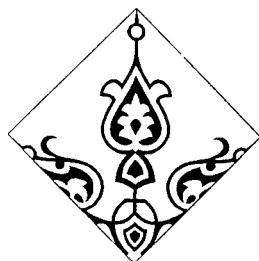
١ - سورة الزخرف - آية .٨٦

٢ - سورة الأحقاف - آية .١١

٣ - صحيح البخاري في ٥٢- كتاب الشهادات، ٩- باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد. و صحيح مسلم في ٤٤- كتاب فضائل الصحابة - باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

٤ - صحيح البخاري في ٦٢- كتابه فضائل أصحاب النبي - ٥- باب قول النبي ﷺ لو كنت متخدًا خليلاً . و صحيح مسلم في ٤٤- كتاب فضائل الصحابة - ٥٤ - باب تحريم الصحابة رضي الله عنهم

ال الحديث النبوى فما بالنا بهذه الأحداث، وعلى كل حال فإن كان أحد صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخطأ فإن هذا لا يدعونا إلى تفكيره وسبه. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (تكفل الله من جاهد في سبيله، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه من أجر أو غنيمة) ^(٩٥) فهؤلاء هم الصحابة الذين عاصروا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاصروا الفتنة الكبرى وهذا هو رأى نبيهم فيهم فلم تخالفه، وفي النهاية لا نملك إلا أن نسأل الله لم شمل المسلمين وأن يبعدهم عن التعصب. وأن يجتمعوا على الكافرين. اللهم آمين.



الجِزْءُ الثَّالِثُ

فرق الشيعة

السبائية

فرقة من غلاة الشيعة ، أتباع عبد الله بن سبأ ، وهو يهودي من أهل صناعة أسلم زمان عثمان ، وإن شئنا الدقة تظاهر بالإسلام ، وعندما اتسعت الهوة بين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) والرعاية أخذ ينتقل في بلاد الإسلام ليضلهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر ، وكان يقول : العجب من يزعم أن عيسى يرجع ويكتذب أن محمداً يرجع وقد قال عز وجل : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ) (القصص : ٨٥) . وكان قد أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وزعم أن علياً ضللهم أمره بذلك فأخذته على وسائله عن قوله هذا فأقر به ، فأمر بقتله ، فصاح الناس إليه : يا أمير المؤمنين أقتل رجلاً يدعوا إلى حبكم أهل البيت ، وإلى ولائك والبراءة من أعدائك ، فتفاه إلى المدائن .

ولما بلغ عبد الله بن سبأ وأصحابه وهو بالمدائن نعى على قال للذى نعاه : كذبت يا عدو الله ، ولو جئتني بدماغه فى سبعين صرة ، وأقمت على قتله سبعين عدلاً ، ما صدقتك ، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعضاه ويملك الأرض .

المختارية

أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي ، اختلفت الآراء حوله ، فيقال إنه كان خارجياً ، ثم صار زبيرياً ، ثم صار شيعياً وكيسانياً ..

قال بإماماة محمد من الحنفية . وهو ابن على بن أبي طالب ، أخو الحسن والحسين غير الشقيق . بعد أمير المؤمنين على ضلالته ، وقيل لا ، بل بعد الحسن والحسين ضلالته ، فكان

يدعو الناس إلى ابن الحنفية ، وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته ، وقد ذاعت شهرة المختار بأمررين ، أحدهما : انتسابه إلى محمد بن الحنفية علما ، ودعوة ، والثاني: قيامه بثار الحسين بن علي عليهما السلام واحتلاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين .

ومن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى ، وهو يعني أن يريد الله أمرا ، ثم يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، وقد قال بالبداء لأنه كان يدعى علم ما سيحدث ، إما بمحى يوحى إليه ، وأما برسالة من قبل الإمام ، فإذا وافق الحديث تتحققه جعله دليلا على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم ، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء ، قال : إذا جاز النسخ في الأحكام ، جاز البداء في الأخبار .

وأغلب الظن . عندنا . أن معظم الأقوال التي نسبت إلى المختار هي أقوال الكيسانية نسبة إلى كisan رئيس شرطته حيث كان يعتمد عليهم . وهم من الموالى . في الثأر لدم الحسين ومحاولة بناء دولة شيعية إلى أن قتله أشراف الكوفة . لاستعماله الموالى وتعلية شأنهم . بمعونة مصعب بن الزبير ، وكان ذلك سنة ٦٧ هـ .

الكيسانية

اختلف في رأس هذه الفرقة ، فيقال إنه كisan ، مولى أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد تلمذ للسيد محمد بن الحنفية ، وقيل إنه لقب المختار بن أبي عبيد الذي ينتمي إليه المختارية ، وإنما لقب بذلك بصاحب شرطته المكتن بأبي عمرة ، وكان اسمه كisan ، والراجح عندنا أنهم أتباع كisan صاحب شرطة المختار ، حيث كان معظم جنود المختار من الموالى المتشييعين ، ويقاد مذهب المختارية يتفق مع الكيسانية ، والبعض يدرج المختارية ضمن الكيسانية ، وكان كisan هذا أشد إفراطا في القول والفعل والقتل من المختار ، فكان يكفر من تقدم علينا ، ويكرف أهل صفين والجمل ، وكان المختار لا يكفر علينا ، ويكرف أهل صفين وأهل الجمل ، وكان كisan يزعم أن جبريل عليه السلام يأتي المختار بالوحى من عند الله عز وجل ، فيخبره ولا يراه ، وكانوا يدعون

أن محمد بن الحنفية غيبة الله في جبل رضوى بين أسددين ونمرين تؤنسه الملائكة ويحرسه التمران ، ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن الشاعر المشهور بكثير عزة :

ولاة الحق أربعة سواء
هم الأسباط ليس فيهم خفاء
وسبط غيبته كربلاء
يقود الخيل يقدمها اللواء
برضوى عنده عسل وماء

ألا إن الآئمة من قريش
على والثلاثة من بنىه
فسبط سبط إيمان وبر
وسبط لا يذوق الموت حتى
يغيب لا يرى فيهم زمانا

الُّكُرْبَيْة

وهم أصحاب أبي كرب ، قالوا إن محمد بن الحنفية هو المهدى ، سماه أبوه على صَلَوةَ الْمَهْدِيِّ مهديا ، ولا يجوز أن يكون هناك مهديان : مهدي في أيام ابن الحنفية ، ومهدي بعد ذلك ، وإنما المهدى هو واحد ، وهو ابن الحنفية ، ولكنه غاب ، ولا يدرى أحد أين هو ، ولم يمت ولا يموت ، وسيرجع ويملك الأرض ، ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه .

الحُمَزِيَّة

أصحاب حمزة بن عمارة البربرى ، وهم من الكيسانية ، وكان حمزة من أهل المدينة ، فارقهم وادعى أنه نبى ، وأن محمد بن الحنفية هو الله تعالى . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وأن حمزة . وهو النبي . ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويفملكونها ، فتبعد على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة ، فلعن أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، وبرئ منه وكذبه ، وبرئت منه الشيعة ، وتبعه رجالن يقال لأحدهما صائد النهدى ، وللآخر بيان بن سمعان .

الصَّائِدِيَّة

وهم أصحاب صائد النهدى تبعوا قول حمزة (انظر الحمزية) .

البيانية

أتباع بيان بن سمعان التميمي ، وكان تبناها يتبنا التبن بالكوفة ، قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه ، وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين على عليه السلام قال : حل في على جزء إلهي ، واتحد بجسده ، وبه كان يعلم الغيب ، ويخبر به عن الملاحم ، ويحارب به الكفار ، وبه قلع باب خير .

وقال في تفسير قوله تعالى : (هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِنَ الْغَمَامِ) (البقرة : ٢١٠) أراد به عليا ، فهو الذي أتى في الظلل ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه .

ثم ادعى بيان : أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهي ، بنوع من التناسخ ، ولذلك استحق أن يكون : إماما و الخليفة ، وذلك الجزء هو الذي استحق أن يكون به آدم عليه السلام سجود الملائكة ، وزعم أن معبوده على صورة إنسان : عضوا فعضوا ، وجزءا فجزءا ، وقال : يهلك كله إلا وجهه ، لقوله تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ) . (القصص : ٨٨) .

الحرية حـ ٤٤

من الكيسانية ، وهم أصحاب عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي ، وهم يقولون بالتناسخ ، بمعنى أن روح الله صارت في النبي صلوات الله عليه وسلم ، وروح النبي صلوات الله عليه وسلم صارت في على ، وروح على صارت في الحسن ، وروح الحسن صارت في الحسين ، وروح الحسين صارت في محمد بن الحنفية ، وروح ابن الحنفية صارت في ابنه هاشم ، فهو الإمام إلى خروج محمد بن الحنفية ، ويزعمون أن الصلاة في اليوم والليلة خمس عشرة صلاة ، وكل صلاة سبع عشرة ركعة ، وكلهم لا يصلون !

الهاشمية

قالوا إن محمد بن الحنفية مات ، والإمام بعده عبد الله ابنه ، وكان يكنى أبا هاشم ، وهو أكبر ولده ، وإليه أوصى أبوه ، وقد أفضى إليه أسرار العلوم ، وأطلعه على مناهج

تطبيق الأفاق على الأنفس ، وتقدير التنزيل على التأويل ، وتصوير الظاهر على الباطن .. و قالوا إن المنتشر في الأفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنساني ، وهو العلم الذي استثار به على (رضي الله عنه) ابنه محمد بن الحنفية ، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم ، وكل من اجتمع فيه هذا العلم ، فهو الإمام حقا .

واختلفت بعد أبي هاشم شيعته خمس فرق :

. فرقة قالت مثل قول الكيسانية في أخيه : بأنه المهدى ، وأنه حى لم يمت ، وأنه يحيى الموتى ، وغلوا فيه .

. فرقة قالت : إن أبي هاشم مات . منصرفًا إلى الشام . بأرض الشراة (أي الخوارج) وأوصى إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (وهو والد السفاح أبي جعفر المنصور الخليفين) وانحسرت في أولاده الوصية ، حتى صارت الخلافة إلى بنى العباس . قالوا : ولهم في الخلافة حق ، لاتصال النسب ، وقد توفي رسول الله (ص) وعمه العباس أولى بالوراثة .

. وفرقة قالت : إن الإمامة بعد موت أبي هاشم لابن أخيه : الحسن بن على بن محمد بن الحنفية .

. وفرقة قالت : لا ، بل إن أبي هاشم أوصى إلى أخيه : على بن حمزة ، وعلى أوصى إلى ابنه : الحسن ، فالإماماة عندهم في بنى الحنفية : لا تخرج إلى غيرهم .

. وفرقة قالت : إن أبي هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي (رأس فرقة الحربية) ، وإن الإمامة خرجت من أبي هاشم إلى عبد الله ، وتحولت روح أبي هاشم إليه والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة ، فاطلع بعض القوم على خيانته ، وكذبه ، فأعرضوا عنه ، وقالوا : بإماماة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

الحارثية

فرقة من الشيعة الهاشمية ، وهم أصحاب عبد الله بن الحارث ، وكان ابن الحارث هذا من أهل المدائن ، وهم كلهم غلاة يقولون : من عرف الإمام فليصنع ما شاء ، وزعموا أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مات وتحولت روحه إلى عبد الله بن الحارث . (انظر : المعاوية)

المعاوية

من الشيعة الهاشمية ، وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن معاوية كان يطالب بالخلافة نحو سنة ١٢٧ هـ ، وبایع له أهل الكوفة ، وقيل إنه قتل بأمر أبي مسلم الخراساني ، وهم يزعمون أن أبو هاشم بن محمد بن الحنفية أوصى إليه ، وكانوا يقولون بالتناسخ ، وأن روح الله كانت في آدم حتى صارت في عبد الله بن معاوية ، وزعموا أن الدنيا لا تنتهي أبداً ، واستحلوا الزنا ، وإتيان الرجال في أدبارهم ، ومنهم من قال إن عبد الله بن معاوية حي لم يمت ، وأنه يقيم في جبال أصبهان ، وقالوا إنه هو المهدى المنتظر .

العباسية

فرقة من الكيسانية الهاشمية ، قالوا : أوصى أبو هاشم عبد الله بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (والد السفاح وأبو جعفر المنصور الخليفتين) ، لأنه مات عنده بأرض الشراة (الخوارج) بالشام ، وأنه دفع إليه الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله بن عباس ، وذلك أن محمد بن علي كان صغيراً عند وفاة أبي هاشم ، وأمره أن يدفعها إليه إذا بلغ ، فلما أدرك دفعها إليه ، فهو عندهم الإمام ، وهو العالم بكل شيء ، فمن عرفة فليصنع ما يشاء ، ويقال إنهم غلاة الرواندية ، ومن الرواندية فرقة تسمى الأبا مسلمية ، والخرمية ، والهريرية .

الرياحية

لم توفي أبو هاشم عبد الله بن محمد الحنفية ، افترق الهاشمية من بعده عدد فرق ،

فرقة قالت : إنه أوصى إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (الذى طلب الخلافة نحو سنة ١٢٧هـ) وسميت فرقته المعاوية ، وفرقه قالت : إنه أوصى إلى محمد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (والد السفاح وأبو جعفر المنصور وأبا هاشم) ، فاختصم أصحاب عبد الله بن معاوية وأصحاب محمد بن على في وصية أبي هاشم ، فرضوا برجل عنهم يكنى بأبي رياح ، وكان من رؤوسهم وعلمائهم ، فشهد أن أبو هاشم أوصى محمد بن على ، فرجع جل أصحاب عبد الله بن معاوية إلى القول بإماماة محمد بن على ، وقويت الرواثية بهم ، فهؤلاء يدعون الرياحية من الرواثية .

الرواندية

من الشيعة العباسية ، نسبة إلى عبد الله الرواثي ، وقد قصرروا الإمامة في ولد العباس ، وهم عدة فرق : الأبا مسلمة أصحاب أبي مسلم الخراساني الذي لعب الدور الأكبر في تأسيس الدولة العباسية ويسميهم النوبختي الخرمدينية ويرجع إليهم فرقة الخرمية ، وتفرع منهم كذلك الرزامية أتباع درزام بن رزم ، والهريرية أصحاب أبي هريرة الرواثي وهم العباسية الخلص .

وقالت الرواندية إن الإمام عالم بكل شيء ، وهو الله . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا . يحيى ويميت ، وشهادوا أن المنصور هو الله . جل الله وتعالى عن ذلك علوًا كبيرا . وأنه يعلم سره ونجواهم ، وأعلنوا القول بذلك فاستتابهم ، وأمرهم بالرجوع ، فأبوا أن يرجعوا ، وقالوا المنصور ربنا ، وهو يقتلنا شهداء كما قتل من أنبيائه ورسله وأوليائه على يدى من شاء من خلقه .

المنصورية

من غلاة الشيعة ، وهم أصحاب أبو منصور العجل ، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد بن على بن الحسين ، فلما تبرأ منه أبو جعفر وطرده زعم أنه هو الإمام ، ودعا الناس إلى نفسه ، ولما توفى أبو جعفر ، قال : انتقلت الإمامة إلى أيضًا وظاهرة بذلك . وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بنى كنده ، حتى وقف يوسف بن عمر الثقفي

والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وحيث دعوه ، فأخذه وصلبه وكان أبو منصور أميا لا يقرأ ، وادعى أن الله عز وجل عرج به إليه ، وأدناه منه ، وكلمه ومسح بيده على رأسه ، ثم قال له : (أى بنى) وذكر أنه نبى رسول ، وأن الله اتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا .. وكان المنصور خنانا يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ، وجعل لهم خمس ما يأخذون من الغنيمة ، ويقول : من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه .. وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه بالوحى من عند الله عز وجل ، وأن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا بالتنزيل وبعثه (يعنى نفسه) بالتأويل ، وأن منزلته من رسول الله ﷺ منزلة يوش بن نون من موسى بن عمران .

وزعمت المنصورية أن آل محمد هم السماء ، والشيعة هم الأرض ، وزعموا أن قول الله (إِنَّ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) (الطور : ٤) أنه يريد الذين لا يؤمنون بالعيان من المغيرة ، وزعموا أن الكسف الساقط هو أبو منصور ، وزعمت المنصورية أن أول خلق خلقه الله عيسى ، ثم على بن أبي طالب . واستحلوا جميع ما حرم الله ، وقالوا لم يحرم الله علينا شيئاً تطيب به أنفسنا وتقوى به أجسادنا ، وقالوا بمقالة المجروس في نكاح الأمهات والبنات ، وأبطلوا المواريث والطلاق والصلوة والصيام والحج ، وزعموا أن هذه السماء رجال .

فلما قتل أبو منصور افترق أصحابه فرقتين ، فقالت طائفة : الإمام بعده الحسين بن أبي منصور ، وقالت الأخرى : إنما كان منصور مستودعا ، صاحب الأسباط ، ولكن الإمامة في محمد بن عبد الله بن حسن ، وليس له أن يتكلم لأنه الإمام الصامت حتى قيوم الإمام الناطق .

المغيرة

من غلاة الشيعة ، أصحاب المغيرة بن سعيد . ادعى أن الإمامة بعد محمد بن علي بن الحسين في محمد (النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، وادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ، وبعد ذلك

ادعى النبوة لنفسه ، واستحل المحارم ، وغلا في حق على (رضي الله عنه) غلوا لا يعتقد عاقل .

وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، فقال : إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء ، صورته صورة رجل من نور ، على رأسه تاج من نور ، وله قلب تبنيع منه الحكمة ، وزعم أن الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم ، فطار فوقع على رأسه تاجا ، وقال بذلك تأويل قوله تعالى : (سُبْحَانَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ■ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) (الأعلى : ٢ - ١) ، ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه ، فغضب من العاصي ، فعرق ، فاجتمع من عرقه بحران : أحدهما مالح ، والآخر عذب ، والمالح مظلم ، والعذب نير ، ثم اطلع في البحر النير فأبصر ظله ، فانتزع عين ظله ، فخلق منها الشمس والقمر ، وأفني باقي ظله ، وقال : لا ينبغي أن يكون معنى إله غيري . قال : ثم خلق الخلق كله من البحرين ، فخلق المؤمنين من البحر النير ، وخلق الكفار من البحر المظلم ، وخلق ظلال الناس أول ما خلق ، وأول ما خلق هو ظل محمد صلوات الله عليه وظل على ، قبل خلق ظلال الكل ، ثم عرض على السماوات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة ، وهي أن يمنعن على بن أبي طالب من الإمامة ، فأبین ذلك ، ثم عرض ذلك على الناس ، فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل معه ذلك ، وضمن له أن يعينه على الغدر به شرط أن يجعل الخليفة له من بعده ، فقبل منه ، وتعاونوا على منع على من الإمامة ، وذلك تفسير قوله تعالى : (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلَّوْمًا جَهُولًا ×) (الأحزاب : ٧٢) وزعموا أن عمر هو الشيطان في قوله تعالى : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ) (الحشر : ٦١)

وجاء في تاريخ الطبرى أن المغيرة بن سعيد كان ساحرا ، وأنه كان يقول لو أردت أن أحى عادا وتمودا وقرروا بين ذلك كثيرا لأحييهم ، وذكر أن المغيرة كان يخرج إلى المقبرة فيتكلم ، فيرى مثل الجراد على القبور ، وقتلته خالد القسرى حرقا سنة ١١٩ هـ . وبعد قتل المغيرة اختلف أصحابه : فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار إمامه محمد بن عبد الله .

الحسينية

من غلاة الشيعة ، وهم أصحاب الحسين بن أبي منصور ، وقد تنبأوا دعى مرتبة أبيه ، وجبت إليه الأموال ، وتابعه على رأيه ومذهبه بشر كثير وقالوا بنبوته ، وقتل المهدى في خلافته ، وصلبه بعد أن أقر بذلك ، وأخذ منه مالا عظيما ، وطلب أصحابه طلبًا شديدا ، وظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم . (انظر : المنصورية)

الخطابية

من فرق الشيعة الغلاة ، وهم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدى الأجدع مولى بنى أسد ، كانوا يزعمون أنه لابد من رسولين فى كل عصر ، ولا تخلو الأرض منهما ، واحد ناطق وأخر صامت ، فكان محمد (ص) ناطقا ، وعلى (رضى الله عنه) صامتا ، وتأولوا فى ذلك قوله تعالى (ثم أرسلنا رسالنا تترى) (المؤمنون : ٤٤) ثم زادوا فى غلوتهم وقالوا إنهم . أى الأنبياء . آلهة ، وكانوا يقولون بإلهية جعفر بن محمد الصادق ، ولما علم جعفر بهذه المقالة تبرأ من أبي الخطاب ، ولعنه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه ، وبالغ فى التبرؤ منه ، واللعن عليه ، فلما اعتزل ادعى الإمامة لنفسه .

وكان الخطابية يبيحون المحرمات من شرب الخمر والزنا واللواء ، وقالوا من سأله أخوه ليشهد له على مخالفيه فليصدقه ، ويشهد ، فإن ذلك فرض عليه ، وتأولوا على ما استحلوا قول الله عز وجل (يريد الله أن يخفف عنكم) (النساء : ٢٨) ، وقالوا: خفف عنا بأبى الخطاب ، ووضعت عنا الأغلال ، والأصار ، يعنون الصلاة والزكاة والحج والصيام .. فمن عرف الرسول، النبي، الإمام ، فلتحصنه ما يحب .

وتأول الخطابية قول الله تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعِيبَهَا) (الكهف : ٧٩) أن السفينة أبو الخطاب ، وأن المساكين أصحابه ، وأن الملك
الذى وراءهم عيسى بن موسى الخطابى ، وهو الذى قتل أبي الخطاب ، وأن أبي عبد الله
أراد أن يعيينا بلعنه إيانا فى الظاهر ، وفي الباطن يلعن أضدادنا ومن خالفنا . ولما

وقف عيسى بن موسى والى الكوفة على مقالته فتله :

وافترقت الخطابية بعده فرقا :

فرقة قالت إن بزيغا نبى ورسول مثل أبي الخطاب ، أرسله جعفر بن محمد .. وسميت
البزيفية .

وفرقه منهم قالت : السرى رسول مثل أبي الخطاب .

وفرقه زعمت أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له : عمر ، وزعموا أن الدنيا لا
تفنى وتسمى العمارة .

وفرقه زعمت أن الإمام بعد أبي الخطاب : عمير بن بيان العجلى ، وتسمى العميرية أو
العجلىة .

وفرقه زعمت أن الإمام بعد أبي الخطاب مفضل الصيرفى ، ويسمون المفضلية .

البزيفية

من غلاة الشيعة ، وهى إحدى فرق الخطابية التى ظهرت بعد قتل أبي الخطاب محمد
الأجدع الأسدى (انظر : الخطابية) ، وسموا البزيفية نسبة إلى بزيغ الذى زعم أنه
رسول مثل أبي الخطاب أرسله جعفر بن محمد ، وجعله شريك أبي الخطاب فى النبوة
والرسالة كما أشرك الله بين موسى وهارون عليهم السلام ، وزعم البزيفية أن كل ما
يقذف فى قلوبهم فهو وحى ، وتأولوا قول الله تعالى : (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن
الله) (يونس : ١٠٠) أى يوحى إليهم من الله ، وكذلك قوله تعالى : (وأوحى ربك
إلى النحل) (النحل : ٦٨) ، وزعم بزيغ : أن من أصحابه من هو أفضل من جبريل
وميكائيل ، وزعم أن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال له : إنه مات ، ولكن الواحد منهم إذا
بلغ النهاية . قيل : رجع إلى الملائكة ، وادعوا كلهم معاينة أمواتهم وزعموا أنهم يرونهم
بكراً وعشياً .

أصحاب السرى

من غلاة الشيعة ، تفرعوا عن الخطابية بعد قتل أبي الخطاب (انظر : الخطابية) ، وقالوا : إن السرى رسول مثل أبي الخطاب ، أرسله جعفر ، وقال السرى : إنه قوى أمين مثل موسى ، فقد حلت فيه تلك الروح التي كانت في موسى ومعه عصاه وبراهينه ، وزعموا أن جعفر هو الإسلام ، والإسلام هو السلام ، وهو الله عز وجل ، ونحن بنو الإسلام كما قالت اليهود (نحن أبناء الله وأحباؤه) (المائدة : ٧٨) ، وقد قال رسول الله ﷺ لسلمان (سلمان ابن الإسلام) ، فدعوا الناس إلى نبوة السرى ورسالته ، وصلوا وحجوا لجعفر ، ولبوا له ، فقالوا : لبيك يا جعفر لبيك .

المصرية

من الشيعة الغالية ، وهم أصحاب معمراً بن الأحرم ، وقد تفرعوا عن الخطابية بعد قتل أبي الخطاب (انظر : الخطابية) ، وكانوا يقولون إن جعفر بن محمد هو الله عز وجل . وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وإنما هنور يدخل في أبدان الأحياء فيحل فيها ، فكان ذلك النور في جعفر ثم خرج منه فدخل في أبي الخطاب ، فصار جعفر من الملائكة ، ثم خرج من أبي الخطاب فدخل في معمراً ، وصار أبو الخطاب من الملائكة ، وأحلوا الشهوات كلها ، ما حُل منها وما حُرِم ، وقالوا لم يخلق هذا إلا لخليفة فكيف يكون محرباً ، فأحلوا الزنا ، ونكاح الإمهات والبنات والأخوات ، ونكاح الرجال ، ووضع معمراً عن أصحابه غسل الجنابة ، وقال كيف أغتنس من نطفة خلقت منها ، وزعموا أن الدنيا لا تفني ، وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمه وعافية ، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلاية .

المخمسة

من غلاة الشيعة ، وهم أصحاب أبي الخطاب (انظر : الخطابية) ، وإنما سموا المخمسة لأنهم زعموا أن الله عز وجل هو محمد ، وأنه ظهر في خمسة أشباح ، وخمس

صور مختلفة ، أظهر فى صورة محمد ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وزعموا أن أربعة من هذه الخمسة تلبىس لا حقيقة لها ، والمعنى شخص محمد وصورته ، لأنه أول شخص ظهر ، وأول ناطق نطق ، ولم يزل بين خلقه موجوداً بذاته ، يتكون في أية صورة شاء ، يظهر نفسه لخلقه في صور شتى من صور الذكران والإثاث ، والشيخ والشباب ، والكهول والأطفال ، يظهر مرة والدا ، مرة ولدا ، وما هو بوالد ولا بمولود ، ويظهر في الزوج والزوجة ، وإنما أظهر نفسه بالإنسانية والبشرانية لكن يكون لخلقه به أنس ، ولا يستوحشوا ربهم .

العميرية

من غلاة الشيعة ، وهم أصحاب عمير بن بيان العجلى ، وهى إحدى الفرق التي تفرعت عن الخطابية بعد قتل أبي الخطاب (انظر : الخطابية) ، وهم يسمون العميرية أو العجلىة ، وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر بن محمد الصادق ، فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة .

المفضلية

من غلاة الشيعة ، تفرعوا عن الخطابية بعد أبي الخطاب (انظر : الخطابية) وقالوا إن الإمام بعده منضل الصيرفى ، وكانوا يقولون بربوبية جعفر الصادق ، دون نبوته ، ورسالته .

المفوضة

من الشيعة الغالية ، زعموا أن الواحد الأعلى أقام شخصاً واحداً كاملاً ، لا زيادة فيه ولا نقصان ، ففوضوا إليه التدبير والخلق ، فهو محمد ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين . وسائل الأئمة ، ومعناهم واحد ، وأبطلوا الولادات ، وأسقطوا عن أنفسهم

طلب الواحد الأزلى الذى أقام هذا الواحد الكامل الذى فوض إليه وهو محمد ، وأنه الذى خلق السماوات والأرضين والجبال والإنس ، والجن والعالم بما فيه .

العلبائية

من غلاة الشيعة ، أصحاب العلباء بن ذراع الدوسى ، قالوا : إن عليا هو الرب الخالق ظهر بالعلوية الهاشمية ، وأظهر وليه وعبده ورسوله بالحمدية ، فوافقوا المخمسة فى أربعة أشخاص ، شخص على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والحقيقة شخص على ، لأنه أول هذه الأشخاص فى الإمامة ، وأنكروا شخص محمد وذعموا أن محمد عليه السلام عبد على ، وعليا الرب .

الذمية

من غلاة الشيعة ، ذعموا أن عليا هو الذى بعث محمد عليه السلام ، وكانوا يقولون بذم محمد عليه السلام بزعم أنه بعث ليدعوه إلى على فتح فدعا إلى نفسه .

العينية

من غلاة الشيعة ، قالوا بإلهية كل من محمد عليه السلام وعلى فتح به إلا أنهم يقدمون عليا فى أحکام الإلهية ، وكانوا يرمزون لعلى بحرف العين لذا سموا العينية .

الميمية

من غلاة الشيعة ، قالوا بألوهية محمد عليه السلام وعلى فتح به ، ويفضلون محمد فى الإلهية ، وكانوا يرمزون لمحمد عليه السلام بحرف الميم ، فسموا الميمية .

الغرابية

من غلاة الشيعة، وزعموا أن الله سبحانه وتعالى أرسل جبريل بالرسالة إلى على صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنه أخطأ ونزل بالرسالة على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك لقوة الشبه بينه وبين على صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانوا يقولون : كان أشبه به من الغراب بالغراب .

البشيرية

من غلاة الشيعة ، أصحاب محمد بن بشير ، كان يدعى القول بالتوقف على أبي الحسن موسى بن جعفر ، وأن موسى بن جعفر هو الله ، كان ظاهرا بين الخلق يراه الخلق جميعا ، ثم حجب الخلق جميما عن إدراكه . رغم أنه موجود . وأنكروا إماماً أبي الحسن على الرضا ، وكذبوا دعوته في الإمامة ، وادعى محمد بن بشير . ومن تابعه . أنه يرى موسى بن جعفر ولم يحجب عنه ، وأنه يراه في كل وقت ويشفافه بالأمر والنهي ، وادعى النبوة لنفسه ، وأتى بشعوذة كان يستعملها ، وجيئ أحسنتها ، فمالت إليه بذلك طائفة وصدقه وقالوا بنبوته ، فكان يدخل أصحابه البيت ويقول لهم أريكم صاحبكم (يقصد موسى بن جعفر) حيث جسد له تمثلاً يشبهه فكان يطويه وإذا نفخ فيه أقامه ، فيريهم عن طريق هذه الحيلة أنه يكلمه ويناجيه حتى أضل خلقاً كثيراً ، ووافقوا المخمسة والعليائية في الإباحات وتعطيل الفرائض (انظر : المخمسة والعليائية)

السلمانية

فرقة من غلاة الشيعة ، ادعوا التشيع في الظاهر واستبطنوا المجوسيّة ، فزعموا أن سلمان الفارسي هو رب ، وأن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داع إليه لم يزل يظهر نفسه لأهل كل دين.

الأبو مسلمية

من غلاة الشيعة . هم الذين قالوا بإماماً أبو مسلم الخراساني . مؤسس الدولة العباسية . بعد قتله ، وادعوا أنه حى لم يمت ولم يقتل ، ومنهم الرزامية الذين ادعوا

حلول روح الإله في أبي مسلم ، ولهذا أيدوه على بنى أمية ، حتى قتلهم على يد بكرة أبيهم . وقالوا بالإباحات وترك جميع الفرائض ، وجعلوا الإيمان هو معرفة الإمام فقط . وأسماهم التوبختي الخرمدينية ، أي الذين اتخذوا الخرم دينا لهم ، ومنهم البركوكية الذين غالوا في القول في أبي مسلم حتى أنهم قالوا : إنه خيرٌ من جبريل .

البركوكية

من غلاة الشيعة ، غالوا في الاعتقاد في أبي مسلم الخراساني . الذي لعب الدور الأكبر في تأسيس الدولة العباسية . فقالوا إنه حي لم يقتل ، وإن الذي قتله أبو جعفر المنصور لم يكن أبياً مسلماً وإنما شبه لهم ، وقالوا إنه خيرٌ من جبريل وميكائيل ومن جميع الملائكة ، وكانوا يقولون بالحلول ، فزعموا أن روح الإله حلّت في أبي مسلم الخراساني .

الرزامية

من غلاة الشيعة ، وهم أتباع رزام بن رزم ، يعتبرون من الكيسانية ، ساقوا الإمامة من على بن أبي طالب رضي الله عنه إلى ابنه محمد بن الحنفية ، ثم إلى ابنه أبي هاشم ، ثم منه إلى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ، ثم ساقوها إلى محمد بن على ، وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم الإمام ، وهم صاحب محمد أبي مسلم الخراساني الذي دعا إليه وقال بإمامته ، وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم حتى قيل : إن أبي مسلم كان على هذا المذهب ، لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبي مسلم ، فقالوا : له حظ في الإمامة . وكانوا من الحلولية ، فادعوا حلول روح الإله فيه ، ولهذا أيدوه على بنى أمية ، حتى قتلهم على يد بكرة أبيهم ، والمقنعية أصحاب المقنع كان على هذا المذهب في أول الأمر حتى ادعى المقنع الإلهية لنفسه ، وهم من الخرمية الذين يقولون بالإباحية .

الهريرية

من الشيعة الغالية ، أصحاب أبي هريرة الرواثي ، وهم العباسية الخلص ، أثبتو الإمامة بعد رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب ، وكرهوا أن يشهدوا على أسلافهم . أبي بكر وعمر وعثمان . بالكفر ، وهم مع ذلك يتولون أبي مسلم وبعظامونه ، وهم الذين غلوا في القول في العباس وولده .

الشيعة العلوية

قالوا بفرض الإمامة لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه من الله ومن رسوله صلوات الله عليه فثبتوا على إمامته ثم إماممة الحسن بن على ، ثم إماممة الحسين بعد الحسن . ثم افترقوا بعد مقتل الحسين فرقا .

فرقة ذهبت إلى القول بإماممة على بن الحسين بن على بن أبي طالب (زين العابدين) وكان يكنى بأبي بكر ، وهي كنيته الغالية عليه ، فلم تزل مقيمة على إمامته حتى توفى بالمدينة في المحرم سنة أربع وتسعين من الهجرة ، وأمه أم ولد يقال له سلافة ، وكانت تسمى قبل أن تسمى جاهنشاه ، وهي ابنة يزدجر بن شهريار بن كسرى أبوروzier بن هرمز ، وكان يزدجر آخر ملوك الفرس .

وفرقه قالت : انقطعت الإمامة بعد الحسين ، إنما كانوا ثلاثة أئمة مسمين بأسمائهم استخلفهم رسول الله صلوات الله عليه وأوصى إليهم ، وجعلهم حججا على الناس وقواما بعده واحدا بعد واحد . فلم يثبتوا الإمامة لأحد بعدهم ، وقالوا برجعتهم لتعليم الناس أمر دينهم ، ولكن لطلب الثأر وقتل أعدائهم الذين سلبوا حقوقهم ، وهذا معنى خروج المهدى عندهم وقيام القائم .

وفرقه قالت : إن الإمامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين فهو فيهم خاصة دون سائر ولد على بن أبي طالب ، وهم كلهم فيها شرع سواء ، فمن قام منهم ودعا لنفسه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة على بن أبي طالب رضي الله عنه وإمامته واجبة من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم . فمن تخلف عنه عند قيامه

ودعائه إلى نفسه من جميع الخلق فهو هنالك كافر ، ومن ادعى الإمامة منهم وهو قاعد في بيته مرخى عليه بستره فهو كافر مشرك ، هو وكل من تبعه .

الزيدية

فرقة من الشيعة ، أتباع زيد بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة (رضي الله عنها) ولم يجذروا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جذروا أن يكون إماماً واجب الطاعة ، سواء كان من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين ، وتطبيقاً لهذا جذروا إماماً محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا ، وقالوا بجواز خروج إمامين في قطرتين طالما توافرت فيهما شروط الإمامة ، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة . وقالوا إن العلم مثبت مشترك فيهم وفي عوام الناس ، فهم والعوام من الناس فيه سواء ، فمن أخذ منهم علم الدين أو دنيا مما يحتاج إليه ، أو أخذه من غيرهم من العوام فله ذلك ، فإن لم يجد عندهم ولا عند غيرهم مما يحتاجون إليه من علم دينهم فجائز للناس الاجتهاد والاختيار والقول بأرائهم ، ولما كان هذا مذهب زيد بن على فقد أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم ، فتلمنذ في الأصول لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ورئيسهم ، مع اعتقاد واصل : أن جده على بن أبي طالب رضي الله عنه في حربه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام ، ما كان على يقين الصواب ، وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه . فاقتبس منه الاعتزال ، وصار أصحابه كلهم معتزلة .

وكان مذهب زيد : جواز إماماة المفضول مع قيام الأفضل ، فقال : كان على بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة ، إلا أن الخلافة فوضت لأبي بكر لصلاحة رأوها . وقاعدة دينية راعوها : من تسكين ناثرة الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كانت ما زالت قريبة العهد ، وسيف أمير المؤمنين على لم تزل دماء المشركين من قريش وغيرهم . عليه لم تجف بعد ، والضفائر في

صدر القوم من طلب التأثر كما هي .. فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد إليه الرقاب كل الانقياد ، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين ، والتؤدة والتقدم بالسن ، والسبق في الإسلام ، والتقرب من رسول الله (يعني في ذلك أبا بكر الصديق) ، وكذلك يجوز أن يكون المنضول إماما والأفضل قائم ، فيرجع إليه في الأحكام ، ويحكم بحكمه في القضايا ، ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه ، وعرفوا أن لا يتبرأ من الشيختين ، رضوه ، فسميت رافضة ، وجرت بينه وبين أخيه الباقي محمد بن على مناظرات من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ، ويقتبس العلم من يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين ، والمارقين ، ومن حيث كان يشترط الخروج شرطا في كون الإمام إماما ، حتى قال له يوما : على مقتضى مذهبك ، والدك ليس بإمام ، فإنه لم يخرج قط ، ولا تعرض للخروج .

ويذكر الطبرى في تاريخه في أحداث سنة ١٢٢ هـ أن زيدا حدد ساعة الخروج ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنين وعشرين ومائة ، ولم يوافه بعد أن نادى أصحابه بكلمة السر (يا منصور أمت) سوى مائتى رجل وثمانية عشر رجلا ، وكان خروجه بالكوفة ، والوالى عليها يوسف بن عمر الثقفى ، في أيام هشام بن عبد الملك ، واشتد القتال وثبت زيد بن على والقلة التي معه حتى إذا جنح الليل رمى بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فتشبث في دماغه ، ومات بمجرد أن نزع الطبيب النصل من جبهته ، وخوفا من التمثيل بجثته اقترح بعض أصحابه أن يلبسوه درعه ويطرحوه في الماء ، وقال بعضهم بل نجتز رأسه ونضعه بين القتلى ، فقال ابنه يحيى : لا والله لا تأكل لحم أبي الكلاب ، فحفر له ودفنه . إلا أن يوسف بن عمر استخرج جثة زيد وصلبه . ولم يجد يحيى بن زيد ملجأ إلا الهرب إلى خراسان ومعه بعض الزيدية ، ولم يتركوه بل قتلوه في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكان مقتله سنة ١٢٦ هـ ، وبعد ذلك قتل محمد (النفس الزكية) الإمام بالمدينة ، قتله عيسى بن ماهان ، وقتل إبراهيم أخيه الإمام بالبصرة ، وقد أمر المنصور بقتلهم ، فماتت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامية المنضول ، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية ، واعتبرهم الشهرستاني أصناف ثلاثة : جارودية ، وسليمانية ، والصالحية والبتيرية على مذهب

واحد .. ويقسمهم النوبختى إلى زيدية أقواء وضعفاء ، فأما الضعفاء منهم ، العجلية ،
أصحاب هارون بن سعيد العجل ، والبترية ، أصحاب كثير النساء ، والحسن بن صالح
بن حى ، وسالم بن أبي حفصة ، والحكم بن عتبة ، وسلمة بن كهيل ، وأبى المقدام ثابت
الحداد ، وأما الأقواء فمنهم أصحاب أبى الجارود ، وأصحاب أبى خالد الواسطى ،
وأصحاب فضيل الرمان ، ومنصور بن أبى الأسود .

١٥

ويتركز الزيدية الآن فى اليمن حيث يمثلون ثلث السكان تقريباً .

المهدية

من غلاة الشيعة ، وهى فرقه تفرعت عن المغيرة ، أصحاب المغيرة بن سعيد (انظر :
المغيرة) ، وكانوا ينسبون إلى ابن الحنفية ، ويقولون إنه المهدى ، وزعموا أن الله تعالى
فى صفة رجل على رأسه تاج ، وأن له عز وجل . أعضاء على عدد الأبجدية ، فالآلف
قدم . تعالى الله عن ذلك . وقالوا : إنما نسميه خالقا حين خلق ، ورازاها حين رزق ،
وعالما حين علم ، فلما خلق الخلق طار الإسلام ، فوقع على الرأس فوق التاج ، وذلك
قوله تعالى (سبع اسم ربك الأعلى) (الأعلى : ١)

اليعقوبية

فرقه من الشيعة الزيدية ، وهم أصحاب يعقوب بن عدى ، أنكروا الرجعة ، ولم يؤمنوا
بها ، ولكنهم لم يتبرأوا ممن أقر بها ، والرجعة تعنى عودة بعض الأموات مرة أخرى
إلى الحياة ، للانتقام والأخذ بالثأر ، أو ليملئوا الأرض عدلاً ، وكذلك لم يتبرأوا من أبى
بكر وعمر .

الصباحية

من الشيعة الزيدية ، وهم أصحاب الصباح المزنى ، أمرهم أن يعلنوا البراءة من أبى
بكر وعمر ، وأن يقرروا بالرجعة .

العجلية

جعلهم التوخي من الشيعة الزيدية الضعفاء ، وهم أصحاب هارون بن سعيد العجل ،
وهم غير العجلية أصحاب عمير بن بيان العجل الذين يطلق عليهم العجلية ، أو
العميرية (انظر : العميرية)

البترية

من الشيعة الزيدية ، وهم أصحاب كثير القواء باللقب بالأبتر ، ومقالاتهم نفس مقالة
الحسن بن صالح بن حي ، وسالم بن أبي حفصة ، والحكم بن عتبة ، وسلمة بن كميل ،
وأبي المقدام ثابت الحداد ، وقد دعوا الناس إلى ولادة على عليه السلام ثم خلطوها بولادة أبي
بكر وعمر ، ويعتبرهم العامة أفضل فرق الزيدية ، لأنهم يفضلون عليا ، ويبتلون إماما
أبي بكر ، وينتقضون عثمان وطلحة والزبير ، ويررون الخروج مع كل ولد على عليه السلام
وعتبرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويبتلون الإمامة لمن خرج من
ولد على ، وكل ولد على عندهم على السواء ، سواء كان فاطمي أو غير فاطمي ، وهم
على نفس مذهب الصالحية (انظر : الصالحية)

الحسينية

من الشيعة الزيدية ، وكانوا يقولون : من دعا إلى طاعة الله . عز وجل . من آل
محمد عليه السلام هو إمام مفترض فيه الطاعة ، وكان على بن أبي طالب عليه السلام إماماً في
وقت ما دعا الناس وأظهر أمره ، ثم كان الحسين بعده إماماً عند خروجه وقبل ذلك
إذ كان مجانباً لمعاوية ويزيد بن معاوية حتى قتل ، ثم زيد بن على بن الحسين المقتول
بالكوفة ، ثم يحيى بن زيد بن على المقتول بخراسان ، ثم ابنه الآخر عيسى بن زيد ، ثم
محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية ،
ثم من دعا إلى طاعة الله من آل محمد عليه السلام فهو الإمام .

الجارودية

من الشيعة الزيدية ، وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، ولقبه سرحوب ، لذا تسمى هذه الفرقة السرحوبية ، وكان أبو الجارود أعمى القلب ، والذى سماه سرحوب أبو جعفر محمد بن على الباقر ، وذكر الباقر أن سرحوب شيطان أعمى يسكن البحر . وزعم الجارودية أن محمدا صلوات الله عليه نص على على صلوات الله عليه بالوصف دون التسمية ، وهو الإمام بعده ، والناس قصرروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف ، وإنما نصبوا أبو بكر باختيارهم ، كفروا بذلك ، وقد خالف أبو الجارود إمامه زيد بن على ، فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد .

وأختلف الجارودية في ترتيب الأئمة ، فساق بعضهم الإمامة من على إلى الحسن ، ثم الحسين ، ثم على بن الحسين (زين العابدين) ، ثم إلى ابنه زيد بن على ، ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب صلوات الله عليه الملقب بالنفس الزكية ، ويقال إن الإمام أبي حنيفة كان على بيعته .

والذين قالوا بإمامامة محمد بن عبد الله (النفس الزكية) اختلفوا بعد قتله ، فمنهم من قال : لم يقتل وهو بعد حى ، وسيخرج فيملا الأرض عدلا .

ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على ، الذي أسر في أيام المعتصم وحمل إليه ، فحبسه في داره حتى مات . ومنهم من قال بإمامامة يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على ، الذي خرج بالكوفة ، واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين ، وقال فيه بعض العلوية :

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك أستلينك في الكلام
وعز على أن القاك إلا وفيما بيننا حد الحسام

وقال الجارودية : إن الحلال حلال آل محمد صلوات الله عليه والحرام حرامهم ، والأحكام أحکامهم ، وعندهم جميع ما جاء به النبي صلوات الله عليه فعلم ولد الحسن والحسين كعلم النبي صلوات الله عليه فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة ، والصغرى منهم والكبير في العلم سواء ، فالعلم ينبع في صدورهم كما يُنبت الزرع المطر ، فالله عز وجل قد علمهم بلطفه كيف شاء .

وهم مع ذلك لا يررون عن أحد منهم . آل البيت . علما ينتفع به ، إلا ما يررون عن أبي جعفر محمد بن على ، وابنه ، وجعفر بن محمد ، وأحاديث قليلة عن زيد بن على بن الحسين ، وأشياء يسيرة عن عبد الله بن الحسن المحضر .
ومنهم من يرى أن العلم مشترك فيهم . أى آل البيت . وفي غيرهم ، وجائز أن يؤخذ عنهم ، وعن غيرهم من العامة ، بدليل أن زيدا تلمذ لواصل بن عطاء المعتزلي .

السليمانية

من الشيعة الزيدية ، أصحاب سليمان بن جرير ، ويسميهم البعض الجريرية ، وكان سليمان يقول : إن الإمامة شوري ، ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وإنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل ، وتابعه على القول بجواز إماماة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة وأصحاب الحديث ، قالوا : الإمامة من مصالح الدين ، ليس يحتاج إليها لعرفة الله تعالى وتوحيده ، فإن ذلك حاصل بالعقل ، لكنه يحتاج إليها ، لإقامة الحدود ، والقضاء بين المحاكمين ، ونصب القتال مع الأعداء .. وحتى يكون المسلمون جماعة ، ولا يكون الأمر فوضى بين العامة ، فلا يتشرط فيها أن يكون الإمام أفضل الأئمة علما ، وأقدمهم عهدا ، وأسد لهم رأيا وحكمة ، إذ الحاجة تقول بقيام المفضول ، مع وجود الفضل والأفضل ، فيكفي أن يكون الإمام ذا رأي متن ، وبصره في الحوادث نافذ .

وأثبت سليمان إماماً أبى بكر وعمر حقاً باختيار الأئمة ، وكان يقول إن الأمة أخطأـت في البيعة لهما مع وجود على عليه السلام خطأ لا يبلغ درجة الفسق ، وذلك الخطأ خطأ اجتهادي .. غير أنه طعن في عثمان عليه السلام للأحداث التي أحدثها ، وأفسره بذلك ، وأفسر عائشة ، والزبير ، وطلحة (أصحاب واقعة الجمل) بإقدامهم على قتال على عليه السلام .

وقد طعن سليمان في أئمة الرافضة ، فقال : إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدا ، وهما القول بالبداء ، وإجازة التقية ، فاما

البدء : فإن أئمتهما لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون ، والإخبار بما يكون في غد وفي غابر الأيام ، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم : ألم نعلمكم أن هذا يكون ، فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمه الأنبياء ، وإذا جاء الشيء خلاف ما توقعوا ، قالوا لشيعتهم بدا الله في ذلك .. وأما التقية : فكل ما أرادوا تلکموا به ، فإذا قيل لهم في ذلك : إنه ليس بحق ، وظهر لهم البطلان ، قالوا : إنما قلناه تقية ، وفعلناه تقية .

الصالحة

من الشيعة الزيدية ، أصحاب الحسن بن صالح بن حى ، وهم متفقون مع البترية في المذهب ، وقد توقفوا في أمر عثمان : أهو مؤمن أم كافر ؟ قالوا : إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا : يجب أن نحكم بصحبة إسلامه ، وإيمانه وكونه من أهل الجنة ، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها : من استهتاره بتربية بنى أمية وبنى مروان ، واستبداده بأمور لم تتوافق سيرة الصحابة .. قلنا : يجب أن نحكم بصحبة كفره ، فتحيرنا في أمره ، وتوقفنا في حاله ، ووكلناه إلى أحكام الحاكمين .

وأما على ~~صيغته~~ فهو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأولاهم بالإمامية ، لكنه سلم الأمر لهم راضيا ، وفوض الأمر إليهم طائعا ، وترك حقه راغبا ، فنحن راضون بما رضى ، مسلمون لما سلم ، لا يحل لنا غير ذلك ، ولو لم يرض على بذلك لكان أبو بكر هالكا ، وجوزوا إماماً المفضول وتأخير الفاضل والأفضل ، إذا كان الأفضل راضيا بذلك .

وقالوا : من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين (رضي الله عنهم) وكان عالما ، زاهدا ، شجاعا ، فهو الإمام ، وشرط بعضهم صباحة الوجه ، وإذا توافرت الشروط في إمامين وشهرًا سيفيهما ينظر إلى الأفضل والأزهد ، وإن تساوا ينظر إلى الأمتن رأيا والأحزن أمرا ، وإن تساوا تقابلًا ، فيكون الإمام مأموما ، والأمير مأمورا ، ولو كانا

في قطرتين : انفرد كل واحد منهما بقطره ، ويكون واجب الطاعة في قومه ، ولو أفتى أحدهما بخلاف ما يفتى الآخر كان كل واحد منهما مصيبة ، وإن أفتى باستحلال دم الإمام الآخر .

وفي الأصول فإنهم يوافقون المعتزلة مثل أكثر الزيدية ، فقد تلمذ الإمام زيد بن علي في الأصول لواصل بن عطاء المعتزلي ، وأما في الفروع ، فهم على مذهب أبي حنيفة ، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى والشيعة .

الإمامية

من فرق الشيعة ، وهم القائلون بإمامية علي عليه السلام بعد النبي صلوات الله عليه بالنص الظاهر ، والتعيين الصادق ، ليس تعريضا بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين . وقالوا : وما كان في دين الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ، وقد بعث صلوات الله عليه لرفع الخلاف ، وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة دون أن يعين شخصا يرجع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمulous عليه ، فلا يجوز لأحد من المؤمنين أن يختار إماما برأيه ، ومعقوله ، وكيف يجوز هذا وقد حظره الله عز وجل على رسله ، وأنبيائه وجميع خلقه ، فقال في كتابه (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (الأحزاب : ٢٦) ، وقال سبحانه تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (القصص : ٦٨) وإنما اختيار الحجج والأئمة إلى الله عز وجل ، واقامتهم إليه ، فهو يقيمهم ويختارهم ، ويعلن أمرهم إذا أراد ، ويسترحم إذا شاء فلا يبدي لهم ، وقالوا : إن عليا عليه السلام قد عين في مواضع تعريضا ، وفي مواضع أخرى تصريرا .

أما تعريضاته عليه السلام منها أنه بعث أبا بكر ليقرأ سورة براءة (التوبة) على الناس في المشهد ، وبعث بعده عليا ، ليكون هو القارئ عليهم ، والبلغ عنه إليهم ، وقال : (نزل على جبريل ، فقال : يبلغه رجل منك) أو قال : (من قومك) ، وهو يدل على تقديمها عليا عليه ، وكذلك أنه كان يؤمر على أبي بكر وعمر . وغيرهما من الصحابة . في

البعوث، وقد أمرَّ عليهم : عمرو بن العاص في بعث ، وأسامة بن زيد في بعث ، وما أمر على على أحداً قط .

وأما تصريحاته في إمامية على عليه السلام حين قال : (من الذي يباعي على ماله ؟) فباعيته جماعة ، ثم قال : من الذي يباعي على روحه وهو وصيٌّ وولي هذا الأمر من بعدى ؟ فلم يباعي أحد ، حتى مد أمير المؤمنين على عليه السلام يده إليه فباعيه على روحه ووفى بذلك ، حتى كانت قريش تغير أبا طالب : أنه أمرَّ عليك ابنك . وكذلك عندما نزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغَتْ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ) (المائدة : ٦٧) ، فلما وصل إلى (غدير خم) نادوا الصلاة جماعة ، ثم قال عليه السلام (من كنت مولاً فعل مولاً ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واحذل من خذله ، وأدر الحق معه ، ألا هل بلغت : ثلاثة) فادعت الإمامية أن هذا النص صريح . وتقول الإمامية : وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه ، حتى قال عمر بن الخطاب حين استقبله عليه : طوبى لك يا على ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة .

وعن التصريحات . عندهم . على إمامية على (رضي الله عنه) قول النبي عليه السلام (أقضاكم على) فالإمامية لا معنى لها إلا أن يكون أقضى القضاة في كل حادثة ، والحاكم على المتخاصمين في كل واقعة ، وهو معنى قوله تعالى : (أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء : ٥٩) قالوا (فأولوا الأمر) من إليه القضاء والحكم ، والقضاء يستدعي كل علم ، وليس كل علم يستدعي القضاء .

ثم إن الإمامية تخطت هذه الدرجة إلى الواقعية في كبار الصحابة : طعنا وتكفيرا ، وأقله ظلما ، وعدوانا ، وقد شهدت نصوص القرآن على عدتهم ، والرضا عن جملتهم ، قال تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (الفتح : ١٨) ، وكانوا إذ ذاك ألفا وأربعين ، وقال الله تعالى ثناء على المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَا حَسَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (التوبه : ١٠٠) وقال : (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) (التوبه : ١٧) وقال تعالى :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (النور : ٥٥) وفي ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله تعالى، وكذلك قال رسول الله ﷺ (عشرة من أصحابي في الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة الجراح) إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد منهم على انفراد .

والإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين ، وعلى بن الحسين عليهما السلام على رأى واحد ، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها .

وهم متتفقون في الإمامة ، وسوقها إلى جعفر بن محمد الصادق ، ومختلفون في المخصوص عليه بعده من أولاده ، إذ كان له خمسة أولاد ، وقيل ستة : محمد ، وإسحاق ، وعبد الله ، وموسى ، وإسماعيل ، ثم منهم من مات ولم يعقب ، ومنهم من مات وأعقب ، ومنهم من قال بالتوقف والانتظار ، والرجعة ، ومنهم من قال بالسوق والتعدية .

وكان الإمامية في أول الأمر على مذهب أئمتهم في الأصول ، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم ، وتمادي الزمان ، اختارت كل فرقة منهم طريقة ، فصارت الإمامية بعضها معزلة ، إما وعیدیة ، إما تفضیلیة ، وبعضها إخباریة ، إما مشبهة ، إما سلفیة .

الجعفرية

فرقة من الشيعة ، ساقوا الإمامة بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو الملقب بالباهر ، إلى ابنه أبي عبد الله جعفر بن محمد الملقب بالصادق . وكان الإمام جعفر الصادق ذا علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا وورع تمام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة ، يفيد الشيعة المنتدين إليه ، ثم رحل إلى العراق ، وأقام بها مدة ، ولم يتعرض للإمامية قط ، ولا نازع أحداً في الخلافة ، وهو من جانب الأئمّة ينتسب إلى شجرة النبوة ، ومن جانب الأئمّة ينتسب إلى أبي بكر الصديق عليهما السلام ، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي

بكر بن قحافة ، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر .
وقد تبرأ الإمام جعفر الصادق مما كان يُنسب إليه من بعض الغلاة ، وبرأ منهم ،
ولعنهم ، وبرأ من خصائص مذهب الرافضة ، ومن القول بالغيبة ، والرجعة ، والبداء ،
والتناسخ ، والحلول ، والتшибية .

ومن قوله في القدرة : هو أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض . وكان يقول في دعائه :
اللهم لك الحمد إن أطعتك ولنك الحجة إن عصيتك ، لا صنع لي ، ولا لغيري في إحسان ،
ولا حجة لي ، ولا لغيري في إساءة .

وكان مولد جعفر الصادق سنة ثلاثة وثمانين من الهجرة ، وكانت وفاته بالمدينة في
شوال سنة ثمانين وأربعين ومائة ، ودفن في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده في البقيع ،
فلما توفى افترقت بعده شيعته ست فرق :

فرقة قالت : إن جعفر الصادق حي لم يمت ، ولا يموت حتى يظهر ويلى أمر الناس ،
 وأنه هو القائم المهدى ، وسمى هؤلاء بالناؤوسية .

وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل بن جعفر ، وأنكرت موت إسماعيل في
حياة أبيه ، وسموا هؤلاء الإسماعيلية الخالصة .

وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر هو ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر ، لأن الإمامة
لاتنتقل من أخي إلى أخي بعد الحسن والحسين ، ولا تكون إلا في الأعقاب ، وهم المباركة ،
وتشعب عن المباركة فرقة يقال لها القرامطة .

وفرقة قالت : إن الإمام بعد جعفر هو ابنه محمد ، وسميت هذه الفرقة الشميطية ، أو
الشميطية نسبة إلى رئيسهم يحيى بن سميط أو شميط .

وفرقة منهم قالت : الإمامة بعد جعفر في ابنه عبد الله الأفتح ، وسموا الفطحية ، ويقال
إنهم سموا بذلك نسبة إلى رئيس لهم من أهل الكوفة يقال له : عبد الله بن فطحيح .

وفرقة قالت : إن الإمام بعد جعفر هو ابنه موسى ، وتشعبوا بعد موت موسى بن جعفر
إلى عدة فرق : القطعية لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر ، ومنهم من توقف عليه ،
وقال إنه لم يمت بل رفعه الله إليه ، وسموا بالواقفة ، ومنهم من قال الإمام بعد ابنه
على بن موسى (على الرضا) وسموا بالمطرورة .

الباقرية

الشيعة الذين أثبتو الإمامة لأبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب ، وهو الملقب بالباقر ، وأقاموا على إمامته إلى أن توفي في ذي الحجة سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة ، وأمه أم عبد الله بنت الحسين بن على بن أبي طالب ، ولما توفي أبو جعفر افترقت أصحابه فرقتين ، فرقة منها قالت بإمامية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية ، وسميت فرقته المحمدية ومنها خرجت المغيرة (انظر : المحمدية والمغيرة) ، وأما الفرق الأخرى من أصحاب أبي جعفر فنزلت إلى القول بإمامية ابنه أبو عبد الله جعفر بن محمد (انظر : الجعفرية) .

المحمدية

الشيعة الذين ساقوا الإمامة إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب (الملقب بالنفس الزكية) وذلك بعد وفاة أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب (باقر العلم) (انظر : الباقرية) وقد خرج محمد النفس الزكية بالمدينة ، وهزم أميرها ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة داعيا إلى إمامية أخيه محمد ، فأرسل المنصور جيشاً قوامه أربعة آلاف رجل ، إلا أنه قاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل ، وبعث برأسه إلى المنصور ، وكذلك قتل إبراهيم بالبصرة ، وبعد قتل محمد بن عبد الله زعم البعض أنه القائم المهدى ، لأن رسول الله ﷺ قال : القائم المهدى اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبي ، وهذا هو قول المغيرة أصحاب المغيرة بن سعد ، الذي زعم أنه رسول ونبي (انظر : المغيرة)

الناووسية

من غلاة الشيعة الجعفرية ، زعموا أن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن محمد بن أبي طالب (الملقب الصادق) حي لم يمت ، ولا يموت حتى يظهر ويل أمر الناس ،

وهو القائم المهدى ، وزعموا أنه قال لهم : إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوا ، فإني أنا صاحبكم ، صاحب السيف .

وأنه قال : إن جاءكم من يخبركم عنى أنه مرضنى وغسلنى وكفنتى ودفنتى ، فلا تصدقوه فإني صاحبكم .

وقيل إن الناوسية زعمت أن عليا باق ، وستنشق الأرض عنه قبل يوم القيمة ليملاها عدلا ، وقد سموا بالناوسية نسبة إلى رجل يقال له ناوس ، وقيل نسبوا إلى قرية ناوسا .

الإسماعيلية الخالصة

زعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل بن جعفر ، وأنكروا موت إسماعيل في حياة أبيه ، فقالوا لم يمت ، ولكنه أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل . ولهذا القول . عندهم . دلالات منها أن محمداً . وهو أخوه لأمه . وقد كان صغيراً مرضى إلى السرير الذي كان إسماعيل نائماً عليه ، ورفع الملاعة ، فأبصره وقد فتح عينيه ، فعاد إلى أبيه مفزعًا ، وقال : عاش أخي ، عاش أخي .. قال والده : إن أولاد الرسول ﷺ كذا تكون حالهم في الآخرة . ومن الدلالات كذلك الإشهاد على موته وكتابة محضر بذلك ، ولم يعهدوا ميتا سجل على موته ، ولما بلغ أبو جعفر المنصور أن إسماعيل بن جعفر رئي بالبصرة ، وقد مرّ على مقعد فدعاه فبرئ بإذن الله تعالى ، بعث المنصور إلى الصادق : أن إسماعيل بن جعفر في الأحياء ، وأنه رئي بالبصرة ، فأنفذ إليه السجل ، وعليه شهادة عامله بالمدينة تفيد بموت إسماعيل ، فكل هذا جعلهم يشكون في موته . وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو القائم لأن آباء أشاروا إليه بالإمامية بعده ، والإمام لا يقول إلا الحق .

الإسماعيلية الواقفة

من الشيعة ، زعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل بن جعفر ، نص عليه باتفاق من أولاده ، إلا أنهم اختلفوا في مorte في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال : لم يمت ، إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس ، وأنه عقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ليثبت وفاته ، وهذا التشدد من جعفر الصادق يستدلون منه على عدم موته ، ومنهم من قال موته صحيح ، والنص لا يرجع القهقرى ، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه ، دون غيرهم ، فالإمام بعد إسماعيل : محمد بن إسماعيل ، وهو لاءاً يقال لهم المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته .

فمذهب الإسماعيلية الواقفة ، الوقف على إسماعيل بن جعفر ، أو محمد بن إسماعيل .

المباركية

من الشيعة الإسماعيلية ، زعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وقالوا إن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه ، فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر الصادق الأمر لمحمد بن إسماعيل ، وكان الحق له ، ولا يجوز غير ذلك لأن الإمامة لا تنتقل من أخي إلى أخي بعد الحسن والحسين ، ولا تكون إلا في الأعقاب ، ولم يكن لأخوي إسماعيل (عبد الله وموسى) في الإمامة حق ، كما لم يكن لمحمد بن الحنفية فيها حق مع على بن الحسين ، وسميت هذه الفرقة المباركية نسبة لرئيس لهم يسمى المبارك يقال إنه مولى إسماعيل بن جعفر .

وتشعبت من المباركية فرقية تسمى القرامطة نسبة إلى رئيسهم المسمى قرمطوية ، وكانوا في الأصل على مقالة المباركية ثم خالفوهם .

الشميطية

من الشيعة الإمامية ، زعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه محمد ، وذلك بزعم أن بعضهم روى لهم أن محمد بن جعفر دخل على أبيه . وهو صبي صغير . وكان يudo فكبًا في قميصه ، ووقع لوجهه ، فقام إليه جعفر قبله ، ومسح التراب عن وجهه ، ووضعه عن صدره ، وقال : سمعت أبي يقول : إذا ولد لك ولد يشبهنى فسمه باسمى ، فهو شبيهى وشبيه رسول الله ﷺ وعلى سنته ، فجعل هؤلاء الإمامة في محمد بن جعفر ، وهذه الفرقة تسمى الشميطية لأن رئيسهم يقال له يحيى بن أبي شميط ، والبعض يسميهم السميطية (بالسين) على أساس أن رئيسهم يقال له يحيى بن أبي السميط .

الفطحية

من الشيعة الإمامية ، قالوا : الإمامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر الأفطح ، وسمى بذلك لأنـه كان أفتح الرأس ، وقال بعضـهم كان أفتحـ الرجلـين ، وقال بعضـ الرواـة إنـهم نسبـوا إلىـ رئيسـ لهمـ منـ أهلـ الكوفـةـ يـقالـ لهـ عبدـ اللهـ بنـ فـطـيـحـ .
وعـبدـ اللهـ الأـفـطـحـ أخـوـ إـسـمـاعـيلـ مـنـ أـبـيهـ وـأـمـهـ ، وـأـمـهـمـ فـاطـمـةـ بـنـتـ الحـسـينـ بـنـتـ الحـسـنـ بـنـ عـلـىـ ، وـكـانـ أـكـبـرـ أـوـلـادـ جـعـفـرـ الصـادـقـ . وـقـدـ قـالـواـ بـإـمامـةـ عـبـدـ اللهـ بـنـ جـعـفـرـ (الأـفـطـحـ) لـحـدـيـثـ يـرـوـونـهـ عـنـ أـبـيهـ وـعـنـ جـدـهـ أـنـهـمـاـ قـالـاـ : إـلـاـ إـلـاـ إـلـامـ ، وـأـنـ جـعـفـرـ الصـادـقـ قـالـ : إـلـامـ مـنـ يـجـلسـ مـجـلسـ ، وـهـوـ الـذـىـ جـلـسـ مـجـلسـهـ ، وـإـلـامـ لـاـ يـغـسلـهـ وـلـاـ يـصـلـىـ عـلـىـ وـلـاـ يـأـخـذـ خـاتـمـهـ وـلـاـ يـوارـيـهـ إـلـاـ إـلـامـ ، وـهـوـ الـذـىـ تـولـىـ ذـلـكـ كـلـهـ وـدـفـعـ الصـادـقـ وـدـيـعـةـ إـلـىـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ ، وـأـمـرـهـ أـنـ يـدـفعـهاـ إـلـىـ مـنـ يـطـلـبـهاـ مـنـهـ وـأـنـ يـتـخـذـ إـلـامـاـ وـمـاـ طـلـبـهاـ مـنـهـ أـحـدـ إـلـاـ عـبـدـ اللهـ ، وـمـعـ ذـلـكـ مـاـ عـاشـ بـعـدـ أـبـيهـ إـلـاـ سـبـعينـ يـوـمـاـ ، وـمـاتـ ، وـلـمـ يـعـقـبـ ذـكـراـ ، فـلـمـ مـاتـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ اـرـتـابـ تـابـعـوهـ ، وـأـنـكـرـواـ الرـوـاـيـاتـ الـكـثـيرـةـ عـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ الحـسـينـ ، وـمـحـمـدـ بـنـ عـلـىـ ، وـجـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ مـنـ أـنـ إـلـامـةـ لـاـ تـكـوـنـ فـيـ أـخـوـيـنـ بـعـدـ الحـسـنـ وـالـحـسـينـ ، وـلـاـ تـكـوـنـ إـلـاـ فـيـ الـأـعـقـابـ وـأـعـقـابـ الـأـعـقـابـ عـلـىـ انـقـضـاءـ الدـنـيـاـ ، فـرـجـعـ عـامـةـ الفـطـحـيـةـ عـنـ القـوـلـ بـإـمامـتـهـ سـوـىـ قـلـيلـ مـنـهـ .ـ إـلـىـ القـوـلـ

بإماماة موسى بن جعفر ، وقد كانت جماعته من شيعة عبد الله قد رجعوا في حياته عن إماماته ، لروايات وقفوا عليها روها عن جعفر أنه قال : إن الإمامة بعدى في أبنى موسى ، وأنه دل عليه وأشار إليه ، وروى بعضهم أن جعفر الصادق قال لابنه موسى : يا بني إن أخاك سيجلس مجلسي ويدعى الإمامة بعدى فلا تنازعه ، ولا تتظلمن فإنه أول أهلى لحقوقنا .
والبعض يطلق على هذه الفرقة اسم الأفطحية .

الموسوية

ويطلق عليهم أحياناً المفضلية نسبة إلى المفضل بن عمر ، وهؤلاء قالوا إن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه موسى بن جعفر ، وأنكروا إمامرة عبد الله بن جعفر ، وكان من ضمن الموسوية عدد من وجوه أصحاب أبيه جعفر ، وهم الذين قالوا بإمامته ، وهو الإمام السابع عند الشيعة الائتية عشرية ، دون المسووية عن جعفر الصادق أنه قال لبعض أصحابه : عد الأيام ، فعدها من الأحد حتى بلغ السبت ، فقال له : كم عدلت ؟ فقال : سبعة : فقال جعفر : سبت السبوت ، وشمس الدبور ، ونور الشهود : من لا يلهو لا يلعب ، وهو سابعكم قائمه هذا ، وأشار إلى ولده موسى الكاظم ، وروى أيضاً أنه قال : إنه شبيه بعيسي عليه السلام .

ولما خرج موسى الكاظم وأظهر الإمامة ، نفاه هارون الرشيد من المدينة ، فحبسه عند عيسى بن حعفر ، ثم أرسله إلى بغداد ، فحبسه عند السندي بن شاهك ، وقيل إن يحيى بن خالد بن برمك سمه في رطب وعن بعثهما إليه فقتله ، ثم أخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد ، واختلف الشيعة به ، فمنهم من توقف في موته ، وقال لأندرى أمات ألم يمت ، ويقال لهم (المطورة) ومنهم من قطع بمماته ويقال لهم (القطعية) ومنهم من توقف عليه وقال لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ، ويقال لهم (الواقفة) .

القطعية

فرقة من الشيعة الإمامية الذين قالوا بإمامية موسى (الكاظم) بن جعفر الصادق ، فأقرروا بموته في حبسه عند السندي بن شاهك وأن يحيى بن خالد البرمكي سمه في رطب ونب عثهما إليه فقتله أيام هارون الرشيد ، وأن الإمامة بعد موسى آلت إلى على بن موسى (الرضا) ثامن الأئمة الائتني عشر . فسميت هذه الفرقة القطعية لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر ، وعلى إمامية ابنه بعده (انظر : الموسوية) .

الموسوية الواقفة

من الشيعة الذين قالوا بإمامية موسى بن جعفر الصادق بعد أبيه ، وبعد موت موسى زعموا أنه لم يمت ، وأنه حي لا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ، وأنه القائم المهدى ، وزعموا أنه لما خاف على نفسه القتل خرج من الحبس نهارا ولم يره أحد ، وأن السلطان وأصحابه أدعوا موته وموهوا على الناس ، وقال بعضهم إنه القائم وقد مات ، ولا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع ، فيقوم ويظهر ، واعتلوه في ذلك بروايات عن أبيه أنه قال : سمي القائم لأنه يقوم بعد ما يموت . والبعض زعم أن أبيه قال : إن فيه شبهها من عيسى بن مريم ، وهؤلاء سمووا الواقفة لوقفهم على موسى بن جعفر أنه الإمام القائم ، ولم يأتموا بعده بإمام ، ولم يتجاوزوه إلى غيره ، والبعض يلقبهم (بالمطرورة) (انظر : الموسوية والمطرورة)

المطرورة

فرقة من الشيعة القائلين بإمامية موسى (الكاظم) بن جعفر الصادق سابع الأئمة الائتني عشر ، فلما مات موسى ، زعموا أنه لم يمت ، ووقفوا على موسى بن جعفر أنه الإمام القائم ، ولم يأتموا بعده بإمام ، فسموا الواقفة (انظر : الموسوية الواقفة) ، وقد لقب الواقفة . بعض مخالفاتهم من قالوا بإمامية على الرضا بن موسى . بالمطرورة ، فغلب عليهم هذا الاسم ، وكان سبب ذلك أن على بن إسماعيل الميثمي ، ويونس بن عبد

الرحمن قد عقدا مناظرة بينهما ، فقال الميثمى ليونس بن عبد الرحمن ، وقد اشتدا بينهما الكلام : ما أنت إلا كلاب ممطورة ، وهو يريد بقوله أنهم أنثن من الجيف ، فلزمهم هذا اللقب ، فهم يعرفون به ، لإنه إذا قيل للرجل أنه ممطور كان يُعرف أنه من الواقفة على موسى بن جعفر خاصة .

الأحمدية

الشيعة القائلون بإمامية أحمد بن موسى بن جعفر ، وقطعوا عليه ، وادعوا أن أباه (موسى الكاظم) أوصى إليه وإلى أخيه على الرضا ، وأجازوا الإمامة في أخوين ، وقالوا إن أباه جعله الوصي بعد على الرضا ، والسبب في القول بإمامية أحمد بن موسى ، أن أباه على الرضا توفي وابنه محمد ابن سبع سنين ، فاستصبحوه واستصغروه ، وقالوا : لا يجوز أن يكون الإمام إلا بالغا ، ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ ، لجاز أن يكلف الله غير بالغ .

المؤلفة

من الشيعة ، وقفوا على إمامية موسى الكاظم بن جعفر الصادق (انظر : الموسوية والموسوية الواقفة) ، لكنهم رجعوا وقطعوا على إمامية على الرضا بن موسى الكاظم . فلما توفي الرضا رجعوا إلى القول بالوقف على موسى الكاظم .

المحدثة

فرقة من الشيعة ، كانوا من أهل الإرجاء ، وأصحاب الحديث ، وأظهروا التشيع ، ودخلوا في القول بإمامية موسى بن جعفر ، وبعد إمامية على بن موسى ، وذلك عندما أظهر المأمون فضله وعقد على الناس بيعته ، فصار هؤلاء شيعة رغبة في الدنيا وتصنعوا ، فلما مضى على الرضا بن موسى رجعوا إلى ما كانوا عليه .

التفصيصة

فرقة من الشيعة ظهرت بعد وفاة الحسن بن علي (ال العسكري) الإمام الحادى عشر عند الانثى عشرية . وقالوا إن محمد بن علي . أخا العسكري . الميت فى حياة أبيه ، كان الإمام بوصية من أبيه إليه ، وأشارته دلالته ونصه على اسمه وعيه ، ولا يجوز أن يشير إمام قد ثبتت إمامته وصحت على غير إمام ، فلما توفي محمد بن علي لم يجز أن يوصى ولا يقيم إماما ، فلا يجوز له أن يوصى إلى أبيه ، إذ إمامه أبيه ثابتة عن جده ، ولا يجوز أيضا أن يأمر مع أبيه وينهى ويقيم من يأمر معه ويشاركه ، وإنما كان من المفروض أن تثبت له الإمامة بعد أبيه ، فلما لم يجز إلا أن يوصى ، فقد أوصى إلى غلام لأبيه صغير كان فى خدمته يقال له نفيس ، وكان عنده ثقة أمينا ، ودفع إليه الكتب والوصية ، والعلوم والسلاح ، وما تحتاج إليه الأمة ، وأمره . فى حالة موته . أن يؤدى ذلك كله إلى أخيه جعفر ، وذلك كما فعل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما خرج إلى الكوفة ، فقد دفع كتبه والوصية ، وما كان عنده من السلاح إلى أم سلمة زوج النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه واستودعها ذلك كله وأمرها أن تدفعه إلى على بن الحسين الأصغر إذا رجع إلى المدينة ، فلما انصرف على بن الحسين من الشام إليها ، دفعت إليه جميع ذلك ، وسلمته له ، وهذا نفس ما حدث فى الإمامة لجعفر بوصيه نفيس ، فالإمامية صارت إلى جعفر من قبل أخيه ، لا من قبل أبيه ، وبعض الغلاة من التفصيصة الذين أنكروا إمامية الحسن العسكري ، وقالوا بإمامية جعفر ، وتقولوا على الحسن العسكري تقولا شديدا ، وكفروه ، وكفروا من قال بإمامته ، وغلوا فى القول فى أخيه جعفر ، وادعوا أنه القائم ، وفضلوه على على بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقدموه على الحسن والحسين ، وجميع الأئمة ، واعتلوه فى ذلك ، أن القائم أفضل الخلق بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ، ويحکى أن نفيسا هذا أخذ ليلا وألقى فى حوض كبير كان فى الدار فيه ماء كثير ، ففرق فيه ومات .

الجعفرية

فرقة من الشيعة ، ظهرت بعد وفاة علي بن محمد الإمام العاشر عند الثانية عشرية ، ووفاة الحسن بن علي (العسكري) الإمام الحادى عشر ، وهذه الفرقة مالت إلى جعفر بن علي أخي الحسن العسكري ، وقالوا أوصى إليه أبوه بعد مرض محمد (أخي العسكري وجعفر) وأوجب إمامته ، وأظهر أمره ، وأنكروا إماماً أخيه محمد ، وقالوا إنما فعل ذلك أبوه اتقاء عليه ، ودفعاً عنه ، وهم الجعفرية الخلص . ومنهم من قال إن الحسن بن علي توفى ولا عقب له ، والإمام بعده أخيه جعفر ، وإليه أوصى الحسن ، ومنه قبل جعفر الوصية ، ومنه صارت إليه الإمامة .

ومنهم من قال إن الإمام بعد الحسن هو جعفر لأن الإمامة صارت من قبل أبيه ، لا من قبل أخيه محمد ، ولا من قبل الحسن ، ولم يكن محمد إماماً ولا الحسن ، لأن محمداً توفي في حياة أبيه ، وتوفي الحسن ولا عقب له ، وكان مدعياً مبطلاً ، وذلك لأن الإمام لا يموت حتى يوصي ويكون له خلف ، والحسن قد توفي ولا وصى له ولا ولد ، فادعاؤه الإمامة باطل ، ولا يجوز أن تكون الإمامة في الحسن وجعفر ، لأن الإمامة لا تكون في آخرين بعد الحسن والحسين .

ومنهم من قال إن محمد بن علي (أخي جعفر العسكري) كان هو الإمام ، وإنما أوصى إلى غلام لأبيه صغير كان في خدمته يقال له نفيس ، وأمره أن يدفع الوصية إلى أخيه جعفر (انظر : التفصيية) .

الواقفة أصحاب العسكري

فرقة من فرق الشيعة التي ظهرت بعد وفاة الحسن العسكري الإمام الحادى عشر عند الثانية عشرية ، قالوا إن الحسن بن علي (العسكري) حى لم يمت ، وإنما غاب . وهو القائم ، ولا يجوز أن يموت الإمام ولا ولد له ، لأن الأرض لا تخلو من إمام ، وقد ثبتت إماماً الحسن بن علي ، والرواية قائمة أن للقائم غيبتين ، فهذه الغيبة إحداهما ، وسيظهر ويعرف ثم يغيب مرة أخرى ، وهم في ذلك ذهبوا مذهب الواقفة على موسى

ابن جعفر (انظر : الموسوية الواقفة) ، إلا أنهم يمیزون أنفسهم عن الواقفة الموسوية بأنهم قد أخطأوا في الوقوف على موسى لما ظهرت وفاته ، لأنه توفى عن خلف قائم وصى إليه ، وهو على الرضا .

ومنهم من قال : إن الحسن بن علي مات وعاش بعد موته ، وهو القائم المهدى ، واعتلوه في ذلك برواية اعتلت بها واقفة موسى بن جعفر ، رواها عن جعفر بن محمد (الصادق) أنه قال : إنما سمي القائم قائما لأنه يقوم بعدها يموت ، والحسن قد مات ، إلا أنه القائم ، وهو حي بعد الموت .

الكياالية

من غلاة الشيعة ، وهم أتباع أحمد بن الكيا ، وكان من دعاة أحد أهل البيت بعد جعفر الصادق ، وكان يخلط بعض الكلمات العلمية بفكرة الفاسد حتى يظنه السامع أنه صاحب علم . ولما وقفوا على بدعته تبرأوا منه ، ولعنوه وأمرروا شيعتهم بمنايتها وترك مخالطتها ، ولما عرف الكيا ذلك منهم صرف الدعوة إلى نفسه ، وادعى الإمامة أولا ، ثم ادعى أنه القائم ثانيا .

والإمام عنده هو كل من قدر الآفاق على الأنفس ، وأمكنه أن يبيّن العالمين ، عالم الآفاق ، وهو العالم العلوي ، وعالم الأنفس ، وهو العالم السفلي .

أما القائم ، فهو كل من قرر الكل في ذاته ، وأمكنه أن يبيّن كل كلى في شخصه المعين الجزئي .. قال : ولم يوجد في زمن من الأزمان أحد يقرر هذا التقرير إلا أحمد الكيا ، فكان هو القائم .

ويقسم الكيا العالم إلى ثلاثة أقسام : العالم الأعلى ، والعالم الأدنى ، والعالم الإنساني . وأثبت في العالم الأعلى خمسة أماكن ، الأول : مكان الأماكن ، وهو مكان فارغ ، لا يسكنه موجود ، وهم محاط بالكل ، والعرش الوارد بالشرع عبارة عنه ، والثاني : مكان النفس الأعلى ، والثالث : مكان النفس الناطقة ، والرابع : مكان النفس الحيوانية ، والخامس : مكان النفس الإنسانية .

قال : وأرادت النفس الإنسانية الصعود إلى عالم النفس الأعلى ، فصعدت ، وخرقت المكаниن : الحيوانية والناطقة ، فلما قربت من الوصول إلى عالم النفس الأعلى ، كللت وانحسرت ، وتحيرت ، وتعفت ، واستحالت أجزاؤها ، .. فأهبطت إلى العالم السفلي ، ومضت عليها أ蔻ار وأدوار ، وهى فى تلك الحالة من العفونة والاستحالة ، ثم ساحت عليها النفس الأعلى وأفاضت عليها من أنوارها جزءا ، فحدثت التراكيب فى هذا العالم ، وحدثت السماوات ، والأرض ، ووقعت فى بلايا هذا التركيب : تارة سرورا ، وتارة فرحا ، وتارة ترحا ، وطورا سلامة وعافية ، وطورا بلية ومحنة ، .. حتى يظهر القائم ، ويردها إلى حال الكمال ، وتنحل التراكيب ، وتبطل المتضادات ويظهر الروحانى على الجسمانى ، وما ذلك القائم إلا : أحمد الكيال .

وقال : إن اسم (أحمد) مطابق للعالم الأربع ، فالآلف من اسمه ، فى مقابلة النفس الأعلى ، والباء فى مقابلة النفس الناطقة ، والميم فى مقابلة النفس الحيوانية ، والدال فى مقابلة النفس الإنسانية . قال : والعالم الأربع هى المبادئ والبساط ، وأما مكان الأماكن فلا وجود فيه البتة .

وقال : إن البارى تعالى إنما خلق الإنسان على شكل اسم (أحمد) ، فالقامة مثل الآلف ، واليدان مثل الحاء ، والبطن مثل الميم ، والرجلان مثل الدال .

ومن أعجب ما قال : إن الأنبياء هم قادة أهل التقليد ، وأهل التقليد عميان ، والقائم قائد أهل البصيرة ، وأهل البصيرة أولو الألباب ، وإنما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس .

إذن فمنهج أحمد الكيال . الخرافى . باختصار : هو عبارة عن مقابلة الآفاق بالأنفس ، ومقابلة حروف اسمه بالآفاق وال موجودات ، وهى . كما قال الشهريستاني . من أحسن المقالات ، وأوهى المقابلات ، بحيث لا يجوز العاقل أن يسمعها ، فكيف يرضى أن يعتقدها .

الهشامية

فرقة من الشيعة الغالية ، أصحاب الهشاميين : هشام بن الحكم ، صاحب المقالة فى التشبيه ، وهشام بن سالم الجواليقى ، الذى صار على نهج ابن الحكم . وكان هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة ، وجدت بينه وبين أبي الهذيل العلاف المعزلى مناظرات فى علم الكلام ، منها فى التشبيه ، ومنها فى تعلق على البارى تعالى .

وكان هشام بن الحكم يقول : إن بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما ، بوجه من الوجه ، ولو لا ذلك لما يشبه شيئاً . وقال : إنه جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء .

ونقل عنه أنه قال : إن البارى . سبحانه وتعالى . سبعة أشبار بشر نفسه ، وأنه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة ، وأنه يتحرك ، وحركته فعله ، وليس من مكان إلى مكان ، وقال : هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة ، وأنه تعالى مماس لعرشه ، لا يفضل منه شيء عن العرش ، ولا يفضل من العرش شيء منه .

ومن مذهب هشام بن الحكم أنه قال : لم يزل البارى تعالى عالما ، بنفسه ، ويعلم الأشياء بعد كونها ، بعلم لا يقال فيه إنه محدث ، أو قدّيم لأنّه صفة ، والصفة لا توصف ، ولا يقال فيه إن العلم هو الله ، أو غيره ، أو بعضه .

وليس قوله في القدرة والحياة كقوله في العلم ، إلا أنه لا يقول بحدوثهما ، قال : ويريد الأشياء ، وارادته حركة ، ليست هي عين الله ، ولا هي غيره .

وقال في كلام البارى تعالى : إنه صفة للبارى تعالى ، ولا يجوز أن يقال : هو مخلوق أو غير مخلوق .

وغلٌ هشام بن الحكم في حق على ~~تشبيهه~~ حتى قال : إنه إله واجب الطاعة . ومن مناظراته مع أبي الهذيل العلاف أنه قال : إنك تقول : البارى تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم ، ويختلف عنها في أن علمه ذاته ، فيكون عالما لا كالعالمين ، فلم لا تقول إنه جسم لا كال أجسام ، وصورة لا كالصور ، وأنه قادر لا للأقدار ... إلى غير ذلك ۹۶ فاللزم العلاف أن يقول بالتشبيه .

وقال هشام بن سالم الجواليقي إنَّه تعالى على صورة إنسان ، أعلاه مجوف ، وأسفله مصمت ، وهو نور ساطع يتلألأ ، وله حواس خمس ، ويد ، ورجل ، وأنف ، وأذن ، وعين ، وفم ، وله قوة سوداء ، هي نور أسود ، لكنه ليس بلحام ، ولا دم .

وقال : الاستطاعة بعض المستطيع ، وقد نقل عنه : أنه أجاز المعصية على الأنبياء ، مع قوله بعصمة الأئمة ، ويفرق بينهما بأنَّ النبي ، ينبه على وجه الخطأ ، فيتوب منه ، والإمام لا يوحى إليه ، فتجب عصمته ، وروى عن هشام بن سالم أنه أمسك عن الكلام في الله .

الزرارية

فرقة من الشيعة ، أتباع زرارة بن أعين ، وكان من أصحاب جعفر الصادق ، وبعد وفاة جعفر كان ممن قالوا بإمامية موسى الكاظم ، وقيل إنه كان يقول بإمامية عبد الله (الأفطح) بن جعفر ، فكان ينتمي إلى الفطحية ، فلما فاوضه في مسائل ولم يجده بها ملياً رجع إلى موسى بن جعفر ، وقيل أيضاً : إنه لم يقل بإمامنته ، إلا أنه أشار إلى المصحف ، وقال : هذا إمامي ، وإنَّه كان قد التوى على عبد الله بن جعفر بعض الالتواء .

وحكى عن الزرارية : أنَّ المعرفة ضرورية ، وأنَّه لا يسع جهل الأئمة ، فإنَّ معارفهم كلها فطرية ضرورية ، وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم أولى ضروري ، وفطرياتهم لا يدركها غيرهم .

وقيل إنَّ زرارة وافق هشام بن الحكم في حدوث علم الله تعالى ، وزاد عليه بحدوث قدرته ، وحياته وسائر صفاته ، وأنَّه لم يكن قبل حدوث هذه الصفات عالماً ، ولا قادرًا ، ولا حياً ، ولا سميًعاً ، ولا بصيراً ، ولا مریداً ، ولا متكلماً . (انظر : الهشامية) .

النعمانية

الشيعة أتباع محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول ، والملقب بشيطان الطاق ، لذا يطلق عليهم الشيطانية ، والشيعة تقول : هو مؤمن الطاق .

وهو تلميذ الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وأفضى إليه أسرارا من أحواله وعلومه ، وكان من القائلين بإمامية موسى بن جعفر .

وكان يقول : إن الله عالم في نفسه ، ليس بجهال ، ولكنه إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ، فأما من قبل أن يقدرها ويريدها فمحال أن يعلمهها ، لأنه ليس بعالم ، ولكن الشيء لا يكون شيئا حتى يقدره وينشهئ بالتقدير ، والتقدير عند الإرادة ، والإرادة فعله تعالى .

قال : إن الله تعالى نور على صورة إنسان رباني ، ونفي أن يكون جسما ، لكنه قال : قد ورد في الخبر (إن الله خلق آدم على صورته) ، أو (على صورة الرحمن) ، فلا بد من تصديق الخبر .

وقد صنف النعمان كتابا جملا للشيعة ، منها : (افعل لم فعلت) ومنها (افعل لا تفعل) وذكر فيها أن كبار الفرق أربعة ، الفرقة الأولى : القدرية ، والثانية : الخوارج ، والثالثة : العامة ، والرابعة : الشيعة ، ثم عين أن الشيعة هي الفرقة الناجية في الآخرة ، وذكر عنه أنه أمسك عن الكلام في الله تعالى ، وروي : أنه سئل عن قوله تعالى : (وأن إلى رب المنشئ) (النجم : ٤٢) قال : إذا بلغ الكلام إلى الله تعالى ، فامسكونوا .

اليونسية

من غلاة الشيعة ، أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطنين وهو من مشبهة الشيعة ، زعم أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الله تعالى ، إذ قد ورد في الخبر : أن الملائكة تقفز أحيانا من وطأة عظمة الله تعالى على العرش .

الكاملية

من غلاة الشيعة ، أصحاب أبي كامل ، أكفروا جميع الصحابة بتركها بيعة على صَلَوةِ إِبْرَاهِيمَ ، وأكفروا علينا بتركه الوصية ، وتخليته عن الولاية ، وتركه القتال على ما عهد إليه رسول الله صَلَوةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وذمهموا أنه أسلم بعد كفره لما حارب معاوية وقاتله ، وكفروا من لم يقاتل مع على وترك نصرته ، فالجميع عندهم كفار ، وعلى صَلَوةِ إِبْرَاهِيمَ ثابت ، راجع إلى الإسلام ، وكذلك من قاتل معه معاوية .

ومن مذهب أبي كامل : أن الإمامة نور يتanax من شخص إلى شخص ، وذلك النور في شخصين يكون نبوة ، وفي شخص يكون إماما ، وربما تanax الإمامة فتصير نبوة .

النميرية

من غلاة الشيعة ، أصحاب محمد بن نصير النميري ، ويطلق عليها البعض اسم النميرية ، ومحمد بن نصير هذا كان يدعى أنه نبي بعثه أبو الحسن على بن محمد (الهادى) عاشر الأئمة الائتى عشر وكان يقول بالتناسخ وينفو فى أبي الحسن ، ويقول فيه بالربوبية ، ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا فى أدبارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل ، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئا من ذلك ، وكان يقوى أسباب هذا النميري (محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات) فلما توفي النميري قيل له فى علته . وقد كان اعتقل لسانه : من يكون هذا من بعده ؟ فقال بلسان ملجلج : لأحمد ، فلم يدرؤا من هو ، فافترقوا من بعده ثلاثة فرق ، فرقة قالت : إنه أحمد ابنه ، وفرقه قالت : هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات ، وفرقه قالت : هو أحمد بن أبي الحسين بن محمد بن بشر بن زيد ، ففترقو ولم يرجعوا إلى شيء .

الإسحاقية

من غلاة الشيعة ، أصحاب إسحق بن زيد الحارث ، وقد أثبتوا على بن أبي طالب صَلَوةِ إِبْرَاهِيمَ شركة فى النبوة ، استنادا إلى قوله صَلَوةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ : (فيكم من يقاتل على تأويله ، كما قاتلت على تنزيله ، ألا وهو خاصف النعل) فعلم التأويل ، وقتال المنافقين ، وقلع على باب خبر لا

بقوة جسدية ، من أدل الدليل على أن فيه جزءاً إلهياً ، ومن هذا قول على رضي الله عنه : (أنا من أحمد كالضوء من الضوء) يعني لا فرق بين النورين ، إلا أن أحدهما سابق ، والثاني لاحق به تال له .

القرامطة

فرقة من الشيعة الإسماعيلية ، كانوا على مقالة المباركة ثم خالفوهم (انظر : المباركية) ، وقد ظهرت حركة القرامطة بالكوفة سنة ٢٧٨ هـ ، جاء في تاريخ الطبرى : (كان ابتداء أمر القرامطة قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ، وقد أظهر الزهد والتقوى ، وكان يكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره في أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمته أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، ثم أعلمهم أنه يدعوه إلى إمام من أهل بيته الرسول ﷺ ، ثم مرض فمكث مطروحاً على الطريق ، وكان في القرية رجل يعمل على ثوار ، وكان أحمر العينين شديدة حمرتيهما ، وكان أهل القرية يسمونه (كرميته) وهو بالنبطية أحمر العينين ، فحمل كرميته هذا الرجل العليل إلى منزله ، وأقام عنده حتى برأ ، ثم كان يأوي إلى منزل كرميته يدعو أهل القرية إلى مذهبها ، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل دينه ديناراً ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام ، واتخذ منهم اثنى عشر نقباً ، أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى ابن مريم ، فلما وجد أمير الناحية أن الناس لا يعملون ، وعلم أنهم اشتغلوا بالخمسين صلاة عن أعمالهم ، أمر بالرجل فحبسه في بيت وأغلق عليه الباب ، ووضع المفتاح تحت وسادته ، وتشاغل بالشرب ، وسمع بعض من في داره من الجواري بقصته فرفقت له ، فلما نام أخذت المفتاح من تحت وسادته ، وفتحت الباب وأخرجته ، وأغلقت الباب ، وردت المفتاح إلى موضعه ، فلما أصبح الأمير دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده ، وانتشر الخبر ، وفتن به أهل تلك الناحية ، وسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء ، ثم خاف على نفسه فهرب ، فخرج إلى ناحية الشام فلم يعرف له خبر ، وسمى باسم الرجل الذي

كان في منزله صاحب الأثار كرميته ، ثم خفف فقالوا : قرمط .
وقيل : إن قرمط هذا رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلات السواد على أثار له ،
وكان يسمى حمدان بن الأشعث ، ويلقب بقرمط .

وقد بدأت حركة القرامطة على يد عبد الله بن ميمون القداح ، وكان ينشر مبادئ
الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ ، وكان حمدان قرمط هو الداعي إلى الدعوة
في الكوفة ، وذكر السيوطي أن الدعوة ظهرت في الكوفة سنة ٢٧٨ هـ ، وكانوا يدعون أنه
لا غسل من الجناية ، وأن الخمر حلال ، ويزيدون في آذانهم (وأن محمد بن الحنفية
رسول الله) وأن الصوم في السنة يومان : يوم النيروز ، ويوم المهرجان ، وأن الحج
والقبلة إلى بيت المقدس .

وفي سنة ٢٨٦ هـ ظهر بالبحرين سعيد الجنابي فاجتمع إليه جماعة من الأعراب
والقramطة ، وكثير أصحابه وقوى أمره ، فقتل من حوله من أهل القرى ، ووصل نواحي
البصرة حتى اضطر الخليفة . المعتصم بالله . إلى بناء سور يحيط بمدينة البصرة ،
بلغت تكلفته أربعة عشر ألف دينار .

وكان زكرويه يرسل أبناءه إلى الأمصار ، وكانوا يدعون أنهم من العلوبيين من آل
البيت وأنهم خائفون من السلطان ، فادعى يحيى بن زكرويه أنه عبد الله بن محمد بن
إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأن له مائة ألف تابع ، وأن ناقته التي يركبها مأمورة ،
وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا ، وأظهر عضدها ناقصة ، وذكر أنها آية ،
فانحاز إليه جماعة من أهل الشام ، وكان يلقب نفسه بالشيخ ، وقتل سنة ٢٨٩ هـ ، وقيل
سنة ٢٩٠ هـ .

قام بالأمر بعد يحيى بن زكرويه أخوه الحسين بن زكرويه ، وأظهر شامة في وجهه
كان يدعى أنها آيته ، لذا كان يلقب بصاحب الشامة ، وكان يسانده ابن عمته عيسى بن
مهرويه ، وزعم أن لقبه المدثر ، وأنه المعنى في السورة ، وقتل الاثنان سنة ٢٩١ هـ .

وفي سنة ٢١٧ هـ قام سليمان بن الحسن بن بهرام ، المعروف بأبي طاهر . وهو ابن
سعيد الجنابي . قام بقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلا ذريعا ، وطرح القتلى في
بئر زمم ، واقتلع الحجر الأسود ، وبقي الحجر الأسود عندهم حتى أعيد سنة ثلاثة

وثلاثين أيام خلافة المطیع ، وقيل إنه أعيد سنة ٢٩٣ هـ .
وبعد موت سليمان آل الأمر إلى أخيه الحسن ، الذي ملك دمشق سنة ٢٥٧ هـ ، وعزم
القرامطة على غزو مصر ، إلا أن النصر كتب للعبيديين (الفاطميين) ، ثم أخذ
نجهمم في الأفول حتى انتهت دولتهم .

وكان من مذهب القرامطة ، أن النبي ﷺ انقطع عن الرسالة في حياته في اليوم
الذى أمر فيه بنصب على بن أبي طالب رضي الله عنه للناس بغير خم ، فصارت الرسالة في
هذا اليوم إلى على ، وكانوا يقولون بشيوع العلاقات النسائية ، فالزوج لا يصح له أن
يحجب زوجه عن أخيه ، لأن هذا يؤدي إلى شيوع الكراهة !!
وكانوا يزعمون أن القرآن : هو تعبير محمد ﷺ عن المعارف التي فاضت عليه ومركب
من جهته وسمى كلام الله مجازا .

السبعين

اسم أطلق على الشيعة الإسماعيلية ، وسموا بذلك لأنهم توقفوا عند الإمام السابع ، وهو
عندهم إسماعيل بن جعفر ، أو محمد بن إسماعيل بن جعفر ، لأن إسماعيل مات في
حياة أبيه ، فالآئمة عندهم سبعة ، لأن رقم سبعة عندهم له نوع من التقديس الخاص ،
فأولو الأمر عندهم سبعة : نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسي ، ومحمد ﷺ ، ومحمد
بن إسماعيل ، وذلك على مضى أن السماوات سبع ، وأن الأرضين سبع ، وأن الإنسان
بدنه سبعة : يداه ، ورجلاه ، وظهره ، وبطنه ، وقلبه ، وأن رأسه سبعة : عيناه ، وأذناه ،
ومنخاراه ، وفمه ، ولسانه ، والأئمة سبعة كذلك .

الاثنا عشرية

من الشيعة الإمامية ، وهم يمثلون جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا في الوقت
الراهن ، ويتمركزون في إيران ، والعراق ، ولبنان ، والهند ، سموا بالاثني عشرية ،
لأنهم يعتقدون أن الآئمة الذين لهم صفة الإمامية الحقة ، والذين يعتبرونهم مرجعهم

في الأحكام الشرعية المنصوص عليهم بالإمامية اثنا عشر إماما ، نص عليهم

النبي ﷺ بأسمائهم ، ثم نص المتقدم منهم على من بعده على النحو الآتي :

١. أبو الحسن على بن أبي طالب (المرتضى) المولود سنة ٢٢ قبل الهجرة والمقتول سنة

٤ بعدها . ٢٣ سنه نصر محمد بن موسى

٢. أبو محمد الحسين بن على (الزكي) (٢ - ٥٠ هـ)

٣. أبو عبد الله الحسين بن على (سيد الشهداء) (٦١ - ٢ هـ)

٤. أبو محمد على بن الحسين (زين العابدين) (٩٥ - ٢٨ هـ)

٥. أبو جعفر محمد بن على (الباقي) (١١٤ - ٥٧ هـ)

٦. أبو عبد الله جعفر بن محمد (الصادق) (٨٢ - ١٤٨ هـ)

٧. أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) (١٢٨ - ١٨٢ هـ)

٨. أبو الحسن على بن موسى (الرضا) (١٤٨ - ٢٠٣ هـ)

٩. أبو جعفر محمد بن على (الجواد) (١٩٥ - ٢٢٠ هـ)

١٠. أبو الحسن على بن محمد (الهادي) (٢١٢ - ٢٥٤ هـ)

١١. أبو محمد الحسن بن على (العسكري) (٢٢٢ - ٢٦٠ هـ)

١٢. أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي) (٢٥٦) - وهو الحجة في عصرهم

الغائب المنتظر ، وينتظرونه ليملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا .

وعقيدة الاثنا عشرية بعيدة عن الغلو الذي وقع فيه معظم فرق الشيعة ، على أن أهم عقيدة من عقائدهم هي الإمامة ، فهي عندهم أصل من أصول الدين ، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ، والإمامية كالنبوة لطف من الله تعالى ، وعلى هذا فهي استمرار للنبوة ، ولذلك فالإمامية لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله ، وليس هي بالاختيار أو الانتخاب من الناس ، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصبوه ، وعندهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية .

والإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً أو سهوا ، وهو معصوم كذلك من السهو

والخطأ والنسيان ، أما علم الإمام فهو يتلقي المعرف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات عن طريق النبي ﷺ أو الإمام الذي قبله ، وإذا استجد شيء لابد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه .
والذى يهم الائنا عشرية من بحث الإمامة . فى الوقت الحاضر . يتمثل فى لزوم الرجوع إليهم فى الأخذ بأحكام الله الشرعية .

وعقيدتهم فى الرجعة أن لا يرجع إلا من علت درجة فى الإيمان ، أو من بلغ الغاية من الفساد ، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ، وهم لا يقولون بالتناصح ، ويميزون بينه وبين الرجعة ، فالرجعة من نوع المعاد الجسماني ، أما معنى التناصح فهو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول ، أما المعاد الجسماني فإن معناه رجوع نفس البدن بمشخصاته النفسية .

وهم يقولون بالحقيقة ، ويررون عن الإمام جعفر الصادق أنه قال : (التقى دينى ودين آبائى) و (من لا تقى له لا دين له)

ويعتقد الائنا عشرية أن الاجتهاد فى الأحكام الفرعية واجب بالوجوب الكفائي على جميع المسلمين فى عصور غيبة الإمام ، بمعنى أنه يجب على كل مسلم فى كل عصر ، ولكن إذا نهض به من يتوافر فيه الغنى والكفاءة سقط عن باقى المسلمين ، فيقلدونه ويرجعون إليه فى فروع دينهم .

وهم لا يقولون بالبداء . كما قال به الغلاة . والبداء فى الإنسان : أن يبدو له رأى فى الشيء لم يكن له ذلك الرأى سابقا ، وهم يرون أن البداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص ، ويررون عن جعفر الصادق أنه قال : (من زعم أن الله تعالى بدا له فى شيء بدأ ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم) ، وقال أيضا : (من زعم أن الله بدا له فى شيء ولم يعلمه أمس فابرأ منه) ، والبداء عندهم يعني أنه تعالى قد يظهر شيئا على لسان نبيه أو وليه أو فى ظاهر الحال لمصلحة تقتضى ذلك الإظهار ، ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولا ، مع سبق علمه تعالى بذلك ، وقريب من البداء فى هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا محمد ﷺ ، بل نسخ بعض الأحكام التى جاء بها النبي ﷺ .

ويرى الآثنا عشرية أن زواج المتعة جائز ويسمونه الزواج المنقطع ، أو الزواج إلى أجل ، ويعرفونه بأنه : (عقد ازدواج بين طرفين معلومين إلى أجل معين يذكر في متن العقد) فإذا انتهى الأجل انحلت عقدة النكاح دون حاجة إلى طلاق ، وتعتد الزوجة بحيضتين أو خمسة وأربعين يوماً إذا كانت لا تحيض وهي في سن من تحيض ، وإذا مات الزوج وهي في أثناء مدة المتعة تعتمد بأربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل . إن كانت حاملاً . وتأخذ بأبعدهما أصلاً ، والولد من زواج المتعة كالولد من الزواج الدائم تماماً في حقوق الميراث والنفقة والنسب ، ولكن ليس بين المتعتين إرث ولا نفقة ، فلا ترثه ولا يرثها ، ولا حد لعدد النساء المستمتع بهن ، وهناك روايات أخرى تدل على عدم جواز الزيادة على الأربع ويرون كراهة التمتع بالأبكار .

ويستدل علماء الشيعة على ثبوت زواج المتعة وعدم نسخه بقوله تعالى : (فَمَا اسْتَمْتَقْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَنُوْهُنَّ أَجُورُهُنَّ فَرِيضَةٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) (النساء : ٢٤) .

التابعون

بعد مقتل الحسين سنة ٦١ هـ تولى أمر التنظيم السري القائم على الثأر للحسين خمسة نفر كانوا هم رءوس الشيعة : سليمان بن صرد الخزاعي ، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ ، والمسيب بن نحبة الفزارى ، وكان من أصحاب على وخيارهم ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمى ، ورفاعة بن شداد البجلي .

كانوا جميعهم رجالاً بلغوا سن الستين ، وجدوا في قتال من قتل الحسين الوسيلة الوحيدة للتوبة من ذنبهم الذي اقترفوا . وهو تقاعسهم عن نصرة الحسين . فأطلقوا على أنفسهم اسم (التابعون) ، وكان قائدهم هو سليمان بن صرد ، وكان يقول لهم : (لا ترجعوا إلى الحالات والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أطنه راضياً دون أن تناجزوا من قتل الحسين ، ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه أمرٌ قط إلا ذل ، كونوا كالأولى من بنى إسرائيل إذ قال لهم نبيهم (إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتْخَادِكُمُ الْيَجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) فما فعل القوم ؟ جثوا على الركب

والله ، ومدوا الأعناق ، ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أن لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دعكم إلى مثل ما دعى القوم إليه ! اشحذوا السيف وركبوا الأسنة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْنُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) حتى تدعوا حين تدعون تستغفرون) ، وزاد عدد التوابين بعد وفاة يزيد بن معاوية ، وبالفعل خرجت جماعة التوابين حتى التقوا مع جيش الأمويين بقيادة عبد الله بن زياد وذلك يوم الأربعاء لثمانين من جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ ، فتكاثر عليهم جنود ابن زياد حتى هزموهم وقتل سليمان بن صرد ، وقتل معه رءوس الشيعة ، ولم يبق إلا رفاعة بن شداد ، فوضع لقومه خطة الانسحاب ، وانسحب القوم مهزومين .

المفضلية

هم الشيعة القائلين بإمامية موسى بن جعفر (الكاظم) ، وكان ممن اجتمع عليه بعد موت أبيه جعفر الصادق ، المفضل بن عمر ، فسموا المفضلية ، وهم أنفسهم الموسوية (انظر : الموسوية) .

والمفضلية كذلك إحدى الفرق التي تفرعت عنها فرقة الخطابية ، كانوا يزعمون أن الإمام بعد أبي الخطاب هو مفضل الصيرفي ، وكانوا يقولون بربوبية جعفر (انظر : الخطابية)

الفاطميون

من الشيعة الإسماعيلية ، وقد أسسوا دولتهم الفاطمية بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ ، ثم فتحوا مصر وجعلوها مركزاً لخلافتهم سنة ٣٥٨ هـ على يد جوهر الصقلي ، لتستمر دولتهم بمصر قرابة قرنين من الزمان .

وقد ثار جدل واسع حول نسبة الأئمة أو الخلفاء الفاطميين الذين ينسبون أنفسهم للإمام إسماعيل بن جعفر ، فيقول القاضي عبد الجبار إن جد الخلفاء الفاطميين اسمه سعيد ، وكان أبوه يهودياً حداداً ، والبعض يرجع أن المهدى عبيد الله . أول الخلفاء

الفاطميين . ينسب إلى ميمون القداح الذى لعب دوراً كبيراً فى نشر المذهب الإسماعيلي على يد القرامطة (انظر : القرامطة) ، على أن المحققين متلقون على أن عبيد الله المهدى ليس بعلوى ، ويحکى أن العزيز بالله بن العز فى أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الآيات :

يتلى على المنبر في الجامع
إن اسمعنا نسباً منكر
فاذكر أباً بعد الجد السابع
إن كنت فيما تدعى صادقاً
فانسب لنا نفسك كالطائع
وإن ترد تحقيق ما قالته
وادخل بنا في النسب الواسع
أو فادع الأنساب مستوراً
فيما يقتصر عنها طمع الطامع
فإبان أنساب بنى هاشم

وكتب العزيز بالله إلى الأموي صاحب الأندلس كتاباً سبه فيه وهجاه ، فكتب إليه الأموي : (أما بعد ؛ فإنك قد عرفتنا فهوجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك)
ويقول القاضى أبو بكر الباقلانى : (كان المهدى عبيد الله باطنيا خبيثاً ، حريصاً على إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه : فأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض)
ويقول الذهبى : (... ومنهم من أمر بالسجود له ، والخير منهم رافضى خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم ، ومثل هؤلاء لا تصح لهم إماماة)
وقال ابن خلkan : وقد كانوا يدعون علم الغيبات ، وأخبارهم هى ذلك مشهورة ، حتى إن العزيز صعد يوماً المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب :

وليس بالظلم والجور قد رضينا
إن كنت أعطيت علم الغيب
بين لنا كاتب البطاقة

وكان الفاطميون يتبنون نظرية الحق الإلهى فى الحكم ، وكانوا يسبغون على أنفسهم حالة من القدسية ، فكان الخليفة المعز لدين الله يقول : (أنا كلمات الله الأزلية وأسماؤه التامات وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ، ومصابيحه البينات ، وأباءه الباهرات ، وأقماره الناذرات لا يخرج منها أمر ، ولا يخلو منها عصر ...)
أما ما فعله الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فكان غاية فى التناقض والتخبط

والتطرف ، فكان أحيانا شجاعا ، وأحيانا جبانا ، وتارة كريما وأخرى بخيلا ، ويحكى أنه ظل يلبس الصوف سبع سنين ، ولم يستحم ، وقد كتب على المساجد بذم وبسب أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعائشة ، ثم محا ما كتبه بعد سنتين ، كما أمر بقتل الكلاب ثم نهى عن ذلك ، ومنع صلاة التراويح عشر سنوات ثم أباحها ، ومنع بيع العنب وقطع الكروم خشية صنع النبيذ ، وهو الذي منع النساء من الخروج من بيوتهم ليلا ونهارا ، وجعل لأهل الذمة علامات يعرفون بها ، وهدم الكنائس ثم أمر بإعادة بنائها ، وعلى الرغم مما أوقعه بأهل الذمة فإنه قد قلد بعضهم منصب الوزارة .

وانتهى الأمر بالحاكم وأفكاره المتطرفة أن ادعى الألوهية ، وبناء على هذا الادعاء ظهرت طائفة جديدة تدعو بذلك ، هي طائفة الدروز ، وقد أثارت تلك الدعوة النزاع بين الحاكم والسنين مما انتهى بقتله سنة ١١٤٤هـ ، وإن كانت الروايات قد اختلفت في وفاة الحاكم ، فيقول البعض إن أخته (ست الملك) هي التي دبرت لقتله لسوء تصرفه ، بينما يعتقد الدرزي أنه اختفى وسيعود !!

وقد اتسعت الدولة الفاطمية حتى يمكن القول أنها فاقت الدولة العباسية ، فقد شملت مصر ، وشمال إفريقيا ، والشام ، واليمن ، والجaz ، والموصـل ، وبل دعـى للخليفة الفاطمي على منابر بغداد حاضرة الخليفة العباسية المنافسة لعدة أشهر ، وانحلت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ ، وبلغ عدد الخلفاء الفاطميين أربعة عشر خليفة ، ثلاثة منهم بالمغرب ، وأحد عشر بمصر ، وهم :

١. أول من قام منهم بالمغرب المهدى عبيد الله سنة ٢٩٦هـ ، ومات سنة ٣٠٢هـ .
٢. ابنه القائم بأمر الله محمد ، ومات سنة ٣٢٢هـ .
٣. ابنه المنصور إسماعيل ، ومات سنة ٣٤١هـ .
٤. ابنه المعز لدين الله معد ، ودخل القاهرة سنة ٣٦٢هـ ، ومات سنة ٣٦٥هـ .
٥. ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ، ومات سنة ٣٨٦هـ .
٦. ابنه الحاكم بأمر الله أبو على منصور ، وقتل سنة ٤١١هـ .
٧. ابنه الظاهر لإعزاز دين الله على ، وكانت الوصية عليه عمه (ست الملك) حتى سنة ٤١٥هـ ومات سنة ٤٢٨هـ .

٨. ابنه المستنصر بالله أبوتميم معد ، ومات سنة ٤٨٧ هـ . ، فأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر ، وكان عمره حينما تولى الخلافة سبعة أعوام ، وهي أطول مدة أمضتها خليفة في الحكم .
٩. ابنه المستعلى بالله أحمد ، ومات سنة ٤٩٥ هـ .
١٠. ابنه الأمر بأحكام الله منصور ، وكان سنه عند تولى الخلافة خمس سنوات ، وقتل سنة ٥٢٤ هـ . من غير عقب .
١١. وقام بعده ابن عميه الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، ومات سنة ٥٤٤ هـ .
١٢. ابنه الظافر بالله إسماعيل ، وقتل سنة ٥٤٩ هـ .
١٣. ابنه الفائز بننصر الله عيسى ، وكان عمره حينما تولى الخلافة أربع سنوات ، ومات سنة ٥٥٥ هـ .
١٤. العاصد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ، وتولى الخلافة ولها إحدى عشرة سنة من العمر ، وخلع سنة ٥٦٧ هـ . ، ومات بها ، وانتهت الدولة الفاطمية .
وكان يطلق على الفاطميين (العبيديين) نسبة إلى أول خلفائهم في المغرب (عبيد الله المهدى) كما كانوا يسمون (العلوين) نسبة إلى على بن أبي طالب ، و (الفاطميين) نسبة إلى (فاطمة الزهراء) وهو أشهر أسمائهم .

الإسماعيلية المستعلية

من الشيعة الإسماعيلية الفاطمية (انظر : الفاطميون) ، فعندما توفي الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هـ . ، كان من المفروض أن يتولى الإمامة من بعده ولده نزار ، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي كان له رأي آخر ، حيث إن سلطة الوزراء في تلك الفترة كانت قد بلغت مبلغاً لا يستهان به ، حيث تحول الوزراء من وزراء تنفيذ تتحصر مهامهم في مجرد تنفيذ أوامر الخليفة . إلى وزراء تفوّض أصبع لهم

جزء كبير من السلطة بل يمكن القول إن لهم كل السلطة ، وعلى كل حال فقد نجى الوزير بدر الجمالى نزارا وجعل الإمامة للمستعلى بن المستنصر الأصغر حيث كان ابن أخت الوزير ، ولم يكتفى الأفضل بن بدر الجمالى بهذا ، ولكنه قام بحبس نزار حتى مات ، مما أدى إلى انقسام الإسماعيلية إلى مستعلية وهم أنصار المستعلى ، ونزارية أنصار نزار .

وكان من المنطقي أن تكون القاهرة مركزاً للمستعلية ، لأن السلطة في يد المستعلى ، والقاهرة هي مركز الخلافة الفاطمية ، واستمرت المستعلية تحكم مصر والجهاز واليمن بمساعدة الصليحيين ، واستمر حكم الفاطميين - والمستعلية . حتى سقطت الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ .

ولكن لم تنته المستعلية بسقوط الدولة الفاطمية ، حيث إنهم يعيشون بيننا الآن تحت اسم البهرة (انظر : البهرة) .

البهرة

فرقة من الشيعة الإسماعيلية الفاطمية المستعلية ، وهم يقررون بإمامية الخليفة الفاطمي المستعلى بالله ، ومن بعده ابنه الأمر بأحكام الله ، ثم ابنه الطيب ، ولذا يسمون بالطيبة وهم في الأصل ينتسبون إلى الإسماعيلية المستعلية الذين عاشوا في اليمن في عهد الصليحيين ، ومع سقوط الدولة الصليحية تركوا ميادين السياسة واتجهوا للتجارة ، وكانت معظم تجارتهم في الهند ، فاختلط بهم الكثير من الهنود وأقبل الهنود على اعتناق مذهبهم فعرفوا (بالبهرة) ، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر .
وانقسم البهرة إلى فريقين :

١. البهرة السليمانية نسبة إلى الداعي سليمان بن حسن ، ومركزهم في اليمن .
٢. البهرة الداودية ، نسبة إلى الداعي قطب شاه داود ، ومركزهم في الهند وباسستان ، وهم دائم الزيارة لمصر حيث يقيمون صلاتهم بمسجد الحاكم بأمر الله بحي الجمالية ليحجوا إلى الإمام المستور من نسل الطيب ، فالحج الظاهري عندهم إلى الكعبة ، أما

الحج الباطنى فإلى الإمام ، وهم لا يصلون الجمعة ، بل يصلونها كصلاة الظهر ، وذلك انتظارا للإمام المستور الذى سيظهر ويصلون خلفه الجمعة .

الإسماعيلية النزارية

من الشيعة الإسماعيلية الفاطمية ، بعد موت المستنصر بالله قام وزير بدر الجمالى. ويلقب بأمير الجيوش. بتنصيب ابن الأصغر للستنصر وهو المستعلى بالله ، بدلا من ابنه الأكبر نزار ، وهو الذى له الحق فى الإمامة طبقا لمعتقدات الفاطميين ، فانقسم الإسماعيلية إلى فريقين ، الإسماعيلية المستعلية ، والإسماعيلية النزارية ، ويرى أن نزارا قد هرب إلى الإسكندرية وأعلنها خليفة لأنه الأحق بالخلافة ، ولكن بدر الجمالى حاربه وحاصره حتى نجح فى القبض عليه ، وقام بحبسه وسد عليه جدران السجن حتى مات .

وكان من أبرز من نشر المذهب الإسماعيلي النزارى الداعية (حسن بن الصباح) الذى أطلق على أتباعه اسم (الحشاشين) ، أو أصحاب الدعوة الجديدة .. (انظر: الحشاشون) وكانت إسماعيلية فارس والشرق نزارية ، وكذلك إسماعيلية الشام ، وكانوا يسيرون على نهج مدرسة الحسن الصباح ، ومن أبرز زعمائهم فى الشام راشد الدين سنان (انظر: إسماعيلية الشام)

إسماعيلية الشام

وهم من الشيعة الإسماعيلية النزارية (انظر : الإسماعيلية النزارية ، والإسماعيلية المستعلية) وكانوا يسيرون على نهج مدرسة الحسن الصباح (انظر : الحشاشون) ، وكان من أبرز زعمائهم (راشد الدين سنان) وكان على شاكلة (الحسن الصباح) وكان الناس يسمونه لفطرت احترامه وهبته (بشيخ الجبل) وكون لنفسه مذهبا خاصا اسمه (السنانية) ويحکى أن السنانية حاولوا قتل صلاح الدين الأيوبي أكثر من مرة . وقد سار سنان على طريقة الصباح أول الأمر ، فهو تلميذه وتربي في (قلعة الموت)

غير أنه أضاف مبادئ جديدة إلى عقيدة الإسماعيلية ، كالتناسخ ، وهو ما لم تقل به الإسماعيلية ، وقد لقبه بعض أنصاره بالإمامية ظناً منهم أنه أحد الأئمة المستترین . وفي سنة ٦٧٢ هـ استسلمت آخر قلائع الإسماعيلية النزارية بالشام للظاهر بيبرس . ولكن لاتزال طائفة منهم حتى اليوم في سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف .

الحشاشون

طائفة من الشيعة الإسماعيلية النزارية ، الذين دعوا إلى إمامية نزار بن المستنصر بالله الفاطمي ، وقد أسس هذه الجماعة الحسن بن الصباح ، وأهم ما كان يميز هذه الطائفة احتراف القتل ، والقيام بالاغتيالات لخدمة أغراضهم السياسية ، وقد أطلق عليهم اسم الحشاشين لأنهم كانوا يكثرون من تدخين الحشيش فكان يخدر عقولهم ، ويصدعون لأوامر الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة الموت جنوبى بحر قزوين مركزاً لنشر دعوته الجديدة في شعبان سنة ٤٨٢ هـ ، وقد حدد الصباح الفرقة الناجية بأنها تلك التي لها إمام وليس لغيرها إمام ، ووضع الصباح عدة مقدمات انتهى منها إلى نتيجة تخدم مذهبة ، وهى أنه لا بد من الاحتياج إلى معلم صادق ، فليس أى معلم يصلح للتعليم ، ويقول : إن الناس فرقتان ، فرقة قالت : نحن نحتاج في معرفة البارى تعالى إلى معلم صادق ، ويجب تعينه وتشخيصه أولاً ، ثم التعلم منه ، وفرقه أخذت في كل علم من أى معلم ، وقد بينت أن الحق مع الفرقة الأولى ، فرؤسائهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين .

وقال : بالاحتياج عرفنا الإمام ، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج .
ويقول : إن في العالم حقاً وباطلاً ، وإن علاقة الحق هي الوحدة ، وعلاقة الباطل هي الكثرة ، وإن الوحدة مع التعليم ، والكثرة مع الرأي ، والتعليم مع الجماعة ، والجماعة مع الإمام ، والرأي مع الفرق المختلفة ، وهي مع رؤسائهم .

وقد منع العوام من الخوض في العلوم ، وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المقدمة ، إلا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ، ودرجة الرجال في كل علم .

وكان الحسن الصباح يدعو إلى إمامية نزار ومن يليه من عقبه ، وكان يدعى أن هناك حفيداً لنزار تم تهريبه من مصر إلى قلعة الموت وأنه هو الإمام المستور .

وتوفي الصباح سنة ٥١٨ هـ بغير عقب حيث يحكي أنه قتل ولديه ، وأوصى بالزعامة لاثنين من أتباعه هما : كيابزرك ، وأبو على داعي الدعاة ، وجعل الأول قائداً للقدائيين الذين يتم تربيتهم وتدربيهم داخل القلعة تمهيداً لقيادتهم بالاغتيالات ، أما أبو على فقد جعله لأمور الدعوة والزعامة الروحية .

ويروى أن الحسن الثاني بن محمد وهو حفيد كيابزرك . قد أعلن قيام القيامة في شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ ، وقام بإسقاط التكاليف الشرعية وأباح الأقطار ، وادعى أنه في الظاهر حفيد كيابزرك ، أما في الحقيقة فهو إمام العصر لأنه من نسل نزار .

واستمرت دولة الحشاشين حتى استطاع هولاكو هزيمة ركن الدين خورشاه . القائد الثامن للحشاشين . سنة ٦٥٤ هـ واستولى على قلعة الموت ، ثم خلفه ابنه شمس الدين الذي ظهر من نسله أسرة أغاخان وسمى أتباعه بالأغاخانية .

الإسماعيلية الأغاخانية

فرقة من الإسماعيلية النزارية (انظر : الإسماعيلية النزارية والحساشين) ، وظهرت هذه الفرقة في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان بداية ظهورها بآيران على يد (حسن على شاه) وقد جند الإنجليز حسن شاه هذا لإشعال ثورة بآيران ليتخذوها ذريعة للتدخل من أجل إعادة الاستقرار . كما هو وضع الأميركيان في العراق الآن . لكن حسن شاه فشل في هذا ، وانتقل . بناء على طلب الإنجليز . إلى أفغانستان ثم إلى الهند واستقر بمدينة بومباي ، وهناك نصب الإنجليز إماماً على طائفة الإسماعيلية ، وخلعوا عليه لقب أغاخان ، فانتسب إلى الإمام نزار المستنصر بالله الفاطمي ، وظل أمام الإسماعيلية النزارية حتى مات سنة ١٨٨٧ م ، وبعد موته

خلفه ابنه فى الإمامة ، وأطلق عليه أغاخان الثاني ، وكان على درجة عالية من الثقافة ، ويجيد عدة لغات ، وكان يقوم بمساعدة المسلمين دون تمييز بين المذهب أو الطائفة ، فسمت مكانته بين الجميع وتوفى سنة ١٨٨٥ م .

- خلفه ابنه محمد الحسيني (أغا خان الثالث) الذي استمر في إمامية الطائفة حتى سنة ١٩٥٧ م، وقد انتهج نهج أبيه في مساعدة كل أبناء المسلمين بدون تمييز، وعاش حياته في أوروبا، وأخذ من ملاد الدين ولهوها بنصيب كبير، وتزوج أربع مرات، الأولى أميرة إيرانية، والثانية فتاة إيطالية، والثالثة بائعة حلوي وسجائر في باريس، والرابعة إحدى ملكات الجمال.

وقد أوصى أن تكون الإمامة من بعده لحفيده كريم ، مخالفًا في ذلك قاعدة الإسماعيلية في تولية الابن الأكبر ، وكريم هذا هو الأغاخان الرابع من سنة ١٩٥٧ م ، وتلقى دراسته في إحدى الجامعات الأمريكية .

والإسماعيلية الأغاخانية يسكنون الآن نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكونغو والهند وباكستان ، وبعضهم في سوريا ومركز القيادة هو مدينة كراتشي ، وهم على نفس مذهب الإسماعيلية ، إلا أنهم يغالون في عصمة الإمام ، ويدفعون له خمس ما يكسبون .

الدروز

فرقة من الشيعة الإمامية الباطنية، ويسمون بالدرزية نسبة إلى تشکین الدرزى، وهي فرقة تضع ستارا حديديا حول معتقداتها، ويحکى أنها لا تعلمها لأبنائها إلا ببلوغ سن الأربعين.

وأول ظهور للدروز كان على يد حمزة بن على بن محمد الزوزوني المتوفى سنة ٤٢٠ هـ، عندما أعلن ألوهية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، على أن الدروز المعاصرین ينفون هذه الألوهية فيقول الدكتور سامي مكارم . وهو درزي . في كتابه أضواء على مسلك التوحيد : (ولا يقول المذهب (الدرزي) بتاليه أشخاص أو التجسيد ، وإنما يؤمن

بالتجلی والاشراق إيمانا لا يختلف كثيرا عن إيمان بعض المسالك الصوفية القديمة
والحدیثة)

وهم يعرفون الدرزية بأنهم فرقة من الإسلام من حيث انحصره في القرآن وعدم
خروجه عنه .

ولما كانت العقيدة الدرزية مازالت في عقول وقلوب أصحابها ، إلا أن مابدا لنا منها
يقول إنهم مسلمون ، ولا نريد الخوض فيما كتب البعض طالما أنهم من غير الدروز ،
فنحن لأنها جم قوما إلا بما خرج من أقوالهم وعلق بقلوبهم ، وكان مخالفًا لأصول
الإسلام مخالفة لا يقوم معها إسلام .

ويعيش غالبية الدروز في لبنان وسوريا وفلسطين ، ومن أبرز شخصياتهم المعاصرة :
كمال جنبلاط الزعيم اللبناني ومؤسس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وقتل سنة
١٩٧٧ م ، ويليه وليد جنبلاط الذي خلف والده في زعامة الحزب ، والدكتور سامي
مكارم الذي ألف كتابا في الدفاع عن عقيدة الدروز وإن لم يتضح منهمما أصول المذهب .

المقنّعة

من غلاة الشيعة ، وكانوا في أول أمرهم على قول الرزامية (انظر الرزامية) وسموا
المقنّعة نسبة إلى حكيم المقنّع الذي ظهر بخراسان بقرية من قرى مرو سنة ١٦١ هـ
 أيام المهدى الذي وجه لقتاله عدد من قواده حتى حصره سعيد الحرشى في قلعة بكش ،
 فاشتد عليه الحصار فلما أحسن بالهلكة شرب سما ، وسقاه نساءه وأهله ، فماتوا
 جميعا ، ودخل سعيد الحرشى القلعة واحتز رأسه
 وكان المقنّع يدعى الألوهية لنفسه ، وتابعه مبيضة ما وراء النهر ، وهم صنف من
 الخرمية ، دانوا بتترك الفرائض ، وقالوا : الدين معرفة الإمام فقط ، ومنهم من قال :
 الدين أمران :

معرفة الإمام ، وأداء الأمانة ، ومن حصل له الأمران ، فقد وصل إلى الكمال ، وارتفع
 عنه التكليف .

العلويون

فرقة من الشيعة الإمامية ، ويطلق عليهم البعض اسم (النصيرية) نسبة إلى أبو شعيب محمد بن نصر النميري وهو باب الإمام حسن العسكري الإمام الحادى عشر عند الائتى عشرية ، ويقال : إن تسمية (النصيرية) إنما جاءت نسبة إلى جبل النصيرة الذى عاش فيه العلويون لفترة طويلة . وقد تنسب بعض عشائر العلويين إلى الجد مثل : النواصرة ، وينسبون إلى جدهم ناصر ، والمهالبة وينسبون إلى المهلب بن أبي صفرة ، والجهينية وينسبون إلى الأمير جهينة البغدادى . وقد ينسبون إلى المكان الذى يقيمون فيه ، كالرشاونة نسبة إلى قرية الرشية فى جبل الشعرا ، والجردية نسبة إلى جرود الجبال التى سكنوها ، والفقاورة نسبة إلى قرية فقرو جنوبى مصياف ، وبعض العشائر تنسب إلى مبدأ أو عقيدة آمنوا بها ، كعشيرة الفيبة الذين رضوا بما كتب عليهم فى الفىب وانقادوا للمقادير .

ويجدر بنا عند الحديث عن عقيدة العلويين أن نفرق بين عقيدة الغلاة وعقيدة المعتدلين .

والغلاة منهم تأثروا بالمجوس ومالوا إلى عقيدة التثليث المسيحية ، فهم يؤلفون ثالوثاً من علىّ بن أبي طالب رضي الله عنه و محمد صلوات الله عليه و سلمان الفارسي يرمزون إليه بـ (ع م س) ، وحرف العين هو المعنى ، والمعنى هو الفيپ المطلق، أى الله ، والميم هو الاسم وهو صورة المعنى الظاهر ، أما حرف السين فهو الباب وهو طريق الوصول للمعنى . والغلاة يحتفلون بالأعياد المسيحية والأعياد الإسلامية ، كما يحتفلون ببعض الأعياد الفارسية .

وهم يقولون بالحلول ويؤلهون علىّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهم لا يؤمنون الآيات الكريمة لإثبات تلك الألوهية ، بل يقومون بتحريفها .

أما المعتدلون منهم فهم شيعة إمامية ، وقد أعلنوا سنة ١٩٢٧ م براءتهم من كل ما يخالف العقيدة الإسلامية ، حتى إن البعض منهم يعترف بفضل الصحابة والخلفاء الراشدين . أبو بكر وعمر وعثمان . فها هو المكزون السنجاري أحد أمراء العلويين ومتصرف شيوخهم وكبير شعرائهم والذى توفي سنة ٦٢٨ هـ يقول فى أحد أشعاره :

وقد وجدت من بعد الجهالة موقفنا
مالى إذا غيرى اثنى عنها اثنى
فعليهما منى التحية والسنا
أمسى من دون الورا متديننا
إنسى بدينهما وإن رُغِمَ العدا
وبسنَة لله عثمانية فاز أمرؤ أمسي بها متسلينا
ويختلف العلويون عن الإمامية في أنهم لا يحيزون زواج المتعة ، ولا يجوز للعلوي أن يتزوج
كتابية ، والأثنى عندهم لا ترث إذا كان لها إخوة ذكور ، فقواعد الإرث عندهم من قبيل
السنة ، ولكن قد تعطى المرأة شيئاً من التركة على سبيل المساعدة لا على سبيل الإرث.

القاديانية

القاديانية حركة كان الهدف منها تفريغ الإسلام من مضمونه ، والتمعق في هذه
الحركة يستطيع أن يتلمس أنها لا تختلف كثيراً عمما يسمى اليوم (بالعولمة) وتنتسب
هذه الفرقة إلى ميزرا غلام أحمد القادياني نسبة إلى قاديان التابعة لकشمیر بالهند ،
وقد ظهر مذهبها بصفة رسمية سنة ١٩٠٠ م ، وأنشأ مجلة ناطقة بأفكاره المتطرفة
أسماءها (مجلة الأديان) كما ألف عدداً من الكتب التي تضمنت مذهبها منها : براهين
الأحمدية ، أنوار الإسلام ، نور الحق ، حقيقة الوحي ، تحفة الندوة ، تبليغ رسالة ،
شهادة القرآن .

ونجد أن بعض الكتاب . منهم د. مصطفى الشكعة . يلحق هذه الفرقة بفرق الشيعة ،
على أساس أن ميزرا غلام أدعى ضمن ادعاءاته الكثيرة أنه (المهدى المنتظر) ويرى
د. الشكعة أن هذا الأمر ينفرد به الشيعة دون بقية الفرق الإسلامية ، ويرى أنه لهذا
السبب كان ارتباط ميزرا غلام بالشيعة أقرب ، وفي الحقيقة تختلف مع هذا الرأي
فالشيعة كما يؤمنون بالمهدى المنتظر فالسنة كذلك يؤمنون به ، وإن كان الخلاف في
تحديد شخصية المهدى المنتظر ، ومن ناحية أخرى الأسس التي تقوم عليها عقيدة
الشيعة ليس أهمها ظهور المهدى المنتظر ، وهناك موقفهم من الإمامة ، وأخذ العلم عن

آل البيت ، واعتقادهم بالتنمية والبداء .. إلخ ، ولهذا فإن هذه الفرقـة . القاديـانـية . لا تـنـدرج تحت فـرقـ الشـيـعـة ، وقد تكون خـارـجـة عن مـلـة الإـسـلام .
وكان مـيزـرا غـلام يـدـعـى أن رـوحـ محمد ﷺ وروح عـيسـى عـلـيـهـ السـلـامـ قدـ حـلـتـاـ فـيـهـ .
وكان يـقـولـ عنـ نـفـسـهـ : هـذـاـ الخـادـمـ المـتواـضـعـ لـمـ يـدـعـ يومـاـ أـنـهـ نـبـىـ أوـ رـسـوـلـ بـالـعـنـىـ .
الـحـقـيقـىـ .

إنـ اللهـ دـعـانـىـ نـبـىـ بـطـرـيـقـ الـاسـتعـارـةـ ، وـنـبـوتـىـ هـىـ انـعـكـاسـ لـنـبـوـةـ مـحـمـدـ ، وـالـظـلـ لـاـ يـكـونـ
لـهـ وـجـودـ مـسـتـقـلـ ، وـلـيـسـ لـهـ وـجـودـ حـقـيقـىـ ، وـإـنـمـاـ هـوـ صـورـةـ لـلـشـخـصـ الـأـصـلـىـ الـذـىـ يـعـرـفـ
مـنـ خـالـلـهـ .

ويـقـولـ مـؤـكـداـ : وـهـذـاـ الـكـلـامـ الـذـىـ ذـكـرـتـهـ مـرـارـاـ وـالـذـىـ أـتـلـوهـ هـوـ كـلـامـ اللهـ بـطـرـيـقـ الـقطـعـ
وـالـيـقـينـ كـالـقـرـآنـ وـالـتـوـرـاـةـ وـأـنـاـ نـبـىـ ظـلـىـ بـرـوزـىـ مـنـ أـنـبـيـاءـ اللهـ ، وـتـجـبـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ
إـطـاعـتـىـ فـىـ الـأـمـورـ الـدـينـيـةـ ، وـيـجـبـ عـلـىـ كـلـ مـسـلـمـ أـنـ يـؤـمـنـ بـأـنـيـ مـسـيـحـ الـمـوعـودـ ، وـكـلـ
مـنـ بـلـغـتـهـ دـعـوتـىـ فـلـمـ يـحـكـمـنـىـ وـلـمـ يـؤـمـنـ بـأـنـيـ مـسـيـحـ الـمـوعـودـ ، وـلـمـ يـؤـمـنـ بـأـنـ الـوـحـىـ الـذـىـ
يـنـزـلـ عـلـىـ مـنـ اللهـ هـوـ مـسـئـولـ وـمـحـاـسـبـ فـىـ السـمـاءـ وـإـنـ كـانـ مـسـلـماـ ..

ويـضـيـفـ : إـنـنـىـ لـاـ أـقـتـصـرـ عـلـىـ قـوـلـىـ إـنـ لـوـكـنـتـ كـادـبـاـ لـهـلـكـتـ ، بـلـ أـضـيـفـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـنـىـ
صـادـقـ كـمـوـسـىـ وـعـيـسـىـ وـدـاـوـدـ وـمـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـقـدـ أـنـزـلـ اللهـ لـتـصـدـيقـىـ
آـيـاتـ سـمـاـوـيـةـ تـرـبـوـعـلـىـ عـشـرـةـ آـلـافـ ، وـقـدـ شـهـدـ لـىـ الـقـرـآنـ ، وـشـهـدـ لـىـ الرـسـوـلـ ، وـقـدـ عـيـنـ
الـأـنـبـيـاءـ زـمـنـ بـعـثـتـىـ ، وـذـلـكـ هـوـ عـصـرـنـاـ هـذـاـ .

وـزـعـمـ مـيزـراـ غـلامـ أـنـ الـوـحـىـ نـوـعـانـ : وـحـىـ اللهـ إـلـىـ الـأـنـبـيـاءـ وـوـحـىـ اللهـ إـلـىـ الـأـوـلـيـاءـ ،
وـاـسـتـنـدـ فـىـ هـذـاـ القـوـلـ إـلـىـ أـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ قـدـ أـوـحـىـ إـلـىـ أـمـ مـوـسـىـ (أـنـ أـرـضـيـعـهـ
..) (الـقـصـصـ : ٧ـ) ، وـكـذـلـكـ أـوـحـىـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ إـلـىـ النـحـلـ فـىـ قـوـلـهـ : (وـأـوـحـىـ رـبـكـ
إـلـىـ النـحـلـ أـنـ اـتـخـذـيـ مـنـ الـجـبـاـلـ بـيـوـتـاـ وـمـنـ الشـجـرـ وـمـمـاـ يـعـرـشـونـ) (سـوـرـةـ النـحـلـ . آـيـةـ
(٦٨ـ)

وـأـهـمـ مـاـ تـمـيـزـ بـهـ الـقـادـيـانـيـةـ هـوـ تعـطـيلـ فـرـيـضـةـ الـجـهـادـ ، وـقـدـ قـالـ مـيزـراـ غـلامـ هـذـهـ المـقولـةـ
لـيـمـنـعـ الـهـنـودـ مـنـ مـقاـمـةـ الـاحـتـلـالـ الـإـنـجـليـزـىـ ، وـقـدـ عـمـدـ مـيزـراـ غـلامـ وـمـنـ تـابـعـهـ مـنـ
الـقـادـيـانـيـةـ . فـىـ سـبـيلـ نـشـرـ الدـعـوـةـ لـتـعـطـيلـ الـجـهـادـ . إـلـىـ تـغـيـيرـ حـقـائـقـ السـيـرـةـ الـنـبـوـيـةـ

ال الشريفة ، وأخذوا من الأحداث التاريخية والأحكام الدينية ما يخدم غايتهم وطرحوا ما عدتها ، ويقول ميزرا غلام : إن عقيدتي التي أكررها أن الإسلام جزءان : الجزء الأول طاعة الله ، والجزء الثاني طاعة الحكومة التي بسطت الأمن وأوتنا في ظلها من الظالمين ، وهي الحكومة البريطانية .

وبعدما توفى ميزرا غلام سنة ١٩٠٨م انقسم تابعوه إلى فرقتين ، فرقة رأت أنه نبى مرسلا ، وأن من أنكر هذا القول فهو كافر ، وعلى رأس هذا الفريق ولده نور الدين الخليفة الأول للقاديانية والذي ألبسه الإنجليز تاج الخلافة .

أما الفرقة الثانية فلم تعرف بنبوته ، وإنما يرون أنه مجرد مصلح أولى ، وأطلقوا على أنفسهم اسم (الأحمدية) ، ومن أشهر رجال هذه الفرقة غلام رضا أحمد ، وخوجة كمال الدين ، ومولاي محمد على ، ويعتبر هذا الأخير من أبرز وأشهر رجال الأحمدية الlahoriyah . (انظر : الأحمدية)
ويعيش القاديانيون الآن في الهند وباسستان .

الأحمدية الlahoriyah *

أسسها الميزرا غلام أحمد القاديانى وأظهرها إلى حيز الوجود الرسمى سنة ١٩٠٠م بالهند ، وتطرف فى أفكاره حتى ادعى النبوة . وبعد وفاته انقسم أتباعه إلى فريقين ، فريق والاه على قوله وأثبت له النبوة ، وفريق آخر قال إنه مصلح أولى ولم يرق إلى مستوى النبوة ، وهؤلاء أطلقوا على أنفسهم اسم (الأحمدية) وكان أبرز رجالهم (مولاي محمد على) وقد أنكر محمد على معجزات الأنبياء ، وقام بتأويل الآيات القرآنية التى ذكرت تلك المعجزات ، وعلى سبيل المثال ، فى قوله تعالى : (أنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفع فيه فيكون طيرا بإذن الله) (آل عمران : ٤٩) .

ويقول محمد على : إن المراد بالطير هنا . على سبيل الاستعارة . رجال يستطيعون أن يرتفعوا من الأرض وما يتصل بها من أشياء وأخلاق ويطيروا إلى الله ، فإن الإنسان يستطيع بنفع النبي أن يتجرد من الأفكار البشرية السافلة ويخلق في عالم الأرواح .

التقرير (جماعة)

جماعة تأسست فى أواخر الأربعينيات من القرن العشرين ، واتخذت من القاهرة مقرا لها ، وكان هدفها هو التقرير بين المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول ، المعروفة المصادر، فبدلت جهودا كبيرة فى التقرير بين أهل السنة . بمذاهبهم الأربعة . والشيعة الإمامية (الاثنا عشرية) ، والشيعة الزيدية ، وكان من أبرز الشخصيات فى هذه الجماعة العلامة محمد تقى القمى الذى توفي فى باريس فى ٢٨ / ٨ / ١٩٩٠ م على أثر حادث يرجح أنه مدبب ، كما ضمت الجماعة كبار شيوخ الأزهر ، وكبار علماء الشيعة ، وكانت مجلتها (رسالة الإسلام) هي خير ناطق باسم الجماعة ، وكانت المادة الثالثة من القانون الأساسى لجماعة التقرير تنص على : تسلك الجماعة من السبل ما تراه محققا لأغراضها ، ومنها :

١. نشر الكتب والرسائل .
٢. الدعوة بطريق الصحف والمحاضرات والإذاعات اللاسلكية .
٣. تبادل النشرات مع الجماعات الدينية والثقافية فى مختلف الهيئات الإسلامية .
٤. عقد مؤتمرات إسلامية عامة تجمع زعماء الشعوب الإسلامية فى الأمور الدينية والاجتماعية .
٥. العمل على أن تقوم الجماعات الإسلامية فى جميع الأقطار بتدريس فقه المذاهب الإسلامية حتى تصبح جامعات إسلامية عامة .

وبالفعل حققت الجماعة نجاحا لا ينكر فى التقرير بين المذاهب ، ولعل الدليل الأكبر على نجاح هذه الجماعة ، تلك الفتوى التاريخية التى أصدرها فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية ، وقد جاء فى الفتوى :

١. أن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول : إن لكل مسلم الحق فى أن يقلد بأى ذى بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلأ صحيحا والمدونة

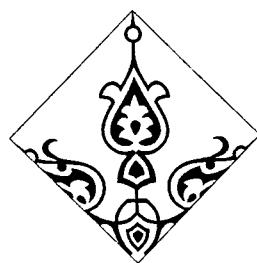
أحكامها فى كتبها الخاصة وملن قلد مذهب من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره . أى مذهب كان . ولا حرج عليه فى شيء من ذلك .

٢. أن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التبعيد به شرعاً كمذهب أهل السنة .

فينبغى لل المسلمين . والكلام للشيخ شلتوت . أن يعرفوا ذلك ، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقلیدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات .

أهم مصادر الكتاب

- ١ - تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) لأبى جعفر محمد بن جریر الطبرى (٢٢٤ - ٢١٠ هـ).
- ٢ - تاريخ الخلفاء - جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السیوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ.
- ٣ - السيرة النبوية وأخبار الخلفاء - أبو حاتم محمد بن حيان المتوفى سنة ٢٥٤ هـ.
- ٤ - الملل والنحل: محمد بن عبد الكرييم الشهري المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.
- ٥ - أعلام المؤugin عن رب العالمين - محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ.
- ٦ - فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختى وسعد بن عبد الله القيمى من أفاضل علماء رأس الثلاثمائة الهجرية.
- ٧ - صحيح البخارى - محمد بن إسماعيل الجعفى البخارى (٢٥٦ - ١٩٤).
- ٨ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى (٢٦١ - ٢٠٤).
- ٩ - الموطأ - مالك بن أنس الأصحابى (١٧٩ - ٩٥ هـ).
- ١٠ - تفسير القرآن العظيم - أبو الفدا إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.
- ١١ - تأویل مختلف الحديث - عبد الله بن مسلم بن قتيبة - (٢٧٦ - ٢١٢ هـ).
- ١٢ - عقائد الإمامية - الشيخ محمد رضا المظفر.
- ١٣ - لأكون مع الصادقين - دكتور / محمد التيجانى السماوى التونسى.
- ١٤ - أصول الفقه - دكتور / محمد محمد فرات.
- ١٥ - المدخل فى التعريف بالفقه الإسلامى د/ عبد المجيد محمد عطلاوب.
- ١٦ - الوجيز فى أحكام الأسرة الإسلامية د/ عبد المجيد محمد مطلوب.
- ١٧ - أصل الشيعة وأصولها - الشيخ محمد آل كاشف الغطاء.
- ١٨ - فقه الإمام جعفر - محمد جواد مغنية.



فَلَسْ

5	-----	مقدمة
		الفصل الأول:
9	-----	البداية وفاة الرسول ﷺ واستخلاف أبي بكر
		الفصل الثاني:
21	-----	خلافة عثمان
		الفصل الثالث:
33	-----	خلافة علي بن أبي طالب ؓ
36	-----	موقعه الجمل
37	-----	المواجهة بين علي ؓ وبين معاوية
47	-----	مقتل علي بن أبي طالب
49	-----	بيعة الحسن بن علي
		الفصل الرابع:
55	-----	الصدام بين شيعة علي والدولة الأموية
		الفصل الخامس:
67	-----	ثورة الحسين
		الفصل السادس:
87	-----	الشيعة والطلب بدم الحسين
87	-----	سليمان بن صرد وبداية التنظيم
92	-----	ظهور المختار بالكوفة
117	-----	ظهور زيد بن علي

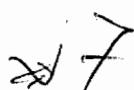
الجزء الثاني:

321	العقيدة الدينية للشيعة
124	■ سبب تسمية الاثنا عشرية بهذا الاسم.
125	■ عقيدة الشيعة في نبوة محمد ﷺ.
126	■ الشيعة وتحريف القرآن.
127	■ البداء.
130	■ التقيّة.
134	■ الجمع بين الصلاتين.
136	■ الصلاة على التربة.
138	■ زواج المتعة.
142	■ الرجعة.
144	■ المهدى المنتظر.
145	■ رأى الشيعة في الصحابة.

الجزء الثالث:

فرق الشيعة

157	١. السبائية
157	٢. المختارية
158	٣. الكيسانية
159	٤. الكلبية
159	٥. الحمزية
159	٦. الصائدية
160	٧. البيانية



الفهرس

061	الحربية
160	الهاشمية
162	الحارثية
162	الماوية
162	العباسية
162	الرياحية
163	الرواندية
163	المنصورية
164	المغيرة
166	الحسينية
166	الخطابية
167	البزيغة
168	أصحاب السرى
168	المعمرية
168	المخمسة
169	العميرية
169	المفضالية
169	المفوضة
170	العلبائية
170	الذمية
170	العينية
170	الميمية
171	الغرابية

الفهرس

171	البشيرية
171	السلمانية
171	الأبو مسلمية
172	البروكوكية
172	الرزامية
173	الهيريرية
173	الشيعة العلوية
174	الزيدية
176	المهديّة
176	اليعقوبية
176	الصباحية
177	العجلية
177	البتيرية
177	الحسينية
187	الجارودية
179	السليمانية
180	الصالحية
181	الإمامية
183	الجعفرية
185	الباقرية
185	المحمدية
185	الناووسية
186	الإسماعيلية الخالصة

الفهرس

187	الإسماعيلية الواقفة
187	المباركية
188	الشميطية
188	الفطحية
189	الموسوية
190	القطعية
190	الموسوية الواقفة
190	المطرورة
191	الأحمدية
191	المؤلفة
191	المحثة
192	النفيسيّة
193	الجعفرية
193	الواقفة أصحاب العسكري
194	الكialiّة
196	الهشامية
197	الزرارية
198	النعمانية
198	اليونسية
199	الكامليّة
199	النميرية
199	الإسحاقية
200	القرامطة

الفهرس

202	السبعينية
202	الاثنا عشرية
205	التوابون
206	المفضليّة
206	الفاطميون
209	الإسماعيلية المستعلية
210	البهر
211	الإسماعيلية النزارية
211	إسماعيلية الشام
212	الحشاشون
213	الإسماعيلية الأغاخانية
214	الدروز
215	المقنية
216	العلويون
217	القاديانية
219	الأحمدية الlahوريّة
220	التقريب (جامعة)

* سقراط للعلم

١٧
 ٢٤
 ٢٣
 ٢٣
 ٧
 ٩٤